جان پول سارتر

أسرى ألتونا



دار الحرف العربي

إعداد وتقديم وتحليل:

الدكتور رحاب عكاوي



جان بول سارتر

أسرى ألتونا

اسم الكتاب :
اسرى التونا
المؤلف :
جان بول سارتر

اعداد وتقديم و تحليل :
الدكتور رحاب عكاوي

الناشر :
دار الحرف العربي
للطباعة و النشر و التوزيع

زقاق البلاط –بناية فخر الدين
شارع خليل سركيس
تلفون و فاكس : 009611/361045
بيروت – لبنان

E-mail:
Dar_al_haref_alarabi@yahoo.com
Harefal3arabi@hotmail.com

الطبعة :
الاولى 2010

تصميم الغلاف :
فؤاد سليمان وهبي

الترقيم الدولي :
ISBN:978-9953-542-20-1

جان بول سارتر

أسرى ألتونا

إعداد وتقديم وتحليل:
الدكتور رحاب عكاوي



دار الحرف العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

دار الحرف العربي
للطباعة والنشر والتوزيع
ص. ب: ١١٣/٦٤٨٠
فاكس: ٠٠٩٦١١/٣٦١٠٤٥
بيروت - لبنان

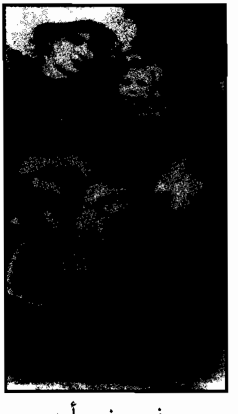
Printed In Lebanon طبع في لبنان

جان پول سارتر
١٩٠٥ - ١٩٨٠

في الحيّ السادس عشر من أحياء باريس ، وفي الواحد والعشرين من حزيران/ يونيو سنة ١٩٠٥ ، ولد جان پول سارتر . كان والده جان - باپتيست ضابطاً في البحرية ، وأمه آن - ماري شڤيتزر سيدة على خلق ، طيّبة القلب وقليلة الخبرة بالحياة . ولمّا مرض والده ، وهو في الهند - الصينية ، ثم توفي ، وابنه في الثانية من عمره ، انتقل مع والدته للعيش في منزل جده لأمه شارل شڤيتزر ، عم الفيلسوف اللاهوتي المشهور ألبرت شڤيتزر .


جان پول سارتر

يقول سارتر إنه عاش طفولته وحيداً في منزل جده بين رجل عجوز وسيدتين ، هما أمه وخالته ، وإنه قد تنازعه في مقتبل حياته المذهبان : الكاثوليكي (كزوج أمه) والپروتستانتي (كعائلتي أبيه وأمه) ، واللغتان الفرنسية والألمانية ، فإنَّ جده ، ذا الأصل الألزاسي ، كان يدرّس اللغة الألمانية في مدارس باريس ، وقد أخذ يدرّسها لحفيده بحيوية ونشاط . ويضيف أديبنا أنه أحب أمه ولكنه لم يحترمها ، لأن أحداً في المنزل لم يكن يحترمها «وكنّا ، أمي وأنا ، نتعامل كأننا في سن واحدة» .


في حضن أمه

وتجدر الإشارة إلى أن سارتر فقد بصر عينه اليمنى تماماً وهو في الثالثة من عمره ، ولكن هذا لم يمنعه من التعلّق بالقراءة

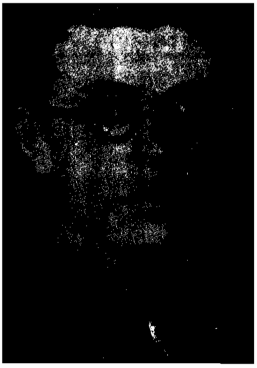
وكتابة القصص أحياناً ، وقد كتب بعد ذلك يقول : «لقد كتبت قصتي الأولى وأنا في الثامنة من عمري . وكنت كلما رأيت أمامي ورقة بيضاء لم أتمالك عن تسويدها بكل ما يتراءى لي» .

التحق سارتر سنة ١٩١٥ بالفصل السادس في مدرسة «ليسيه هنري الرابع» بپاريس ، حيث كان جدّه يدرّس الألمانية . ومن القصص التي كتبها في سنيّه الأولى هذه «بائع الموز» و«من أجل فراشة» . ولكن والدته آن ـ ماري ما لبثت أن تزوجت سنة ١٩١٦ بأحد مهندسي البحرية الفرنسية ، هو الضابط مانسي ، وانتقلت ، ومعها ابنها ، للعيش معه في مدينة «لاروشيل» الساحلية . ومع أن سارتر كان متقدّماً في دراسته إلاّ أن زواج والدته أصابه بالقلق والغضب ، وأثّر في تقدّمه في دراسته في «لاروشيل» . وقد ذكر أنه قد أمضى مراهقة غير سعيدة في تلك المدينة .

في سنة ١٩٢٤ التحق سارتر بمدرسة «النورمال سوپريور» بپاريس ، وأخذ يدرس الفلسفة وعلم النفس . وكان من زملائه في تلك المدرسة صديقه الفيلسوف والأستاذ ، بعد ذلك ، «ريمون آرون» . وقد كتب سارتر بعد دخوله هذه المدرسة بثلاثة أعوام ، أي في عام ١٩٢٧ ، روايته الأولى «هزيمة» ، ولكنه حين عرضها على الناشر الفرنسي الشهير «غاليمار» رفض نشرها .

في سنة ١٩٢٨ ، رسب سارتر في امتحان «شهادة الأستاذية» (Agrégation) . وأصبحت رفيقة حياته ، سيمون دو بوڤوار ، زميلة له في دراسته في سنة ١٩٢٩ ، وكانت هي في الواحدة والعشرين ، في حين كان سارتر في الرابعة والعشرين . وقد نجحا في نيل شهادة الأستاذية معاً في تلك السنة ، وكان ترتيب سارتر الأول وترتيب سيمون الثانية . يقول سارتر في حديث له مع سيمون دو بوڤوار بعد ذلك : «لقد أردت عندما كنت صغيراً أن أكتب رواية مثل «أحدب نوتردام» أو «البؤساء» ، أي عملاً باقياً على مرّ العصور ، ومن غير أن ينال منه شيء بعد ذلك . أمّا الفلسفة فقد دخلت حياتي فيما بعد بطريقة غير مباشرة ، فقد كانت الرواية في دمي

عندما رحت أدرس الفلسفة . وكان لي قريب يدرس الرياضيات ، ويتعلّم معها الفلسفة ، ولكنه كان يرفض الحديث عنهما أمامي ، وداخلني شعور بأنه كان يتعالى عليّ بهما ، حتى انبعثت حماستي وأخذت أدرسهما» .



سارتر الطالب ١٩٢٤

وتقول سيمون دو بوڤوار إنها عندما اختارت سارتر ، من دون زملائها الذكور جميعاً ، لرفقتها الدائمة كان ذلك لقبحه وقذارته . وكان سارتر قصيراً ، ربع القامة ، وملابسه مهملة . وكان يدخن الغليون . ولكنّ سيمون تقول إنه كان ، رغم عيوب جسده الواضحة ، جذاباً للجنس الآخر . وقد كتبت في مذكراتها بعد ذلك : «عندما قابلت سارتر أحسست لأول مرة بتأثير شخصيته القوية في شخصيتي . . فإنه كان يفكر في كل دقيقة من يومه . . . والحق أنني أنا أيضاً كنت أفكر . . ولكن ليس طيلة النهار مثله» .

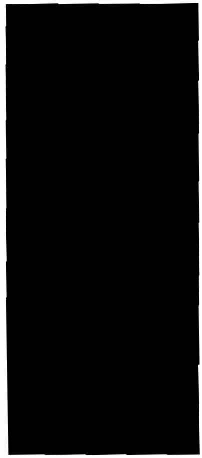
وتشير مذكرات سارتر ، التي نشرت بعد وفاته ، وخطاباته المتبادلة مع سيمون دوبوڤوار ، التي استمرت منذ شبابهما وحتى سنة ١٩٦٠ ، إلى أنهما كانا يتبادلان حبّاً قوياً طوال حياتيهما . وكانت سيمون تبكي عندما تتأخر عليها رسائل سارتر طويلاً ، خصوصاً بعد غيابه مجنّداً في شرقي فرنسا ، أو بعد ذلك عند سفره إلى أميركا . كتب إليها ، في بداية رفقتهما ، وهو مجند في الحرب : «أنا لي ذاكرة قوية للأشياء التي شاركنا فيها ، وعندما تجيء ذكراك وأنا في الحرب أتألم بحبك ، فأنت لست شيئاً عابراً في حياتي .



سارتر ودوبوڤوار أمام تمثال بلزاك في باريس

وربما كنت أفضل ما في تلك الحياة . ويجب أن تعرفي أن حياتي لم تعد ملكاً لي ، وأنك أكبر عندي منها . إنني أستطيع بحبك أن أتصوّر مستقبلي وحياتي الآتية . إننا لن نستطيع بعد ذلك أن نندمج بأكثر ممّا فعلنا . أنت زهرتي الصغيرة الجميلة ، ونفسي الصغيرة» .

جدير بالذكر أنه رغم العلاقة الحميمة بين سيمون وسارتر فقد رفضا أن يتزوجا ، باعتبار أن الزواج «عقد بورجوازي عقيم» و«دليل عبودية المرأة للرجل» . لذا استمرا يخاطبان الواحد الآخر بضمير الجمع والاحترام ، ويعيشان في مكانين منفصلين هو في فندق ، أو في مشغل صغير ، وهي في شقة أنيقة . وقد أهداها سارتر خاتماً ثميناً ظلت تضعه في إصبعها طوال حياتها .



سارتر المجنّد

عندما حصل سارتر في سنة ١٩٢٩ على شهادة الأستاذية قضى السنتين التاليتين في أداء الخدمة العسكرية الإجبارية في «تورز» و«سانت سمفورين» . ثم عُيّن سنة ١٩٣١ مدرّساً للفلسفة في مدرسة «ليسيه لاوون» ثم في «ليسيه الهاڤر» . ويقال إنه عندما دخل على تلاميذه لأول مرة ، في المدرسة الأولى ، لم يكن يرتدي البدلة التقليدية الكاملة ، وإنما كان قد اكتفى بقميص أسود ودون ربطة عنق ، فعرف تلاميذه ، ولأول وهلة ، أنه لن يكون مدرّساً كالآخرين . وقد نقل سارتر في روايته «الغثيان» الوقائع التي عاشها في الهاڤر ، وأسمى مدينته الشبيهة بها في قصته «بوڤيل» .

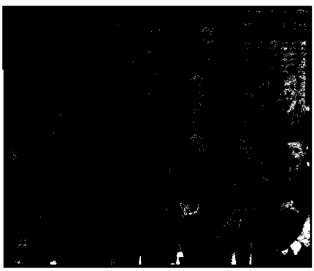
وكان جان پول سارتر قد تعلّق في صباه بعدد من الكتّاب والروائيين والشعراء ، من أهمهم شكسپير وغوته ودانيال ديفو وڤيكتور هوغو وأندريه جيد وأرثر كوستلر . يقول سارتر : «لم أود في بداية الأمر أن أكون فيلسوفاً ، أو أن أؤلف في الفلسفة ، وقد اعتبرت هذه الناحية مضيعة للوقت . ولم أحب أن أتفلسف ، ولكنني عندما أخذت أقرأ فيها شغفت

بمسائلها ، وأصبحت أقضي نهاري بطوله في دراستها ، ثم أخذت أبتكر فلسفياً ، ووجدت متعة في التأليف فيها ، وأخذت أعتبرها طريقي إلى الحقيقة ، والجزء الهام والمكمّل للعلوم عندي» .

في سنة ١٩٣٣ حصل سارتر على منحة من المعهد الفرنسي في برلين لدراسة الفلسفة الألمانية الحديثة ، وخصوصاً فلسفة «الفينومونولوجيا» أو علم الظواهر ، وكان قد سبقه إلى هذه الدراسة بمعهد برلين صديقه ريمون آرون .

درس سارتر في برلين على إدموند هوسرل ومارتن هايدغر وأقام إلى جانبهما علاقات قوية مع أستاذ الفلسفة في هيدلبرغ كارل ياسپرز . وقد وجد سارتر فيما بعد أن الأول قد «أوحى إليه بطريقة تناول الموضوع» ، وقد «عبّر عن كل أفكاره» ، وأن أعمال الثاني والثالث قد أثرت فيه بشدة ، وأن ياسپرز وجّهه بالذات للاهتمام بعلم النفس الحديث . ولمّا كان أسلوب سارتر قد تميّز ، منذ بداياته ، بالسلاسة والجمال ، فقد أخذ يعبّر عن أفكار هؤلاء الفلاسفة الثلاثة وغيرهم ببراعة وابتكار ، ومن دون أن تواجهه أية صعوبات . وكان كما قيل يكتب في المقاهي وفي صالونات الانتظار ووسائل النقل المختلفة ، وفي أي مكان يجد فيه متسعاً له ولأوراقه .

بُعيد عودته من برلين انضم سارتر إلى هيئة تدريس مدرسة «ليسيه پاستور» في «نويي» بپاريس ، وكانت سيمون دو بوڤوار تعمل بتدريس الفلسفة في پاريس أيضاً . وقد انشغل سارتر ، بتأثير ياسپرز فيه ، بدراسة علم النفس . وجرّب في خلال عام ١٩٣٥ بعض العقاقير المخدّرة ، ومن بينها الماسكالين . وزار في السنة التالية مصحة عقلية في شمالي فرنسا . وتقول دوبوڤوار إن سارتر كثيراً ما كان يعتقد خلال تلك الفترة أنه متبوع بسرطان الماء ، وإنها كانت قلقة على حالته العقلية التي كانت كثيراً ما تتحسّن خلال رحلاتهما المتعددة في أصقاع أوروپا .



مدرّس الفلسفة (١٩٣٤)

لم يكن سارتر قد قرأ لـ«سيغموند فرويد» إلاّ عدداً قليلاً من أعماله ، وقد حاول أن يستغني بأفكار وأعمال ألفرد أدلر عن أفكار فرويد وأعماله ، ولكن عقله ظلّ ضبابيّاً ومذهبه غير محدّد . وقد كتبت سيمون دو بوفوار بعد ذلك «إن جوهر تناقضاتنا مع فرويد كان يكمن في إنكارنا لمذهبه في العقل الكامن» ، وتضيف أنها وسارتر قد اتجها لهذا السبب لدراسة أدلر ، وأن نظريته المعتمدة على مركب النقص قد نالت إعجابهما . وقد أخرج سارتر خلال سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية عدة أعمال في علم النفس ، من أهمها «سموّ الأنا» سنة ١٩٣٤ ، ودراسة «الخيال» سنة ١٩٣٦ ، و«محاولة لنظرية في الانفعالات» سنة ١٩٣٩ ، و«سيكولوجية التخيّل» سنة ١٩٤٠ .

ويلاحظ أن كتابات سارتر النفسية الأولى كانت مدينة لـ«هوسرل» ولكن مذهبه أخذ يتجه بعد ذلك إلى فينومونولوجية هايدغر . وقد أنكر سارتر ، كما ذكرنا ، آراء فرويد إلاّ في ناحيتين : الأولى هي دراسات فرويد فيما يختص بالأطفال ، فقد سلّم سارتر بارتباطها برباط قوي بالجنس ، والثانية فيما يتعلق بالحالات المرضية ، وقد وجد سارتر أن باع فرويد وخبرته كانتا طويلتين ، وأن معرفته هو بها كانت ضعيفة أو منعدمة . وأمّا فيما عدا ذلك فقد أنكر سارتر فكرة فرويد في العقل الكامن ، أو كما أسماها هو «اللاشعور» ، وأقام تحليله النفسي الوجودي على فكرة «الشعور» أو «الوعي» ، ورأى أنه بقدر ما يكون المريض واعياً بقدر ما يعرف الصورة المقدمة إليه عن نفسه .

وهكذا تأرجح التحليل النفسي الفرويدي ، عند سارتر ، بين القبول والتعديل والرفض ، ويقال إنه قد بعث فيه شعوراً بالكراهية والمقت من جهة والحب والإعجاب من جهة أخرى . وصرحت سيمون دو بوفوار بعد ذلك أن سارتر أحس ناحيته باستياء شديد في الأربعينات ، حينما كان يكتب الجزء التاسع من كتابه «مواقف» بأنه كان عجزاً عن تفهّمه ، بسبب نشأته الفرنسية الخالصة ، وتشبعه بآراء ومعتقدات الفيلسوف الفرنسي ديكارت ، الذي تميل اتجاهاته إلى الواقعية ، وتتنافى مع فكرة اللاشعور .

وأشار سارتر أيضاً في «مواقف» إلى أن فرويد استخدم في الحديث عن اللاشعور لغة خاصة ذات أسلوب ومعان أسطورية ، واعتبر اتخاذ فرويد لتلك اللغة إحدى علامات «خداع النفس» أو «ضعف الثقة بالنفس» . ومن هنا أدخل سارتر فكرة جديدة في تحليله النفسي الوجودي أسماها «فكرة خداع النفس» وصفتها «إيريس مردوخ» بأنها «بعض الشعور المتردّد والعديم الأمل» . وقد جعل سارتر هذه الفكرة أساس تحليله الوجودي . وحاول بهذه الفكرة أن يفسر ما أصاب الشاعر الفرنسي بودلير حين اتخذ قراره بخداع نفسه وهو في حالة شعورية واعية . فقد لجأ بودلير ، حين وجد نفسه وحيداً بعد وفاة أبيه وزواج أمه التي أحبها من رجل آخر ، إلى وحدة اختيارية ترك فيها عالم الحقيقة إلى عالم آخر «يرى فيه الأشياء كما يحب أن يراها بنفسه» .

وقد حاول بعض علماء النفس تحليل سارتر من كتاباته وآرائه وليس من شخصه ، وانتهوا إلى أن سارتر ينتمي إلى هؤلاء الأشخاص «المعقدين» الذين وقعوا تحت تأثير العقد النفسية غير المرضية ، وأنه في طفولته ، وبالتحديد وهو في الثانية من عمره ، وقع تحت تأثير مشهد جنسي سافر شهد فيه العلاقة الجنسية بين والديه . وقد أحدث هذا المشهد اضطراباً كبيراً في داخله ووصم ذهنه به وصماً أبديّاً . وكان من نتيجة هذا أن أصبحت نفسية سارتر قلقة ، وأُصيبت نفسه بعقدة الذنب ، وراح الشك يطارده طوال عمره ، وأنه قد طغت عليه الرغبة في معاقبة نفسه ، ما ترتّب عليه ظهور رغبة كامنة فيه لصدم الغير ، وارتكاب الفواحش ، ثم القسوة مع نفسه ومعاقبتها والإساءة إليها ، والزهد في أي نوع من أنواع التكريم أو الاحتفاء .

في سنة ١٩٣٨ نشر سارتر روايته «الغثيان» وكتب في ذلك «لقد نجحت ، وأنا في الثلاثين من عمري ، في بلوغ هدفي ، في كتابة رواية كبرى» . ثم نشر في السنة التالية مجموعة قصصه القصيرة «الجدار» ، وتأكد له ، على ما ذكره بعد ذلك ، أنه عبقري وألف سقراط . ونحن نجد سارتر ، في هذين الكتابين القصصيين ، يحاول أن يصوّر «خواء الحياة الإنسانية» وأن

يضمّن روايته وقصصه بدايات فلسفته الوجودية ، ولم يكن له ، كما قال ، رأي سياسي ، ولم يكن يشارك في الانتخابات . ولكن الحرب الثانية قامت بعد أشهر من نشره كتابه الثاني ، فاستدعي للخدمة العسكرية ، ولمّا كانت صحته ضعيفة طوال حياته ، وقد فقد إبصار عينه اليمنى وهو طفل ، فقد أُلحق بوحدة أرصاد جوية بمقاطعة الألزاس على خط ماجينو ، ثم وقع في حزيران/ يونيو ١٩٤٠ أسيراً في يد الألمان ونقل إلى معسكر «XIID» القريب من مدينة تريف .

في ذلك المعسكر انشغل سارتر بالتأليف والإخراج المسرحي لزملائه الأسرى ، ولكنه اعتبر ، في آذار/ مارس سنة ١٩٤١ ، من المدنيين ، فأفرج عنه بعد تسعة شهور ، وعاد إلى وظيفته السابقة كمدرس للفلسفة في باريس . وقد نشرت كتابات كثيرة عن دور سارتر في المقاومة خلال الحرب وكتب هو بعد ذلك «لقد علمتني الحرب ضرورة الانتماء» . لكن ما تمّ من نشر ودراسات وبحوث خلال السنوات الأخيرة أوضح أن دور سارتر في المقاومة ، ومن قبلها في الجبهة الشعبية سنة ١٩٣٧ ، كان محدوداً جداً ، ولم يتعد عدداً من المقالات القليلة التي نشرتها صحف المقاومة السرية ، وأنه لم يكن كدور ألبير كامو الذي رأس تحرير صحيفة المقاومة السرية «كومبا/ الحرب» ، ولم يكن كدور أندريه مالرو الذي رفض نشر كتبه في فرنسا وهي تحت الاحتلال النازي ، بل إن رفيقته سيمون دو بوڤوار قد أخذت تعدّ وتخرج الروايات في راديو فيشي لقاء أجر باهظ ، وعندما سئلت في نهاية الحرب عن ذلك أجابت «إن ما يهم هو ما كنت أفعله هناك فعلاً» .

ولمّا كان الوقود شحيحاً في باريس فقد أخذ سارتر يقضي معظم نهاره في مقهيي «فلور» و«الكوبول» حيث التدفئة كافية . وقد شكّل مع «مرلو بونتي الفيلسوف الفرنسي و«بوست» و«بويّون» وسيمون صديقته مجموعة «الاشتراكية والحرية» ، ولكنه عاد فحلّها في خريف سنة ١٩٤١ ، ونشر عدداً من المقالات الأدبية في مجلة «الآداب الفرنسية» . وتقول سيمون في

هذا الصدد إنّ سارتر أراد أن يقصر نشاطه على كتابة مسرحيته «الذباب» وأن يجعلها الوسيلة الوحيدة التي يقاوم بها الاحتلال . وقد ظهرت «الذباب» على مسرح «المدينة» في بداية سنة ١٩٤٣ بعد أن أجازتها الرقابة الألمانية ، ورحبت بها جميع الصحف الفرنسية حتى ما كان منها ممالئاً لألمانيا وحكومة فيشي . وتقول دو بوفوار إن سارتر تعرّف في خلال هذه الفترة على ألبير كامو ، وإن كامو ظهر إلى جوار سارتر ليلة العرض الأول لمسرحية الذباب . ثم إن الألمان عادوا فتنبّهوا إلى مغزى المسرحية فأوقفوا عرضها .

وفي هذه المسرحية ، التي اقتبسها سارتر عن أخيلوس الإغريقي ، يتحول خواء الحياة الإنسانية ، أو العدمية ، في كتابي سارتر الأولين ، إلى إيجابية ، يتحمل فيها البطل مسؤوليته ، وهي مسؤولية صعبة ، ويحتل التفاؤل بالحياة مكان التشاؤم الأول . وواضح أن المسرحية نقلت إلى الفرنسيين زمن الاحتلال ما أراد سارتر أن يقوله لهم ، وهو أن على الإنسان أن يتصدى للمحتل ، حتى ولو كان هذا المحتل أباه أو أمه ، فإذا قاموا بواجبهم هذا فإن عليهم أن يتحملوا نتائج أعمالهم التي فرضها عليهم اختيارهم الحرّ وإرادتهم المسؤولة .

وفي سنة ١٩٤٣ أيضاً نشر سارتر كتابه الفلسفي «الوجود والعدم» الذي عمل فيه طوال عشر سنين كما ذكر بعد ذلك ، ويقول أحد أصدقائه «ميشيل تورنيه» إن سارتر قد جاءهم في مقهى «فلور» في أحد أيام خريف ١٩٤٣ «فألقى بمؤلفه الجديد على مائدتنا . وقد دهشنا لحظة ، ثم أخذنا نستعيد ذكريات كتابته» . ويقال إن سارتر قد تأثر في شرح فكرة الوجود في كتابه هذا بالفيلسوف الألماني إيمانويل كانط ، وإن الذي اقترح استخدام كلمة «الوجودية» هو «غابرييل مارسيل» ، وإن سارتر لم يكن موافقاً على هذه التسمية ، وقد ذكّر الحاضرين أن فلسفته فلسفة وجود ، ولكن الوجودية «لست أفهم ما تعني» . ولكن الكلمة انتشرت بعد ذلك عندما راحت الصحف والمجلات الفرنسية والغربية تطلقها على سارتر ومدرسته .

وتقول سيمون دو بوفوار إنها سمعت كلمة الوجودية لأول مرة في سنة ١٩٤٣ عندما سألها أحد الصحفيين : وأنت يا سيدتي هل أنت وجودية أيضاً؟ فلم تدر بماذا تجيبه «إذ لم أكن متأكدة من معنى الكلمة» . ثم عاد سارتر واستخدم الكلمة بعد ذلك بثلاث سنين ، أي في سنة ١٩٤٦ ، حين جعلها عنوان محاضرته ، ثم كتابه من بعد «الوجودية إنسانية» .

وفي سنة ١٩٤٤ أخرج ريموند رولو مسرحية سارتر الجديدة «الدائرة المغلقة» . وقد وجدت هذه المسرحية من النجاح ما جعل سارتر يترك التدريس ويتفرّغ كلياً للأدب والفلسفة . وقد عرضت المسرحية على المسارح الإنكليزية وفي أميركا تحت اسم «لا مخرج» أحياناً وأحياناً أخرى باسم «حجرة المداولة» وبالعربية باسم «جلسة سرية» . وقد تحدث سارتر في هذه الفترة عن حياته ومسرحياته ، فكان مما قاله عن نفسه إنه أشبه بـ«الضفدع» ، وقال إن اهتماماته الثقافية أقل أهمية عنده ، وتعقيداً ، من حياته الجنسية ، ثم ذكر أنه يظن أن ما يجعل لشخصياته المسرحية تأثيراً هو سهولتها .

عند نهاية الحرب العالمية الثانية ذهب سارتر إلى أميركا مراسلاً خاصّاً لصحيفتي «كومبا» و«لو فيغارو» ، وأخذ يكتشف الحياة الأميركية والثقافة الأميركية . وحين عاد من رحلته في خريف سنة ١٩٤٥ بدأ يكتب مقالاته الشهيرة عن الآداب المعاصرة ، وهي المقالات التي خصّ فيها بالذكر الكتّاب الأميركيين الجدد : همنغواي وفوكنر وشتاينبك ودوس باسوس . وقد عرض عليه في هذا الوقت وسام «لجيون دونُر» (جوقة الشرف) ولكنه رفضه . وقد ذكر سارتر أنه قد شعر بعد الحرب أنه لن يستطيع العيش بمعزل عن الحياة السياسية والالتزام السياسي ، ولذا استحدث من هذه الفكرة فكرتي «الشرعية» و«الأصالة» . ومع أن فكرة الوجود الشرعي منعته من الانتساب إلى أي حزب ، فإنها أدت به فيما بعد إلى أن يصبح «رفيق سفر» للحزب الشيوعي الفرنسي . وأهم من هذا كله أنه يلتزم في كتاباته ، لأنه نظر إلى الكتابة ، وإلى أحاديثه أيضاً ، كصورتين من صور «العقل» .

والذي لا شك فيه أن شعبية جان پول سارتر ، وانتشار الوجودية ، قد

زادت زيادة كبيرة في نهاية الأربعينات وأوائل الخمسينات ، حتى أصبح سارتر وسيمون دو بوفوار أشهر مثقفين على الجانب الأيسر للنهر في باريس .

في خريف سنة ١٩٤٥ ظهر لسارتر جزءان من رباعيته «دروب الحرية» التي تأثّر في كتابتها بكتاب «باسوس» «أميركا» ، وهما «سن الرشد» و«وقف التنفيذ» . ثم صدر الجزء الثالث منها «الموت في النفس» سنة ١٩٤٨ . ونشر سارتر في السنة التالية ، ١٩٤٩ ، فصلين كبيرين من الجزء الرابع في مجلته «العصور الحديثة» وقد أسماه «الفرصة الأخيرة» ، ولكنه لم يتم هذا الجزء ولم ينشره كتاباً مستقلاً حتى وفاته ، بل إنه صرح أنه لن يضيف إلى ما كتب شيئاً ، وصرّح للناقد الإنكليزي «كينيث تينان» بأنه قد ترك الرواية «لأن موضوعها ، وسنوات المقاومة البطولية في فرنسا ، بدت لي غير ملائمة من الناحية الفنية ، ولأن الأشياء قد أصبحت أكثر تعقيداً وأكثر رومنسية . وكان هناك كثير من الأحداث والمزالق المتشابكة ، ولم يكن سهلاً أن يموت بطل الرواية ، الملتزم بفكرة الحرية ، خلال أعمال المقاومة» .

قام سارتر في خريف سنة ١٩٤٥ بإلقاء محاضرته الشهيرة «الوجودية إنسانية» ـ المشار إليها ـ والتي تعرف أحياناً باسم «الوجودية مذهب إنساني» ، ثم نشرها بعد إلقائها كمقال مستقل في مجلته «العصور الحديثة» التي أصدر أول أعدادها في ١٥ تشرين الأول/ أكتوبر سنة ١٩٤٥ ، وقد أسسها مع سارتر آرون وكامو ومالرو وليري ومارلو پونتي وألبرت أوليڤييه . وقد صدّر سارتر العدد الأول منها بكلمة طويلة قال فيها «إننا سنطارد الدم ، وسنقول الحق ، عن العالم ، وعن أنفسنا» .

سنة ١٩٤٦ نشر سارتر مسرحيّتيه «موتى بلا قبور» و«المومس الفاضلة» . وقد تناولت المسرحية الأولى أحداث المقاومة الفرنسية ، وكانت من أسوإ مسرحياته . وأما المسرحية الثانية فقد هاجمت العنصرية الأميركية هجوماً قاسياً . وفي هذه السنة اختلف الشيوعيون مع سارتر ، فأسماه «روجيه غارودي» «النبي الكاذب» وأطلق عليه اسم «لحاد الأدب» ، وكالت له

جريدة الشيوعيين الاتهامات كأحد كلاب الأمبريالية . وقد دفعه هذا الهجوم ، لا لردّ الكيل للشيوعيين ، بل لمهاجمة البورجوازية الفرنسية ، ومعارضة الحرب في الهند الصينية ، إلى إصدار ـ سنة ١٩٤٧ ـ الجزء الأول من كتابه النقدي «مواقف» والذي توالت بعد ذلك بقية أجزائه . ثم أخذ ينشر في مجلته الجزء الثاني من ذلك الكتاب «مواقف» الذي يشكل «ما هو الأدب» أهم صفحاته . كذلك نشر دراسته ومختاراته «ديكارت» في السنة نفسها .

وعندما تفاقم الخلاف مع الشيوعيين الفرنسيين ترك آرون وألبرت أوليڤييه تحرير مجلة «العصور الحديثة» ، واتسع الخلاف مع كامو حتى أدى إلى القطيعة بينهما في سنة ١٩٥٢ . ووجد سارتر أنه من الضروري لفرنسا أن تختار بين «الاتحاد السوڤيتي والكتلة الإنجلو ساكسونية» ، وأخذ يساهم في الإذاعة الفرنسية ببرنامج أسبوعي كان الغرض منه فرض حياد فرنسا بين الكتلتين العظميين . وقد رحّب به الديغوليون الذين اتفقت سياستهم مع سياسته ، ولكنه حين قارن في أحد الأيام بين هتلر وديغول ثاروا عليه وأوقفوا برنامجه .

كذلك نشر سارتر سنة ١٩٤٧ كتابه «بودلير» الذي هاجم فيه الشاعر الفرنسي الكبير ، لعجزه وتناقضه ، ورفضه التفوق بالالتزام ، وتسليمه بالتقاليد والخطيئة . وفي نهاية السنة نفسها أصدر سارتر روايته «الرهان قد تمّ» التي عُرّبت تحت اسم «تمت اللعبة» . وفي السنة التالية ـ ١٩٤٨ ـ نشر «الجريمة العاطفية» . وكان سارتر قد اشترك سنة ١٩٤٨ مع جورج ألتمان وجان روه وداڤيد روزنثال وداڤيد روسيه في تأليف «التجمع الديموقراطي الثوري» ، وقد أثار هذا ثائرة الشيوعيين ، فعلقوا على ما فعله بقولهم إن سارتر بعد كل ما أكل من أطباق على موائد الاستعمار الأميركي قد باع لهم ما تبقى من شرفه .

وقد اجتذب التجمع بعض المثقفين ولكنه لم ينجح في اجتذاب واحد من العمال ، واضطر سارتر بعد ذلك بأشهر إلى حلّه واتجه بعدها إلى ممالأة الشيوعيين . وفي نهاية ١٩٤٨ أصدر مأساته التي صوّرت علاقته المضطربة

مع الشيوعيين «الأيدي القذرة» ، والتي ظهرت على مسارح برودواي وأوروبا باسم «القفازات الحمر» .

وفي ١٦ تموز/ يوليو ١٩٤٨ وجّه أديبنا الفيلسوف خطاباً علنيّاً إلى رئيس الجمهورية الفرنسية طالب فيه بالعفو عن جان جينيه الشاعر قائلاً : «إن مثالي فيلون وڤيرلان يحتمان علينا أن نطالبك بمساعدتنا على الإفراج عن شاعر كبير» .

بعد أربع سنوات أصدر سارتر كتابه الفذ «القديس جينيه ، كوميدي وشهيد» وهو بحث في معتقدات هذا الأديب منذ صباه ، وشرح لمعتقداته الفلسفية والسيكولوجية . ويقول عنه سارتر : «لقد تعرفت على أحط الناس ومن أكثر أنواعهم غرابة» . ويقول عن كتابه الذي ألفه عنه : «لقد حاولت أن أبيّن في هذا الكتاب بأكثر ممّا فعلت في أي كتاب آخر معنى الحرية» .

وكان سارتر كتب في سنة ١٩٤٨ أيضاً سيناريو «الاشتباك» . وكتب في العام التالي الجزء الثالث من «دروب الحرية» ، كما تقدّم ، والمسمّى «الموت في النفس» .

وفي سنة ١٩٥١ ظهرت له مسرحيته «الشيطان والرحمن» أو «الشيطان والإلــه الطيب» . وما لبث أن قطع صلته بالشيوعية والشيوعيين عندما اجتاحت الجيوش الروسية المجر سنة ١٩٥٦ . وفي شباط/ فبراير ١٩٥٩ قبض البوليس الفرنسي على المجموعة المعروفة باسم مساعد سارتر «جانسون» ، فتضامن معها سارتر ووقف يؤيدها أمام القضاء . وقيل إن ديغول قد سئل في هذا الوقت : لماذا لا يقبض على سارتر؟ وأنه أجاب : إن سارتر هو أيضاً فرنسا . وهل أستطيع أن أقبض على ڤولتير؟ وقد ساهم سارتر في آب/ أغسطس من السنة نفسها في بيان زعماء الفكر (الـ١٢١) في فرنسا ، في تأييدهم القوي للجزائر ، وردّ المحافظون على هذا البيان بالسير في شوارع پاريس هاتفين : اضربوا سارتر بالرصاص .

وفي آذار/ مارس ١٩٦٠ كتب سارتر مقدمة كتاب «عدن عربية» . ثم كتب في السنة التالية مقدمة كتاب «المعذبون في الأرض» لفرانتز فانون .

وكان أن ردّ المحافظون الفرنسيون على مناوأة سارتر لهم بنسف منزله في باريس مرتين خلال سنتي ١٩٦١ و١٩٦٢ . ثم إن سارتر تبنّى سنة ١٩٦٥ الطفلة الجزائرية أرليت .

وكانت مسرحية سارتر «أسرى ألتونا» عرضت لأول مرة سنة ١٩٥٩ ، وهي مسرحية غامضة نوعاً ما ، تمثل تعذيب الفرنسيين للجزائريين . وقد حاول سارتر فيها أن يفضح هذا التعذيب أمام الفرنسيين بجعله بطلها فرانتز ، الضابط النازي السابق ، ينحرف نحو الجنون . وقد ترجمت هذه المسرحية إلى الإنكليزية باسم «الخاسر يربح» ولكنها لم تلق النجاح على المسارح الأوروپية والأميركية .

وقد نشر سارتر سنة ١٩٦٠ الجزء الأول من كتابه الفلسفي «نقد العقل الديالكتيكي (الجدليّ)» الذي اتجه فيه إلى نقد الواقع الاجتماعي والتاريخي ، بعد أن كان قد اهتم في كتابه الأول «الوجود والعدم» بالموقف الميتافيزيقي والذاتية الخاصة . ولم يظهر بعد هذا الجزء أجزاء غيره .

ونشر سارتر سنة ١٩٦٤ دراسته «الكلمات» ، وفيها يتجاوز «غثيان» أعماله الأولى . ويظهر له «فجأة عامل إيجابي هو الحرية» . كما نشر سنة ١٩٦٥ مسرحيته الأخيرة «نساء طروادة» . وكان فاز سنة ١٩٦٤ بجائزة نوبل للآداب ولكنه رفض تسلمها قائلاً : «إن هؤلاء الذين يقدمون التشريفات ، سواء أكانت وسام الشرف أم جائزة نوبل ، لا يملكون في الحقيقة صلاحية تقديمها . فمن له الحق في أن يمنح «كانت» أو «ديكارت» أو «غوته» جائزة تكريمية؟ ثم ألا يؤدي هذا إلى خلق طبقات هرمية في عالم الأدب؟» . ووصف الجائزة بأنها سياسية وأنها مثل جائزة لينين ، ولو عرضت عليه الثانية فلن يقبلها للسبب نفسه ، وقال : «إنّ من المؤسف أن باسترناك قد حصل على جائزة نوبل قبل تشيخوف ، وأن المؤلف السوفيتي الوحيد الذي فاز بهذه الجائزة ممنوع من دخول بلاده» .

في سنة ١٩٦٥ رفض سارتر زيارة أميركا لإلقاء بعض المحاضرات . وبعدها بسنتين ، في أيار/ مايو ١٩٦٧ ، رفض زيارة الاتحاد السوفيتي بسبب

الإجراءات التي اتخذتها السلطات ضد الكاتب الروسي سينياڤسكي . وفي السنة نفسها تدخل لدى حكومة بوليڤيا مرات إلى أن تمّ الإفراج عن الكاتب الفرنسي دوبريه . وكان سارتر قد اشترك منذ تموز/ يوليو ١٩٦٦ في محكمة برتراند راسل لمحاكمة مجرمي الحرب في ڤيتنام ، وتولى رئاسة هذه المحكمة في آخر السنة التالية (١٩٦٧) عند وفاة راسل ، وواجه شعب الولايات المتحدة الأميركية بمسؤوليته عن الحرب . وكان زار مصر والأراضي المحتلة ، في بداية السنة نفسها ، وأعلن أنه قد «أحس إحساساً عميقاً بمأساة اللاجئين الفلسطينيين الذين يعيشون في ظروف بائسة» . وأضاف : «إنني أعتبر أن حق الفلسطينيين القومي في العودة إلى البلد الذي كانوا يعيشون فيه حق لهم لا تجوز مناقشته إطلاقاً . . .» .

في شهر أيار/ مايو ١٩٦٨ اشترك سارتر في مظاهرات طلاب پاريس وسمح للجماعات الماوية واليسارية الأخرى باستخدام اسمه في أعمالها . وفي السنة التالية هاجم الاتحاد السوڤيتي لتدخله في تشيكوسلوڤاكيا . وعندما ألقي القبض على رئيس تحرير «La Cause du Peuple» سنة ١٩٧٠ أيضاً رأس سارتر رئاسة تحرير هذه الصحيفة .

وفي سنة ١٩٧١ بدأ سارتر دراسته عن «فلوبير» «أبله العائلة» ، وكان عمل فيها طيلة ست عشرة سنة ، ولكنه لم يتمها مع ذلك حتى وفاته . ورأس في أيار/ مايو سنة ١٩٧٣ رئاسة تحرير صحيفة «ليبراسيون» ، ولكنه سرعان ما تخلى عنها لأسباب صحية . ففي تلك السنة أُصيب بنوبة قلبية أعقبها نزيف في قرنية العين كاد يفقده البصر تماماً ، فاحتاج أن يقلل من أعماله ، وتزايد اعتماده على رفيقة حياته سيمون دوبوڤوار ، فكانت تقرأ وتكتب له ، وتصحبه في كل مكان . وكانت حركته زادت صعوبة ، وأخذا يقضيان فصول الشتاء في إيطاليا ، ورغم ذلك لم يتوقف عن شرب الخمر والتدخين .

وفي مساء الأربعاء ١٥ آذار/ أبريل سنة ١٩٨٠ توفي سارتر في مستشفى بروسيه بپاريس ، وكان له من العمر خمسة وسبعون عاماً . وقد سار في جنازته رئيس الجمهورية الفرنسية ، وأعلنت فرنسا عليه الحداد الرسمي .

أهم مؤلفات جان بول سارتر :

Romans et nouvelles	**قصص وروايات**
- La Nausée (1938)	الغثيان
- Le Mur (1939) Nouvelles	الجدار (مجموعة قصص)
- Les Chemins de la liberté (1945)	دروب الحرية
- L'âge de raison	سن الرشد
- Le sursis	وقف التنفيذ
- La mort dans l'âme	الموت في النفس
- Les Jeux sont faits (1947)	الرهان قد تمّ
Théâtres	**مسرحيات**
- Bariona, ou le Fils du tonnerre (1940)	باريونا ، أو ابن العاصفة
- Les Mouches (1943)	الذباب
- Huis clos (1944)	الدائرة المغلقة
- La Putain respectueuse (1946)	المومس الفاضلة
- Morts sans sépultures (1946)	موتى بلا قبور
- Les Mains sales (1948)	الأيدي القذرة
- Le Diable et le Bon Dieu (1951)	الشيطان والإلــه الطيب
- Kean (1954)	كين
- Nekrassov (1955)	نكراسوف
_ Les Séquestrés d'Altona (1959)	أسرى ألتونا
- Les Troyennes (1965)	نساء طروادة
Essais	**دراسات**
- Les Mots (1964)	الكلمات
- Situations I (1947)	مواقف ١
- Situations II (1948)	مواقف ٢
- Situations III (1949)	مواقف ٣

- Situations IV (1964) — مواقف ٤
- Situations V (1964) — مواقف ٥
- Situations VI (1964) — مواقف ٦
- Situations VII (1965) — مواقف ٧
- Situations VIII (1972) — مواقف ٨
- Situations IX (1972) — مواقف ٩
- Situations X (1976) — مواقف ١٠

Essais politiques — **دراسات سياسية**

- Réflexions sur la question juive (1946) — تأملات في المسألة اليهودية
- Entretiens sur la politique (1949) — محادثات عن السياسة
- L'Affaire Henri Martin (1953) — مسألة هنري مارتن
- Préface aux "Damnés de la Terre" de Frantz Fanon (1961) — مقدمة «المعذبون في الأرض»
- On a raison de se révolter (1974) — لنا الحق في أن نثور

Critique littéraire — **نقد أدبي**

- La république du silence (1944) — جمهورية الصمت
- Baudelaire (1946) — بودلير
- Qu'est - ce que la littérature? (1948) — ما هو الأدب
- Saint Genet, comédien et martyr (1952) — القديس جينيه كوميدياً وشهيداً
- L'Idiot de la famille (1971 - 1972) sur Flaubert — أبله العائلة (عن فلوبير)

Philosophie — **فلسفة**

- L'imagination (1936) — الخيال
- La Transcendance de l'Ego (1937) — صعود (سموّ) الأنا
- Esquisse d'une théorie des émotions (1938) — محاولة لنظرية في الانفعالات
- L'imaginaire (1940) — سيكولوجية التخيّل (الخياليّ)

الوجود والعدم	- LÊtre et le Néant "essai d'ontologie phénoménologique" (1943)
الوجودية إنسانية	- L'existentialisme est un humanisme (1945)
الشعور ومعرفة الذات	- Conscience et connaissance de soi (1947)
نقد العقل الجدلي (الديالكتيكي)	- Critique de la raison dialectique I: Théorie des ensembles pratiques précédé de question de méthode (1960)
سيناريو	**Scénarios**
الرهان قد تمّ	- Les Jeux sont faits (1947)
الاشتباك	- L'Engrenage (1948)
الجريمة العاطفية	- Crime passionel (1948)
تيفوس	- Typhus (1943)

أسرى ألتونا

إن اتضاح البعد الاجتماعي في فكر سارتر بشكل تدرّجي ، فيما أعقب فترة تحرير فرنسا من الاحتلال الألماني ، يؤدي إلى ظهور فوارق جوهرية بين أعماله الدرامية التي وضعها خلال المقاومة وبين الأعمال التي أنتجها بعد ذلك . ففي أعمال من مثل «الذباب» و«جلسة سرية» و«موتى بلا قبور» التي ، وإن كانت قدّمت بعد التحرير ، ارتبطت بتجربة المقاومة وما أفرزته من مواقف ، كان الماضي الذي شكل البعد الاجتماعي - الاقتصادي في حياة الأبطال خصوصاً ، يكاد يكون هامشيّاً . وعلى العكس من ذلك فإن الأعمال التي كُتبت في النصف الثاني من الأربعينيات والخمسينيات مثل «العاهر الفاضلة» و«الأيدي القذرة» و«الممثل كين» و«نيكراسوف» و«أسرى

ألتونا» و«الشيطان والرحمن» يتجلى فيها البعد الاجتماعي ممتزجاً بتناقض ونقد أيديولوجي ومحاولة متعمدة أو غير متعمدة لإنتاج صور زائفة عن الواقع وتسويغ الذات بها .

وأياً كان الأثر ، فقد جاءت أعمال سارتر الدرامية في أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين مرتبطة بشكل أو بآخر بتيارات الحداثة الفنية ، ومتأثرة بها في الوقت عينه ، خصوصاً في تناول مفهوم الزمن الدرامي . ولكن بالرغم من أن سارتر عبّر عن إعجابه الشديد بأعمال برتولد بريشت ومنحاه الفلسفي إلى الماركسية ، فإنه مع ذلك لم يتحمّل أساليبه الفنية ، ولم يسع قط إلى أن يشاركه فيها ، وبالمثل أبدى إعجابه بدراما العبث ، ولا سيما حين عرض صموئيل بيكيت عمله «في انتظار غودو» عام ١٩٥٤ كما ذكر محمد خميس في تقديمه لمسرحية «أسرى ألتونا» ، غير أنه لم يقترب من تقنياتها الفنية ، وإن كانت أفرزت الشكل الفني الذي يعتبر تجسيداً للفلسفة الوجودية .

والواقع أن سارتر وأضرابه من الكتّاب الوجوديين ، ومن حذا حذوهم وتأثروا بهم بدرجة أو بأخرى ، آثروا الشكل الفني التقليدي ذا الطابع الأرسطي ، وإن أعادوا دون شك تأسيسه في سياق فلسفتهم ورؤاهم الجمالية . ففي دراما سارتر ، مهما بلغت من التركيز والتكثيف كما نجد في «جلسة سرية» ، أو أصابها شيء من التطويل والتهلهل نتيجة تكنيك «الفلاش باك» كما في «الأيدي القذرة» أو «أسرى ألتونا» التي يتداخل فيها الزمن الحاضر مع الاسترجاع ، نجد بناء مألوفاً في تطوير الشكل الفني ، فمن مرحلة المقدمة (البرولوغ) أو العرض ، التي تخصّص لتعريف الشخصيات والعلاقات بينها والموقف الذي يجمع خصائصها ، إلى الحدث الحافز أو نقطة الهجوم التي تولّد المفارقة الدرامية ممّا ينشط الفعل في إطار من التناقضات يتكشّف معها الصراع في خط صاعد عبر سلسلة من التعقيدات تنتهي إلى ما يُعرف بمشهد الذروة ، ثم مشهد التعرّف ، أو الاستنارة ، الذي تنفض معه المفارقة وتدرك الشخصية ما كان مجهولاً عنها

أو عن شبكة العلاقات التي انخرطت فيها ودمجتها في سياقها ، ويبدأ معها الخط البياني رحلة الهبوط ، فيؤدي التعرّف إلى تحول أو انقلاب مواقف الشخصية ، بما يغيّر أو يعيد بناء العلاقات على نحو مختلف ، فيمهّد في الوقت نفسه للنهاية الدرامية أو الحل الذي يشكل إجابته عن السؤال الدرامي العام الذي تولّد منه الفعل(*) .

ولما كان حجر الزاوية في هذا الشكل من البناء الفني يتمثّل في مرحلة العرض والحدث الحافز الذي تتولّد معه المفارقة ، ما يضفي تأثيره في البناء ككل ، فإن الكاتب الوجودي يُعنى عناية خاصة بهما ، بحيث يتخذ الموقف الابتدائي من السمات والتفصيلات ما يجعل منه موقفاً وجودياً تواجه الشخصية فيه نفسها وذاتها في تزامن مع تعرّفها على العالم الذي تُلقى فيه ـ ربما على غير انتظار منها أو توقّع ـ فكأنها على هذا النحو تواجه عرضية الوجود وما يثيره فيها من غثيان وقلق التشيّؤ ، بينما تدرك على نحو أعمق «ذاتها» بوصفها اللاشيء الحر الذي تقوم به الأشياء ، ويمكنه بالتبعية أن يتجاوز نفسه ويتجاوز عرضية الوجود في وقت معاً ، بالاختيار وتنفيذ الفعل الذي يخلق الماهية بمثل ما يمنح العالم معناه وجدواه ، باعتبار أشيائه أدوات الفعل .

انطلاقاً من هنا ، فإن مرحلة العرض أو المقدمة تعتبر مرحلة في تيقّظ الحواس على معطيات الموقف والحيّز الذي يشغله في الزمان والمكان ، والشروط الموضوعية التي ينطوي عليها ، وتشكل في الوقت عينه قوانين العلاقة بين «الأنا ـ الآخرين» ، بينما يصبح الحدث الحافز دافعاً لاكتشاف الشخصية حدود حريتها بما فيها من إمكانات اختيار مفتوحة ، ولا يمكن أن تقيّد أو تحدّد ـ في الوقت نفسه ـ بأي جبرية سابقة على وجودها في الموقف . والسمات الأساسية في هذا الموقف تتجسّد في تنويعات مهمة يمكن إجمالها في أربعة تنويعات تتردّد في الدراما الوجودية سواء أكان كاتبها سارتر أو ألبير كامو أو غابريل مارسيل أو غيرهم ممّن تأثروا

(*) انظر تقديم د . سيد إمام لمسرحية سارتر «نيكراسوف» ص١٤ .

بالوجودية كوسط ثقافي في السياق التاريخي نفسه ، وهذه التنويعات هي : إعادة تحديد المسافة الميلودرامية ، فقدان الذاكرة ، الموقف الاستثنائي ، وعبء السلطة المطلقة .

في آخر أعمال سارتر «أسرى ألتونا» يعود إلى تقنية مسافة الزمان والمكان إلى جانب حيلة ميلودرامية أخرى في بناء الموقف الابتدائي . ففيها يخترق عالم أسرة ألمانية تمزقت بين خدمة النازية قبل الحرب وفي خلالها ، وخدمة الحلفاء الذين زحفوا على ألمانيا في نهايتها ، ويبدو كأنه يصفي من خلالها أيضاً حساباته مع الحرب ومفهوم المصالح الرأسمالية التي شكلت التاريخ والمناخ النفسي في أوروبا إبان القرن العشرين ، سواء في الحرب العالمية الأولى والثانية أو حركات التحرر الوطني من الاستعمار ، بما اكتنفها من أشكال مقاومة ومعارك كبيرة أو صغيرة ، ومظاهر قمع وقهر متفاوتة الشدة .

في «أسرى ألتونا» يتشكّل موقف «هنا/ في بيت الأسرة التي يعتبر عائلها من رجال الصناعة ويقف على رأس أكبر مؤسسة صناعية لإنتاج المنشآت البحرية - الآن سنة ١٩٥٩» . لكن أبعاده ترجع إلى ثلاثة عشر عاماً مضت ، أي إلى سنة ١٩٤٦ ، زمن أن أجرت قوات الحلفاء محاكمات نورمبرغ للنازية التي أشعلت فتيل الحرب ، واقترفت العديد من الجرائم في معسكرات الاعتقال والتعذيب . فمنذ هذا التاريخ انسحب الابن فرانتز إلى غرفته الخاصة في البيت ، وحرص الأب جيرلاخ على إخفائه حتى لا تدركه المحاكمة لأنه شارك في الحرب على الجبهة الروسية ، وعاد في نهايتها إلى البلاد متسلّلاً عبر پولندا ، وقد أسهم فيما تجري المحاكمات بشأنه ، وإن لم يكن نازياً في يوم من الأيام . ولم يكتف الأب بذلك ولكنه أشاع موت ابنه فرانتز في الأرجنتين ، واستطاع أن يدبر له شهادة وفاة زائفة سنة ١٩٥٦ .

في ظل هذه الأوضاع تعيش الأسرة تحت التهديد الدائم بالتفتيش المفاجئ الذي يمكن أن يسفر عن العثور على فرانتز ، ويعاد إليه توجيه

الاتهام على جرائم لا يمكن أن تسقط بمرور الزمن ، ويوجه إليها في الوقت نفسه الاتهام بسجن إنسان والإسهام في إخفاء مطلوب للعدالة وتزوير محضر رسمي بموته واستخدامه . وعلى أي حال لم يكن ثمة ما يسوّغ ، طيلة هذه السنوات ، أن تفجر الأسرة سرّها وتخوض في ما قد يفسد أمنها ، ما دام الأب موفور الصحة ثابت المكانة التي تحول دون أن يخضع بيته لتفتيش السلطة ، وما دامت ابنته ليني تتصل بأخيها «الأسير» وتشرف على شأنه والاعتناء به ، فكاد أن يكون سبب وجودها إن لم يكن كذلك بالفعل .

لكنّ الموقف يتكشّف منذ اللحظة الأولى عن ملمس درامي (ميلودرامي) آخر لا يلبث سارتر أن يمتص تأثيره التقليدي ، فيما درجت عليه الأسرة من هزل أحياناً ، وعريهم النفسي بعضهم بإزاء بعض أحياناً أخرى ، فمن المؤكد أن الأب أصيب بسرطان الحلق ، ويتهدده الموت في غضون ستة أشهر على الأكثر ، وينبغي أن يرتب أمان بيته ، وبالتحديد أمان فرانتز مرة ثانية ، ولذا يدعو أفراد أسرته (ابنته ليني ، ابنه ورنر الذي امتهن المحاماة لفترة ، إلى أن استدعاه أبوه لمعاونته في إدارة مؤسساته منذ ثمانية عشر شهراً ، وزوجة ابنه جوهانا التي اقترن بها منذ ثلاث سنوات إبان عمله محامياً ناجحاً في هامبورغ ، ولم تشأ أن تعترض على عودته إلى بيته والإقامة فيه كي لا تضعه في حال اختيار بينها وبين أبيه) ليفضي إليهم بما عزم عليه من ترتيبات ، يود لو أقسموا على الوفاء بها ، سواء فيما تبقى له من حياة أو بعد وفاته .

والحقيقة أن الترتيبات التي يدعو الأب أسرته إلى الوفاء بها ، بالإغراء أحياناً وبالغمز الميلودرامي أحياناً أخرى ، وإثارة المخاوف لديهم بالتهديدات المحتملة ، هي التي تشكل ، إلى جانب عزلة فرانتز الطويلة ، سمات الموقف الوجودي ، خصوصاً أن هذه العزلة ، أو المسافة الميلودرامية بتعبير أدق ، أعيد تعيينها بحيث تهاوى معها كل ما يعتبر جبريات كامنة في علاقة القربى والدم ، بما تقتضيه من واجبات ، كما أتاحت لفرانتز فرصة ذهبية ـ

سواء أكانت باختياره أو رغماً عنه ـ لمعايشة نفسه والماضي ، الذي لم يعد قابلاً للتعديم وفق تطور فكر سارتر نفسه ، ويتنبّه ولو تدريجاً لما يعانيه من تجارب نفسية ذات طابع وجودي بشكل جوهري ، من مثل غثيان التشيّؤ والقلق بمختلف أبعاده الممكنة ، ومنها اكتشاف حدود حرية ذاته مقابل ما كان يصدر إليه من أوامر أو يستجيب له من نداء خارجه ، بالإضافة إلى تجربة السقوط في فخ الجبرية وما تنطوي عليه من مفهوم سوء الطوية الذي يجعل منه قذراً لا يود أن يختار ، أو يختار بينما يكذب على نفسه ويكذب على الآخرين في الوقت عينه ، ولا سيما أن التجربة الأساسية في ماضيه ترتبط بتحول أبيه بين خدمة النازية ، على الرغم من عدم إيمانه بها ، وخدمة الحلفاء على الرغم من أنهم احتلوا ألمانيا وجروا شعبها إلى مهانة المحاكم .

الأب في «أسرى ألتونا» يمنح ابنه الأصغر ورنر رئاسة مؤسساته الصناعية مقابل القسم على البقاء في البيت ، ولكن لئن كان ورنر أفشى سر أخيه فرانتز لزوجته جوهانا ، فإن هذه الأخيرة لا تلبث أن تدرك أن مطلب الأب يعني البقاء على خدمة ابن يدّعون موته لأسباب تجهلها ، فلا يملك الأب إلاّ أن يكشف عن خطته كلها ، خصوصاً أنه أدرك أن جوهانا ستكون حجر عثرة في طريق ترتيباته ، لأنها لا تسلّم بما يسلّم به زوجها ، ولو مرغماً ، من نداء الواجب . فالموقف يتطلب وجود ورنر دائماً بصفته محامياً دارساً للقانون ، سواء لمواجهة التفتيش المفاجئ للبيت ، أو لمواجهة احتياجات أخيه ، خصوصاً إذا تعرّضت ليني لحادث ، وهي التي اعتادت أن تقود سيارتها بسرعة فائقة . وعلى الرغم من أن فرانتز لم يفقد عقله ، فإنه لن يبادر قط باستدعاء أحد من الخدم ، وإن هو مات في محبسه ، فحينئذ ستتعفّن جثته وتفوح رائحته حتى تزكم الأنوف ، ولن تكون إلاّ الفضيحة التي حاذرتها الأسرة طيلة ثلاثة عشر عاماً ، والتي لن يسلم منها ورنر نفسه وزوجته جوهانا .

على هذا الأساس يبني الأب شروط حياة للأسرة ترتهن في حريتها ،

بموت فرانتز ودفنه في صمت في حديقة البيت ، الأمر الذي بدا فرانتز معه قوياً ـ فيما يقول الأب ـ يعيش في مودة مع الموت ، بينما يمسك بين يديه بمصير الآخرين ، وتشكك جوهانا(*) :

جوهانا : هل فرانتز مثلهم؟

الأب : نعم .

جوهانا : ماذا تعلم عنه ، بعد ثلاثة عشر عاماً؟

الأب : إننا أربعة هنا ، هو قدرنا ، حتى دون أن يفكر بذلك .

جوهانا : بم يفكر إذاً؟

ليني : (ساخرة وقاسية ، لكن صادقة) ، بالسراطين .

جوهانا : طوال النهار !

ليني : ما أرقّها من شواغل ! إنها في عمر أثاثكم . هيا ! إنكما لا تؤمنان بها .

وأيّا كان الحال فإن الشروط تُعدّ بمنزلة الحدث الحافز أو نقطة الهجوم على شبكة العلاقات المستقرة في الأسرة طيلة السنين الثلاث عشرة تقريباً ، على نحو يؤدي إلى تفجير التناقض الكامن فيها ، وإدماج الماضي بالاسترجاع وإعادة التجسيد في الحاضر ، وصياغة الفعل حول سؤال المصير ، قبولاً لها ـ طوعاً أو قسراً ـ أو تمرّداً عليها ، خصوصاً من جوهانا التي لا تكاد تقبلها ما يوقعها في أحابيل «الأب ـ ليني» اللذين يزيدانها شغفاً بفرانتز ، ويدعيان أنها كانت أولى به ، على نحو يفصم علاقتها بزوجها ورنر ، ويمهد ـ وإن خسرت الجولة الأولى وعجزت عن دفع ورنر إلى رفض الشروط ومغادرة البيت معها ـ لتحديها واقتحام عالم فرانتز وتعرية ما ينطوي عليه من أسرار ممكنة ذات مغزى أخلاقي شائك ، سواء فيما يتعلق بعلاقته بأبيه أو بأخته ليني أو بأخيه ورنر ، أو بها هي نفسها .

(*) من تقديم د . سيد الإمام لمسرحية «نيكراسوف» .

شخصيَات المسرحية

جيرلاخ غيرلاتش : ثري وصاحب أكبر مؤسسة صناعية لإنتاج المنشآت البحرية

فرانتز : ابن جيرلاخ البكر ، ملازم فار من مواجهة محكمة نورمبرغ

ورنر : ابن جيرلاخ ، محام

ليني : ابنة جيرلاخ

جوهانا : زوجة ورنر

غلبير : إداري في مصنع الأب

كلاجس : ملازم ، زميل فرانتز

هنريخ : رقيب في فرقة الملازم فرانتز

هرمان : رقيب في فرقة الملازم فرانتز

تجري أحداث المسرحية في بيت آل غيرلاتش
في ألتونا ، بلدة في هامبورغ على نهر إلبي .

الفصل الأول

(غرفة واسعة ملأى بالأثاث المتصنّع القبيح ، معظم قطعه ألمانية تعود إلى نهاية القرن التاسع عشر . سلّم داخلي يؤدي إلى سطح صغير . على هذا السطح ، باب موصد . نافذتان على شكل بابين تطلان ، من اليمين ، على حديقة وارفة الظلال ، نور الخارج يبدو مخضراً تقريباً بسبب لون أوراق الأشجار التي يجتازها في جدران الغرفة ، من اليمين واليسار ، بابان . وعلى الجدار الخلفي ثلاث صور كبيرة لفرانتز ، يحيط أطرها من الأسفل واليمين شريط حريري) .

المشهد الأول

ليني - ورنر - جوهانا

(ليني واقفة ، ورنر جالس على مقعد ، جوهانا جالسة على ديوان . الثلاثة صامتون ، ثم ، بعد فترة ، تدق ساعة الحائط الألمانية الضخمة ثلاث دقات فينهض ورنر على عجل)

ليني : (بصوت عالٍ) : انتباه ! (فترة) . في الثالثة والثلاثين ! (ساخطة) لكن عد إلى جلستك !

جوهانا : لماذا؟ هل حانت الساعة؟

ليني : أي ساعة؟ إنها بداية الانتظار ، هذا كل شيء . (ورنر يهز كتفيه) سوف ننتظر . أنت تعلم ذلك جيداً .

جوهانا : كيف يمكنه أن يعلم؟

ليني : لأنها القاعدة المتّبعة ، في كل مجالس العائلة . . .

جوهانا : وهل هي كثيرة هذه المجالس؟

ليني : لقد كانت أعيادنا .

جوهانا : للمرء من الأعياد ما يبتغيه إذاً؟

ليني : (متابعة) كان ورنر يصل قبل الموعد والشيخ هندنبرغ يجيء متأخراً .

ورنر : (لجوهانا) لا تصدقي من هذا الكلام كلمة . كان الأب على الدوام دقيقاً في مواعيده دقة عسكرية .

لیني : صحيح تماماً . كنا ننتظره هنا بينما هو يدخن سيجاراً في مكتبه وهو ينظر إلى ساعته . وفي الثالثة وعشر دقائق ، كان يدخل ، عسكرياً . وفي الثالثة وعشر دقائق بالتحديد : لا قبل دقيقة ، ولا بعد دقيقة . اثنا عشر في اجتماعات الموظفين ، وثمانية عندما كان يترأس مجلس إدارة .

جوهانا : لماذا كان يتعب نفسه على هذا النحو؟

ليني : ليترك لنا الوقت كي نشعر بالخوف .

جوهانا : وفي الوُرش؟

ليني : الرئيس آخر من يصل .

جوهانا : (مذهولة) ماذا؟ لكن من يقول بذلك؟ (تضحك) لم يعد أحد يؤمن بهذا .

ليني : لقد آمن الشيخ هندنبرغ بهذا خمسين سنة من حياته .

جوهانا : هذا ممكن ، لكن الآن . . .

ليني : الآن ، لم يعد يؤمن بشيء البتة . (فترة) ومع ذلك سوف يتأخر عشر دقائق . إن المبادئ تذهب ، ولكن العادات تبقى . كان بسمارك(*) لا يزال حياً عندما ألف والدنا المسكين عاداته . (لورنر) ألا تذكرها ، انتظاراتنا (لجوهانا) كان يرتعد ، ويسأل : مَن سيعاقب!

(*) أوتو فون بسمارك (١٨١٥ ـ ١٨٩٨) : سياسي ألماني عمل على تحقيق الوحدة الألمانية . أصبح مستشار الأمبراطورية بعد الانتصار على فرنسا سنة ١٨٧٠ .

ورنر : أما كنت ترتعدين أيضاً، يا ليني؟

ليني : (بجفاء، تضحك) أنا! كنت أموت خوفاً، لكني كنت أقول في نفسي : سوف يدفع.

جوهانا : (بسخرية) وهل دفع؟

ليني : (باسمة، ولكن بجفاء شديد) إنه يدفع. (تلتفت إلى ورنر) مَن سيعاقب، يا ورنر؟ مَن سيعاقب منا؟ كم كان يجدد هذا شبابنا! (بعنف مفاجئ) إنني أكره الضحايا عندما تحترم جلاديها.

جوهانا : ورنر ليس ضحية.

ليني : انظري إليه.

جوهانا : (مشيرة إلى المرآة) انظري إلى نفسك.

ليني : (مندهشة) أنا؟

جوهانا : أنت لست متعجرفة جداً! وتتكلمين كثيراً.

ليني : هذا كي أسليك. إن الأب لم يعد يخيفني منذ زمن بعيد. وبعدُ فنحن نعلم، هذه المرة، ما سيقوله لنا.

ورنر : ليست عندي فكرة عن الموضوع إذاً.

ليني : ولا أدنى فكرة؟ أيها المرائي. الفريسي(*)، إنك تدفن كل ما لا يعجبك! (لجوهانا) سوف يقضي الشيخ هندنبرغ، يا جوهانا. أكنت تجهلين هذا؟

جوهانا : كلاّ.

ورنر : هذا غير صحيح! (يأخذ بالارتعاد) أقول لك إن هذا

(*) الفَرِّيسيّ : واحد الفرِّيسيين (عبرانية) : كناية عن المرائي.

غير صحيح .

لينى : لا ترتعد ! (بعنف مفاجئ) سينفق ، نعم ، سينفق مثل كلب !

ولقد أنذرت بذلك . والدليل هو أنك رويت كل شيء لجوهانا .

جوهانا : أنت مخطئة ، يا ليني .

ليني : دعكِ من هذا النفاق ! إنه لا يخفي عنك سراً .

جوهانا : بلى ، إنه يخفي .

ليني : ومن أعلمك؟

جوهانا : أنت .

ليني : (مذهولة) أنا؟ !

جوهانا : منذ ثلاثة أسابيع ، بعد الاستشارة ، توجّه أحد الأطباء ليجتمع إليك في الصالون الأزرق .

ليني : هلبرت . نعم . ثم ماذا؟

جوهانا : صادفتكما في الممر . كان قد استأذن للانصراف .

ليني : ثم . . .؟

جوهانا : لا شيء (هنيهة) إن وجهك معبِّر جداً ، يا ليني .

ليني : لم أكن أعلم هذا . شكراً . أكنت مغتبطة؟

جوهانا : كان يبدو عليك الخوف .

ليني : (تتمالك نفسها) هذا غير صحيح !

جوهانا : (بلطف) اذهبي لتنظري إلى فمك في المرآة . إن الذعر بادٍ عليه .

لينــي : (بإيجاز) المرايا ، إنني أتركها لك .

ورنر : (ضارباً على ذراع مقعده) كفى ! (ينظر إليهما بغضب) إذا كان صحيحاً أن الوالد سيموت ، فلتصمتا احتراماً . (لليني) ما علّته؟ (لا تجيب) أسألك ممّ يشكو .

لينــي : أنت تعلم .

ورنر : هذا غير صحيح !

لينــي : لقد علمت قبل أن أعلم أنا بعشرين دقيقة .

جوهانا : ليني !كيف تريدين؟ . .

لينــي : قبل أن يتوجّه هلبرت إلى الصالون الأزرق ، مرَّ بالصالون الوردي فصادف فيه أخي وقال له كل شيء .

جوهانا : (مذهولة) ورنر ! (ينكمش ورنر في مقعده دون أن يجيب) إني . . . إني لا أفهم .

لينــي : أنت لا تعرفين بعد آل غيرلاتش ، يا جوهانا .

جوهانا : (مشيرة إلى ورنر) لقد عرفت واحداً منهم في هامبورغ ، منذ ثلاث سنوات ، وأحببته من فوري . كان حراً ، صريحاً ، كان مرحاً . لكَم بدّلتموه !

لينــي : هل كان يخاف من الكلمات ، في هامبورغ ، ذاك الذي من آل غيرلاتش؟

جوهانا : أقول لك الحق لا .

لينــي : حسناً ، ولكن الأمر صحيح هنا .

جوهانا : (ملتفتة نحو ورنر ، بحزن) لقد كذبت علي !

ورنر : (بحدة وعنف) ولا كلمة . (مشيراً إلى ليني) انظري إلى ابتسامتها . إنها تهيئ الميدان .

جوهانا : لمن؟

ورنر : للأب . إننا الضحيّتان المختارتان ، وهدفهما الأول أن يفرقانا الواحد عن الآخر . مهما كان تفكيرك ، فلا توجهي إلي تأنيباً وإلاّ لعبت لعبتهما .

جوهانا : (بحنان ، ولكن بحزم) ليس عندي تأنيب أوجهه إليك .

ورنر : (بانفعال وذهول) حسناً ، هذا أفضل ! هذا أفضل !

جوهانا : ماذا يريدان منا؟

ورنر : لا تخافي . سوف يقولانه لنا .

(صمت)

جوهانا : ممّ يشكو؟

ليني : مَن؟

جوهانا : الأب .

ليني : سرطان في الحلق .

جوهانا : هل يُميت؟

ليني : بشكل عام نعم . (فترة) من الممكن أن يطول . (بلطف) كنت تودينه أليس كذلك؟

جوهانا : ولا أزال .

ليني : كان يعجب جميع النساء (فترة) أي تكفير ! ذلك الفم الذي أُتخم بالحب كثيراً . . . (ترى أن جوهانا لا تفهم) لعلك لا تعلمين ذلك ، ولكن سرطان الحلق ينتهي بهذه العاقبة الوخيمة . . .

جوهانا : (تفهم) اصمتي !

ليني : بدأت تصبحين من آل غيرلانش ، أهلاً بك !
(تذهب لتأتي بالكتاب المقدس ، وهو مجلد ضخم وثقيل الوزن من القرن السادس عشر ، وتضعه بصعوبة على المائدة المستديرة)

جوهانا : ما هذا؟

ليني : الكتاب المقدس . إننا نضعه على المائدة عندما يكون هناك مجلس عائلة . (جوهانا تنظر إليها ، مدهوشة . تضيف ليني ، ساخطة قليلاً) حسناً ، نعم ، في حال اضطرارنا إلى حلف الأيمان .

جوهانا : ليس هناك من أيمان تحلف .

ليني : مَن يدري؟

جوهانا : (ضاحكة لتطمئن نفسها) أنتم لا تؤمنون لا بالله ولا بالشيطان .

ليني : هذا صحيح . لكننا نذهب إلى المعبد ونحلف على الكتاب المقدس .
لقد قلت لك إن هذه الأسرة فقدت أسباب حياتها ، لكنها احتفظت بعاداتها الطيبة . (تنظر إلى ساعة الحائط) ثلاث وعشر دقائق . ورنر ، يمكنك أن تقف .

المشهد الثاني

ليني - ورنر - جوهانا - الأب

(يدخل الأب في اللحظة نفسها من النافذة ـ الباب . يسمع ورنر الباب يفتح ويستدير نصف استدارة . وتردد جوهانا في أثناء نهوضها أنها ستقرر رغماً عنها . لكن الأب يعبر الغرفة بخطىً سريعة ويرغمها على الجلوس ثانية بوضع يديه على كتفيها)

الأب : أرجوك ، يا طفلتي (تعاود الجلوس ، فينحني ، ويقبّل يدها ، وينتصب فجأة ، وينظر إلى ورنر وليني) باقتضاب ، ليس عندي ما أعلمكما به . هذا أفضل ! لندخل إلى لب الموضوع ، ودون رسميات ، أليس كذلك؟ (صمت قصير) إذاً ، فأنا مقضي عليّ (يمسك ورنر ذراعه . فيتملّص الأب بوحشية تقريباً) قلت : لا رسميات . (يستدير ورنر حزيناً ، ويعاود الجلوس . فترة . ينظر إليهم ثلاثتهم) (بصوت أبح قليلاً)كم تؤمنون ، أنتم ، بموتي ! (دون أن تتركهم عيناه ، كأنه يريد أن يقنع نفسه) سأقضي . سأموت . هذا بديهي (يتمالك نفسه ، بمرح تقريباً) يا أولادي ، إن الطبيعة تعد لي أسفل مقلب . إنني أساوي ما أساويه ، لكن هذا الجسد لم يزعج أحداً أبداً . بعد ستة أشهر ، ستكون لي مساوئ جثة دون أن تكون لي محاسنها . (على أثر حركة من ورنر ، ضاحكاً) اجلس ، سوف أمضي بلياقة .

ليني : (باهتمام ومجاملة) سوف تمضي . . .

الأب : هل تعتقدين أنني سأتسامح بفوضى بعض الخلايا ، أنا الذي يسيّر الفولاذ على البحار؟ (صمت قصير) ستة أشهر ، إنها أكثر مما ينبغي لتنظيم أعمالي .

ورنر : وماذا بعد ستة أشهر؟

الأب : بعد ذلك؟ ماذا تريدين أن يوجد : لا شيء .

ليني : لا شيء أبداً؟

الأب : موت صناعي . الطبيعة قد قُوّمت للمرة الأخيرة .

ورنر : (وقد ضاقت أنفاسه) قوّمت من قبل مَن !

الأب : من قبلك ، إذا كنت قادراً على ذلك . (ورنر ينتفض ، الأب يضحك) هيّا ، إنني أتولى كل شيء . لن تهتم إلاّ بالجنازة . (صمت) كفانا حديثاً في هذا الموضوع . (صمت طويل . لجوهانا ، بودٍ) يا طفلتي ، أسألك بعض الصبر أيضاً . (لليني وورنر مبدّلاً لهجته) ستحلفان الواحد بعد الآخر .

جوهانا : (بقلق) ما أكثر الرسميات ! وكنت تقول إنك لا تريدها . وما الأمر الذي يدعو إلى الحلف؟

الأب : (بسذاجة) شيء بسيط ، يا كنّتي . على كل حال إن قريباتنا بالزواج معفيّات من القسم . (يلتفت نحو ابنه بهيبة لا يُعلم إن كانت ساخرة أم صادقة) ورنر ، انهض ، يا ابني ، كنت محامياً عندما مات فرانتز ، دعوتك لمساعدتي وتركت المحاماة دون تردّد ، وهذا يستحق مكافأة . ستكون السيد في هذا البيت ورئيس

المصنع . (لجوهانا) لا شيء يقلق كما ترين . إنني أجعل منه ملكاً على هذا العالم (جوهانا صامتة) ألا توافقين؟

جوهانا : ليس عليّ أنا أن أجيبك .

الأب : ورنر ! (وقد نفد صبره) أترفض؟

ورنر : (متجهِّماً وقلِقاً) سأفعل ما تريد .

الأب : هذا بدهي . (ينظر إليه) ولكنك تنفر من فعله؟

ورنر : أجل .

الأب : أكبر مصنع لبناء السفن البحرية ! نعطيه لك وأنت تثور عصبيتك ! لماذا؟

ورنر : إنني . . . لنقل إنني لا أستحقه .

الأب : هذا محتمل جداً بالطبع . لكني لا أستطيع حياله شيئاً . أنت وريثي الذكر الوحيد .

ورنر : كانت لفرانتز كل الصفات المطلوبة .

الأب : باستثناء صفة واحدة ، باعتباره ميتاً .

ورنر : تصوّر أنني كنت محامياً بارعاً . وأنني لن أرضى أن أصبح رئيساً سيّئاً بسهولة .

الأب : لعلك لن تصبح سيّئاً جداً .

ورنر : عندما أنظر إلى إنسان في عينيه ، أصبح عاجزاً عن إصدار الأوامر إليه .

الأب : لماذا؟

ورنر : أشعر بأنه يساويني .

الأب : انظر إلى ما فوق العينين . (يلمس جبينه) هنا ، مثلاً ،

لا يوجد إلاّ العظم .

ورنر : لا بد في هذه الحال أن تكون لي كبرياؤك .

الأب : أليست لك؟

ورنر : من أين كنت أستطيع أن آتي بها؟ إنك لم تفعل شيئاً إلاّ لصنع فرانتز على صورتك . أهي خطيئتي إن كنت لم تعلمني إلاّ الطاعة السلبية؟

الأب : إنها الشيء نفسه .

ورنر : ماذا؟ ما هو هذا الشيء نفسه؟

الأب : الطاعة والقيادة . إنك في كلا الحالين تنفّذ أوامر تلقيتها .

ورنر : أتتلقى أوامر؟

الأب : منذ وقت قصير جداً لم أعد أتلقى أوامر .

ورنر : مَن كان يصدرها؟

الأب : لست أدري . أنا ، من الجائز . (مبتسماً) إنني أمنحك السر . إذا أردت أن تقود ، فتصوّر نفسك إنساناً آخر .

ورنر : إنني لا أتصور نفسي قط إنساناً آخر .

الأب : انتظر حتى أموت . بعد أسبوع ستتصوّر أنك أنا .

ورنر : أن تقرر ! تقرر ! تقرر ! وحدك . باسم مائة ألف إنسان . وقد استطعت أن تحيا !

الأب : منذ وقت طويل وأنا لا أقرر شيئاً . إنني أوقّع البريد . في السنة القادمة ، ستوقّعه أنت .

ورنر : ألا تفعل شيئاً آخر؟

الأب : لا شيء منذ حوالى عشر سنين .

ورنر : أليس من حاجة إليك؟ أأي إنسان غيرك يكفي؟

الأب : أي إنسان .

ورنر : أنا مثلاً؟

الأب : مثلاً .

ورنر : لا يبدو كل شيء كاملاً ، ومع ذلك فهناك دواليب كثيرة . فإذا ما صرّ أحدها . . .

الأب : بخصوص ورش التصليح ، سيكون غلبير هنا . شخص ممتاز ، أتدري؟ وهو يعمل عندنا منذ خمسة وعشرين عاماً .

ورنر : باختصار ، عندي حظ . إنه هو الذي سيقود .

الأب : غلبير؟ أأنت مجنون !؟ إنه مستخدمك . إنك تدفع له ليعرفك بالأوامر التي يجب أن تصدرها .

ورنر : (فترة) أوّاه ! أبي ، أنت لم تثق بي مرة واحدة في حياتك ، إنك تلقي بي على رأس المصنع لأنني وريثك الذكر الوحيد ، ولكنك احتطت منذ البداية لتحويلي إلى أصيص أزهار .

الأب : (ضاحكاً بحزن) أصيص أزهار ! وأنا ، مَن أنا؟ قبعة على طرف صارية . (بلهجة حزينة ، عذبة ، هرمة تقريباً) أعظم مصنع في أوروبا . . إنه منظمة كاملة ، أليس كذلك؟ منظمة كاملة . . .

ورنر : لا بأس . وإذا ما وجدت مزيداً من الوقت ، فسأعيد قراءة مرافعاتي . ثم نسافر .

الأب : كلاّ .

ورنر : (مدهوشاً) هذا أفضل ما يمكنني عمله .

الأب : (آمراً وجازماً) خارج عن الموضوع . (ينظر إلى ورنر وليني) الآن ، أصغيا إلي . سيبقى الإرث مشتركاً . ممنوع منعاً باتاً أن تبيعا وأن تتخلّيا عن حصتيكما لأي كان . ممنوع بيع هذا المنزل أو تأجيره . ممنوع مغادرته . ستعيشان فيه حتى الممات . أقسما (لليني) ابدئي .

ليني : (مبتسمة) بصراحة ، إنني أذكرك بأن الأيمان لا تلزمني بشيء .

الأب : (مبتسماً أيضاً) هيا ، هيا ، يا ليني ، إنني أثق بك . أعطي المثل لأخيك .

ليني : (تقترب من الكتاب المقدس وتمد يدها) إني . . . (تقاوم ضد الرغبة في القهقهة) أواه ! ثم ، على رسلك ، ستعذرني يا أبي ، لكني لا أتمالك نفسي عن الضحك . (لجوهانا ، على حدة) كما في كل مرة .

الأب : (بسذاجة) اضحكي ، يا طفلتي . لا أسألك إلاّ أن تقسمي .

ليني : (ضاحكة) أقسم بالكتاب المقدس بأن أطيع مشيئتك الأخيرة .

الأب : (ينظر إليها ضاحكاً ، لورنر) دورك الآن ، يا رئيس الأسرة !

(يبدو ورنر شارداً)

ما الأمر ، يا ورنر؟

(ورنر يرفع رأسه فجأة وينظر إلى أبيه نظرة حيوان مطارد)

ليني : (بحزم) خلّصنا يا أخي . أقسم وسينتهي كل شيء .
(يستدير ورنر نحو الكتاب المقدس)

جوهانا : (بصوت مجامل وهادئ) لحظة ، من فضلك . (الأب ينظر إليها متظاهراً بالذهول ليخيفها ، فتعيد إليه نظرته دون أن تتأثر) لقد كان أيمان ليني مزحة ، ضحك لها الجميع . وعندما جاء دور ورنر ، لم يعد أحد يضحك . لماذا؟

ليني : لأن زوجك يحمل كل شيء على محمل الجد .

جوهانا : هذا سبب ثانٍ للضحك . (فترة) كنت تترصّدينه ، يا ليني .

الأب : (بجدّ) جوهانا . . .

جوهانا : أنت أيضاً يا أبي ، كنت تترصده .

ليني : إذاً فأنت كنت تترصدينني أيضاً !

جوهانا : يا أبي ، أتمنى أن نتفاهم بصراحة .

الأب : (مداعباً) أنت وأنا؟

جوهانا : أنت وأنا . (الأب يبتسم . تتناول جوهانا الكتاب المقدس وتنقله بجهد إلى قطعة أثاث على مسافة أبعد) لنتحدث أولاً ، ثم ليقسم مَن يشاء .

ليني : ورنر ! أتترك زوجتك تدافع عنك؟

ورنر : هل هناك هجوم عليّ؟

جوهانا : (للأب) أود أن أعلم لماذا تتصرّف في حياتي؟

الأب : (مشيراً إلى ورنر) إنني أتصرف في حياته هو لأنها تخصني ، لكن لا سلطة لي على حياتك .

جوهانا : (باسمة) وهل تعتقد أن لنا حياتين؟ كنت متزوجاً ، مع

ذلك ، هل كنت تحب والدتهما؟

الأب : كما يجب .

جوهانا : (باسمة) إنني أرى ذلك . لقد ماتت بسبب هذا . أما نحن ، يا أب ، فإننا متحابان أكثر مما ينبغي . كل ما يتعلق بنا كنا نقرّره معاً . (فترة) إذا ما أقسم تحت الضغط ، وإذا ما سجن نفسه في هذا البيت ليظل وفياً ليمينه ، فسيكون قد قرّر بدوني وضدي . إنك تفرق بيننا إلى الأبد .

الأب : (بابتسامة) ألا يعجبك بيتنا؟

جوهانا : أبداً .

(صمت قصير)

الأب : ممَّ تشكين ، يا كنّتي؟

جوهانا : لقد تزوجت محامياً من هامبورغ لم يكن يملك إلاّ موهبته . وبعد ثلاث سنين ، أجد نفسي في عزلة هذا الحصن ، متزوجة من بنّاء سفن .

الأب : أهذا مصير بائس للغاية برأيك؟

جوهانا : بالنسبة إليَّ ، نعم . كنت أحب ورنر لاستقلاليّته ، وأنت تعلم جيداً أنه فقدها .

الأب : مَن أخذها منه؟

جوهانا : أنت .

الأب : منذ ثمانية عشر شهراً ، بالتحديد ، قررتما معاً أن تأتيا للإقامة في هذا البيت .

جوهانا : لقد سألتنا أنت ذلك .

الأب : حسناً، إذا ما كانت فعلتكما خطيئة، فأنت شريكة فيها.

جوهانا : لم أشأ أن أجعله يختار بينك وبيني.

الأب : لقد أخطأت

ليني : (برود) كان سيختارك أنت.

جوهانا : حظ من اثنين. ولكن هناك مائة حظ من مائة ليكره على اختياره.

الأب : لماذا؟

جوهانا : لأنه يحبك. (الأب يهز كتفيه بوجه متجهّم) أتعلم ما الحب دون أمل؟

(الأب يبدّل هيئة وجهه. تتبيّن ليني ذلك)

ليني : (بحدة) وأنت، يا جوهانا، أتعلمين؟

جوهانا : (ببرود) كلاّ. (فترة) لكن ورنر يعلم ذلك.

(ينهض ورنر ويخطو نحو النافذة ـ الباب)

الأب : (لورنر) أين أنت ذاهب؟

ورنر : إنني أنسحب، ستكونون أكثر حرية في الحديث.

جوهانا : ورنر! إنما من «أجلنا» أناضل.

ورنر : من أجلنا؟ (باقتضاب شديد) عند آل غيرلاتش، النساء يصمتن ولا يتكلّمن.

(يمضي للخروج)

الأب : (لطيفاً وآمراً) ورنر! (يقف ورنر حيث هو) عد واجلس.

(يعود ورنر ببطء إلى مكانه ويجلس مديراً لهم ظهره، ودافناً وجهه بين يديه ليظهر أنه يرفض الاشتراك في الحديث)

ورنر : الكلام لجوهانا !

الأب : حسناً ! هيا ، يا كنّتي؟

جوهانا : (تنظر بقلق نحو ورنر) لنؤجل هذه المحادثة . إنني تعبة جداً .

الأب : كلاّ ، يا طفلتي . لقد بدأتها فيجب أن تتميها . (فترة . تنظر جوهانا ، محتارة ، إلى ورنر الصامت) أعلي أن أفهم أنك ترفضين السكنى هنا بعد مماتي؟

جوهانا : (متوسّلة تقريباً) ورنر ؛ (ورنر صامت . تبدل موقفها فجأة) نعم ، يا أب . هذا ما أريد أن أقوله .

الأب : أين ستقيمان؟

جوهانا : في شقتنا القديمة .

الأب : أستعودان إلى هامبورغ؟

جوهانا : سنعود إليها .

ليني : إذا شاء ورنر العودة .

جوهانا : سيشاء .

الأب : والمصنع؟ أترضين بأن يكون رئيسه؟

جوهانا : نعم ، إذا كان في هذا سرورك ، وإذا كان ورنر يحب أن يلعب دور الرؤساء الذين صُنعوا من قش .

الأب : (وكأنه كان يفكر) السكنى في هامبورغ . . .

جوهانا : (بأمل) لا نسألك شيئاً سوى ذلك . أستمنحنا هذا التنازل الأوحد؟

الأب : (ودوداً ، لكن حاسماً) كلاّ . (فترة) سيبقى ابني هنا ليعيش في هذا البيت ويموت فيه كما أفعل وكما

فعل أبي وجدّي .

جوهانا : لماذا؟

الأب : ولماذا لا؟

جوهانا : أيطالب المنزل بساكنين إضافيّين؟

الأب : نعم .

جوهانا : (بعنف وإيجاز) فلينهر إذاً !

(تنفجر ليني ضاحكة)

ليني : (مجاملة) هل تريدين أن أُشعل فيه النار؟ لقد كان هذا في طفولتي حلماً من أحلامي .

الأب : (ينظر حوله ، مُتشاغلاً) يا للمنزل المسكين . أيستحق كل هذا الكره . . . أهو يخيف ورنر؟

جوهانا : ورنر وأنا ، ما أقبحه !

ليني : إننا نعلم ذلك .

جوهانا : نحن أربعة . وفي نهاية العام سنكون ثلاثة . أفيلزمنا لسكننا اثنتان وثلاثون غرفة مكتظة؟ عندما يكون ورنر في الورش ، يتملّكني الخوف .

الأب : ولهذا تتركيننا ! إنها ليست أسباب جدية مقنعة . .

جوهانا : كلاّ .

الأب : أهناك أسباب أخرى؟

جوهانا : نعم .

الأب : لنرَ ذلك .

ورنر : (صارخاً) جوهانا ، إنني أمنعك . .

جوهانا : حسناً ، تكلم أنت !

ورنر : ما الفائدة . تعلمين جيداً أنني سأطيعه !

جوهانا : لماذا؟

ورنر : إنه أبي . آه ! لننته من هذا الأمر .

(ينهض)

جوهانا : (تنتصب أمامه) لا ، يا ورنر ، لا !

الأب : معه حق ، يا كنّتي . لننته من الأمر . الأسرة ، إنما هي بيت . أسألك «أنت» أن تسكني هذا البيت لأنك دخلت في أسرتنا .

جوهانا : (ضاحكة) الأسرة تستطيع أن تتحمّل ، وأنت لا تضحي بنا من أجلها .

الأب : لأجل مَن ، إذاً؟ !

ورنر : جوهانا !

جوهانا : لأجل ابنك البكر .

(صمت طويل)

ليني : (بهدوء) مات فرانتز في الأرجنتين ، منذ حوالى أربعة أعوام . (تضحك جوهانا في وجهها) لقد تلقينا شهادة الوفاة في عام ١٩٥٦ . اذهبي إلى دار عمدة ألتونا ، يطلعوك عليها .

جوهانا : مات ! فليكن ، لكن كيف تُسمّين الحياة التي يعيشها هنا؟ إن ما هو أكيد ، سواء أكان ميتاً أم حيّاً ، إنه يسكن هذا البيت .

ليني : كلاّ !

جوهانا : (حركة منها نحو الطابق الأول) في الأعلى ، خلف هذا الباب .

لیني : يا للجنون! مَن روى لك ذلك؟

(فترة صمت . ينهض ورنر بهدوء . ما إن يدور الحديث حول أخيه ، حتى تلمع عيناه ، ويستعيد وعيه) .

ورنر : مَن تريدين أن يكون؟ أنا . .

لیني : على الوسادة؟

جوهانا : لِمَ لا؟

لیني : هه!

ورنر : إنها زوجتي . لها الحق في أن تعرف ما أعرفه .

لیني : حق الحب! يا لذبولكما! إنني سأهب روحي وجسدي الرجل الذي سأحبه ، لكنني سأكذب عليه طيلة حياتي إذا ما اقتضى الأمر .

ورنر : (عنيفاً) استمعا إلى هذه العمياء التي تتحدث عن الألوان . على من ستكذبين ، على ببغاوات؟

الأب : (آمراً) اصمتوا أنتم الثلاثة (يداعب شعر ليني) الجمجمة قاسية ، لكن الشعر ناعم . (تتملص بعنف . يظل مترصداً) إن فرانتز يعيش في الأعلى منذ ثلاثة عشر عاماً . إنه لا يغادر غرفته ولا يراه أحد باستثناء ليني التي تعتني به .

ورنر : وباستثنائك أنت طبعاً .

الأب : باستثنائي؟ مَن قال لك هذا؟ ليني؟ وصدقتها؟ كم أنكما تتفاهمان ، أنتما الاثنين ، عندما يكون القصد الإساءة إليك . (فترة) إنني لم أشاهده منذ ثلاثة عشر عاماً .

ورنر : (مذهولاً) لكن لماذا؟

الأب : (بصوت طبيعي جداً) لأنه لا يريد أن يستقبلني .

ورنر : (محتاراً) آه ، حسناً ! (فترة) حسناً !

(يعود إلى مكانه)

الأب : (لجوهانا) إنني أشكرك ، يا طفلتي . إننا في الأسرة ، كما ترين ، لا نتهرّب من الحقيقة . ولكن في كل مرة يكون هذا ممكناً نتدبّر أمرنا بحيث تقال الحقيقة من قبل غريب . (فترة) إذاً ، فرانتز يعيش في الأعلى ، مريضاً ووحيداً . فهل يبدّل هذا من الأمر شيئاً؟

جوهانا : تقريباً كل شيء . (فترة) كن راضياً ، يا أب . إن قريبة بالزواج ، غريبة ، ستقول الحقيقة بدلاً منكم . إليك ما أعرفه : في عام ١٩٤٦ ، ثارت فضيحة ـ لست أدري كنهها لأن زوجي كان لا يزال آنذاك أسيراً في فرنسا ـ ويبدو أنه قد جرت ملاحقات قضائية ، فيختفي فرانتز في الأرجنتين ، كما تقولون ، لكنه في الحقيقة يختبئ هنا . في عام ١٩٥٦ ، يقوم غلبير برحلة خاطفة إلى أميركا الجنوبية ويعود بشهادة وفاة . وبعد فترة من الزمن تصدر أنت الأمر لورنر بهجر مهنته وتجعله يقيم هنا ، بصفة وريث مستقبل . أأخطئ في الذي عرفت؟

الأب : كلاّ . تابعي .

جوهانا : لم يبق عندي ما أقوله . مَن كان فرانتز؟ ماذا صنع؟ إلام صار إليه؟ إنني أجهل كل ذلك . وإليك يقيني

الوحيد : إذا ما بقينا هنا ، فكي نكون له عبيداً .

ليني : (معنّفة) هذا غير صحيح ! إنني أكفيه .

جوهانا : لا بد من الظن أن لا .

ليني : لا يريد أن يرى سواي !

جوهانا : هذا ممكن ، لكن الأب يحميه من بعيد ، وعلينا نحن ، فيما بعد ، أن نحميه ، أو نراقبه . لعلنا سنكون عبيداً ـ جلاّدين .

ليني : (غاضبة) أأنا جلاّدته؟

جوهانا : وما يدريني؟ إن كنتما ـ أنتما الاثنين ـ اللذين سجناه؟

(صمت ، تسحب ليني مفتاحاً من جيبها)

ليني : اصعدي السلّم واقرعي ، وإذا لم يفتح ، فإليك المفتاح .

جوهانا : (تتناول المفتاح) شكراً . (تنظر إلى ورنر) ماذا عليّ أن أصنع يا ورنر؟

ورنر : اصنعي ما تشائين . سوف ترين ، بهذا الشكل أو ذاك ، أنها حيلة سمجة . . .

(تتردد جوهانا ثم تصعد السلم ببطء . تقرع الباب . مرة ، مرتين ، يتملكها نوع من ثورة عصبية ، فتتوالى الدقات على الباب . تستدير نحو القاعة وتستعد للنزول) .

ليني : (بهدوء) معك المفتاح . (فترة . تتردد جوهانا ، إنها خائفة . ورنر قلق ومضطرب . تتمالك جوهانا نفسها ، وتدخل المفتاح في القفل وتحاول عبثاً أن تفتح على الرغم من أن المفتاح يدور) حسناً؟

جوهانا : يوجد مغلاق داخلي . لا بد أنه سُحب .

(تبدأ بالنزول)

ليني : من سحبه ، أنا؟

جوهانا : لعل هناك باباً آخر .

ليني : أنت تعلمين جيداً أنه لا يوجد باب آخر . إن هذا الجناح معزول ، فإذا ما وضع أحدهم المغلاق ، فلا يمكن أن يكون إلاّ فرانتز . (تصل جوهانا إلى أسفل السلم) إذاً؟ إننا نحجزه ، ذلك المسكين؟

جوهانا : هناك طرق عديدة لحجز حرية إنسان ، وأفضلها أن يتدبر المرء أمره بحيث يحجز نفسه بنفسه .

ليني : وكيف العمل؟

جوهانا : بالكذب عليه .

(تنظر إلى ليني التي تبدو وكأن خطتها قد فشلت)

الأب : (لورنر بحدة) أرافعت يا بنيّ في قضايا من هذا النوع؟

ورنر : أية قضايا؟

الأب : قضايا حجز .

ورنر : (بصوت مخنوق) مرة واحدة .

الأب : حسناً . افترض أنهم فتشوا هنا . إن القضاء هو الذي سيتولى القضية ، أليس كذلك؟

ورنر : (واقعاً في الفخ) ولماذا يفتشون هنا؟ هذا ما لم يحدث أبداً منذ ثلاثة عشر عاماً!

الأب : كنت أنا هنا .

(صمت)

لِيني : (لجوهانا) ثم ، إنني أقود بسرعة كبيرة ، لقد قلت لي ذلك . ومن الممكن أن أصطدم بشجرة . فماذا سيحدث لفرانتز؟

جوهانا : إذا كان محتفظاً بعقله ، فسوف ينادي على الخدم .

ليني : إنه محتفظ بعقله . لكنه لن يناديهم . (فترة) سوف يعلمون بموت أخي من طريق الشمّ! (فترة) سوف يقتحمون الباب ويجدونه ملقىً على الأرض ، بين الأصداف .

جوهانا : أية أصداف؟

ليني : إنه يحب المحار .

الأب : (لجوهانا ، بمودة) استمعي إليها ، يا كنّتي . إذا ما مات ، فستكون فضيحة القرن . (تصمت) فضيحة القرن ، يا جوهانا . . .

جوهانا : (بقسوة) وماذا يعنيك؟ ستكون تحت التراب .

الأب : (باسماً) أنا ، نعم . لا أنت . لنعد إلى قضية عام ١٩٤٦ هذه . أهناك تقادم؟ أجب يا ورنر! إنها مهنتك .

ورنر : لا أعرف الجرم .

الأب : على أحسن فرض : ضرب وجراح . وعلى أسوإ فرض : محاولة قتل .

ورنر : (معقود الأنفاس) لا تقادم .

الأب : حسناً ، أنت تعلم ما الذي ينتظرنا : اشتراك في محاولة قتل ، تزييف ، واستعمال التزييف ، وحجز .

ورنر : تزييف؟ أي تزييف؟

الأب : (ضاحكاً) شهادة الوفاة ، كما تعلم ! لقد كلفتني باهظاً جداً . (فترة) ما رأيك بهذا ، أيها المحامي ، من محكمة الجنايات؟

(يصمت ورنر)

جوهانا : ورنر ، لقد تمت اللعبة . وعلينا نحن أن نختار بين أن نصبح خدم المجنون الذي يفضلانه عليك وبين أن نجلس على كرسي الاتهام . فما هو اختيارك؟ أمّا أنا فقد تم اختياري : محكمة الجنايات . فالسجن المحدد المدة أفضل من السجن المؤبد . (فترة) حسناً .

(يصمت ورنر . تقوم جوهانا بحركة يأس) .

الأب : (بحرارة) يا أولادي ، لقد كانت مفاجأتي كبيرة . ابتزاز ! أفخاخ . كل شيء زائف ! كل شيء مغتصب . يا بني ، لا أسألك إلاّ بعض الشفقة على أخيك . هناك ظروف لا تستطيع ليني أن تواجهها بمفردها . أمّا بالنسبة إلى ما تبقى ، فستكونان حرّين كالهواء .

كل شيء سينتهي على ما يرام . إن فرانتز لن يعيش طويلاً جداً ، وأنا أخشى هذا . سوف تدفنونه ، ذات مساء ، في الحديقة . وسيختفي معه آخر آل ڤون غيرلاتش «الحقيقيين» . . . (حركة من ورنر) . . . أعني آخر الغيلان . إنكما ، أنتما الاثنين ، معافيان وطبيعيان ، وسيكون لكما أولاد طبيعيون يسكنون أنّى

شاؤوا . ابقي يا جوهانا ! من أجل أبناء ورنر . سوف يرثون المصنع . إنه سلطة أسطورية ، ولا يحق لك أن تحرميهم منها .

ورنر : (منتفضاً ، وعيناه قاسيتان لامعتان) ماذا؟ (ينظر إليه الجميع) أقلت حقاً : من أجل أبناء ورنر؟ (الأب مدهوشاً يبدي علامة تأكيد . منتصراً) هي ذي يا جوهانا ، هي ذي المناورة الزائفة . ورنر وأولاده . إنك يا رب لا تقيم لهم حساباً . لا تقيم لهم حساباً ! لا تقيم لهم حساباً ! (تقترب جوهانا منه) حتى ولو عشت مدة طويلة كافية كي ترى ابني الأول ، فإنه سيتقزّزك لأنه سيكون لحماً من لحمي ، ولأنني قززّتك من لحمي يوم ولدت (لجوهانا) يا للأب المسكين ! لو كانوا أولاد فرانتز لأحبّهم حبّ عبادة .

جوهانا : (آمرة) اصمت ! أنت تسمع نفسك تتكلم . سوف نضيع إذا ما أشفقت على نفسك .

ورنر : على العكس . إنني أخلّص نفسي . ماذا تريدين؟ أن أضرب بهما عرض الحائط؟

جوهانا : نعم .

ورنر : (ضاحكاً) بوركتِ !

جوهانا : قل لهما «لا» . دون صراخ ، دون ضحك ، ببساطة مطلقة : لا .

(ورنر يستدير نحو الأب وليني . ينظران إليه في صمت)

ورنر : إنهما ينظران إلي .

جوهانا : ثم؟ (يهز ورنر كتفيه ويذهب ليتهالك على الكرسي بتعب عميق)

ورنر : لم يعد ينظر إليها (صمت طويل) .

الأب : (بانتصار متحفّظ) حسناً ، يا كنّتي؟

جوهانا : إنه لم يقسم .

الأب : سوف يفعل ، الضعفاء يخدمون الأقوياء . هذا هو القانون .

جوهانا : (متألّمة) مَن هو القوي ، برأيك؟ أهو نصف المجنون ، هناك في الأعلى ، الفاقد لكل سلاح أكثر من طفل رضيع ، أم زوجي الذي تخلّيتَ عنه والذي تدبر أمره بمفرده؟

الأب : ورنر ضعيف ، وفرانتز قوي ، لا يستطيع أحد أن يبدّل شيئاً في ذلك .

جوهانا : ماذا يفعلون على الأرض ، أولئك الأقوياء؟

الأب : بشكل عام ، إنهم لا يفعلون شيئاً .

جوهانا : أرى ذلك .

الأب : إنهم أناس يعيشون بطبيعتهم في صداقة مع الموت . إنهم يمسكون بمصير الآخرين في أيديهم .

جوهانا : هل فرانتز مثلهم؟

الأب : نعم .

جوهانا : ماذا تعلم عنه ، بعد ثلاثة عشر عاماً؟

الأب : إننا أربعة هنا ، هو قدرنا ، حتى دون أن يفكر بذلك .

جوهانا : بِمَ يفكر إذاً؟

ليني : (ساخرة وقاسية ، لكن صادقة) : بالسراطين .

جوهانا : طوال النهار؟

ليني : هذا يشغله كثيراً .

جوهانا : ما أرثّها من شواغل ! إنها في عمر أثاثكم . هيا ! إنكما لا تؤمنان بها .

الأب : (باسماً) ليس أمامي إلاّ ستة أشهر في هذه الدنيا ، يا كنّتي : وهذه فترة قصيرة أقصر مما ينبغي كي أؤمن بأي شيء مهما كان . (فترة) لكن ورنر يؤمن بها .

ورنر : إنك مخطئ ، يا أب ، كانت أفكارك ، لا أفكاري ، ولقد لقنتَنيها . ولكن ما دمت قد فقدتها في أثناء الطريق فلن تستاء من أن أتخلّص منها . إنني إنسان كالآخرين ، لا قوي ولا ضعيف ، أيّاً كان . إنني أحاول أن أعيش . وفرانتز ، لست أدري إن كنت سأتعرّفه بعد اليوم ، لكني واثق أنه أيّاً كان . (يُري صور فرانتز لجوهانا) ما عنده أكثر مني؟ (ينظر إليه مسحوراً) بل إنه ليس وسيماً !

ليني : (ساخرة) بلى ! إنه ليس وسيماً !

ورنر : (لا يزال مسحوراً ، لكن انجذابه بدأ يضعف) وحتى لو ولدت لأخدمه فهناك عبيد يتمرّدون . إن أخي لن يكون قدري .

ليني : أتفضل أن تكون امرأتك؟

جوهانا : أتحسبينني بين الأقوياء؟

ليني : نعم .

جوهانا : ما أغربها من فكرة ! ولماذا؟

ليني : كنت ممثلة ، أليس كذلك؟ نجمة .

جوهانا : بالفعلَ . ثم ، أضعت مهنتي . فماذا إذاً؟

ليني : مـاذا؟ حـسناً ، لقـد تزوجت ورنر . ومنذ ذلك لا تفعلين شيئاً وتفكرين بالموت .

جوهانا : إذا كنت تسعين إلى إذلاله ، فأنت تضيّعين جهدك . عندما التقى بي كنت قد تركت المسرح وخشبته إلى الأبد ، كنت مجنونة . إنه يستطيع أن يكون فخوراً بأنه أنقذني .

ليني : أراهن بأنه ليس فخوراً .

جوهانا : (لورنر) لك الكلام .

(ورنر لا يجيب)

ليني : كم تحـرجينه ، المسكين ! (فتـرة) جوهانا ، هل كنت اخترته لولا فشلك؟ هناك زواج قد يكون دفناً .

(تريد جوهانا أن تجيب . يقاطعها الأب)

الأب : ليني ! (يداعب رأسها ، فتشيح بغضب) ، إنك تنهكين نفسك ، يا بنيتي . لو كنت مغروراً ، لاعتقدت أن موتي يسخطك .

ليني : (بحدة) لا أشك في ذلك ، يا أبي . أنت ترى جيداً أنها ستعقّد مجرى الأمور .

الأب : (ضاحكاً) لا تغضبي من ليني يا طفلتي . إنها تعني أننا من النوع نفسه : أنت ، وفرانتز ، وأنا . (فترة) أنت تعجبينني ، يا جوهانا . لقد خيّل إلي أحياناً أنك ستبكينني . وستكونين الوحيدة حقاً .

(يبتسم لها)

جوهانا : (فجأة) إذا كانت لك بعد هموم إنسان حي ، وإذا كان لي الحظ في أن أعجبك ، فكيف تجرؤ على إذلال زوجي بحضرتي؟ (يهز الأب رأسه دون أن يجيب) أأنت من هذا الجانب من الموت؟

الأب : من هذا الجانب ، ومن ذاك . لا فرق . ستة أشهر . إنني لست شيخاً آجلاً (ينظر في الفراغ ويتحدث لنفسه) سيتطوّر المصنع دون توقف ، ولن تكفي التوظيفات الخاصة ، وسيتوجب على الدولة أن تحشر أنفها ، وسيظل فرانتز هناك في الأعلى عشرة أعوام ، عشرين عاماً . وسيتألم . . .

ليني : (جازمة) إنه لا يتألم .

الأب : (دون أن يسمعها) إن موتي الآن هو حياتي التي ستستمر دون أن أكون داخلها . (صمت . يكون قد جلس منكمشاً ، شاخص النظر) سيكون له شعر شائب . . . براز الأسرى الكريه .

ليني : (بعنف) اصمت !

الأب : (دون أن يسمعها) هذا لا يحتمل .

(يبدو كأنه يتألم)

ورنر : (ببطء) هل ستكون أقل تعاسة إذا بقينا هنا؟

جوهانا : (بسرعة) حذارِ !

ورنر : ممَّ؟ إنه أبي ، لا أريده أن يتألم .

جوهانا : إنه يتألم من أجل الآخر .

ورنر : وإن يكن !

(يذهب ليتناول الكتاب المقدس ويعيده إلى الطاولة التي كانت ليني قد وضعته عليها) .

جوهانا : (بالحدّة نفسها) إنه يمثّل عليك الملهاة .

ورنر : (باستياء ، لهجته مليئة بالتلميحات) وأنت ، ألا تلعبينها عليّ؟ (للأب) أجب . . . هل ستكون أقل تعاسة؟

الأب : لست أدري .

ورنر : (للأب) سوف نرى .

(فترة صمت ، لا يقوم الأب ولا ليني بحركة ، إنهما ينتظران ، مترصّدين)

جوهانا : سؤال . سؤال واحد ثم تفعل ما تشاء .

: (ينظر إليها ورنر بوجه متجهم عبوس) .

الأب : انتظر قليلاً يا ورنر . (يبتعد ورنر عن الكتاب المقدس في دمدمة يمكن أن تعتبر موافقة) . أي سؤال يا كنتي؟

جوهانا : لماذا حجز فرانتز نفسه؟

الأب : هذا يعني جملة أسئلة في سؤال واحد .

جوهانا : اروِ لي ما حدث .

الأب : (بسخرية خفيفة) حسناً ، لقد جرت الحرب .

جوهانا : نعم ، بالنسبة إلى الجميع . فهل يختبئ الآخرون؟

الأب : مَن يختبئ ، ألا ترينه؟

جوهانا : إذاً ، فقد حارب .

الأب : حتى النهاية .

جوهانا : في أية جبهة؟

الأب : في جبهة روسيا .

جوهانا : متى عاد؟

الأب : في أثناء خريف عام ١٩٤٦ .

جوهانا : لقد تأخر ! لماذا؟

الأب : لقد أُبيدت فرقته ، فعاد فرانتز سيراً على الأقدام ، متخفّياً ، عبر پولونيا وألمانيا المحتلة . ذات يوم قرع الجرس (رنين بعيد كأنه ممحو) وكان هو .

(يبدو فرانتز في آخر الغرفة ، وراء والده ، في منطقة من الظل . إنه يرتدي ثياباً مدنية ، ويبدو عليه الشباب : ثلاث وعشرون أو أربع وعشرون سنة . جوهانا وورنر وليني ، في مشهد العودة إلى الوراء هذا ، وفي المشهد التالي ، لن يروا الشخصية المتخيّلة . والذين يتخيّلون فقط ـ الأب في هذين المشهدين التذكّريين الأولين ، وليني والأب في المشهد الثالث ـ يستديرون نحو الذين يتخيلونهم عندما يريدون تكليمهم . ولهجة وتمثيل الشخصيات التي تمثل مشهداً تذكرياً يجب أن يعتمد على نوع من التراجع ، من الحفاظ على المسافة يميز ، حتى في لحظات العنف ، الماضي عن الحاضر . وحالياً لا يرى أحد فرانتز ، حتى الأب نفسه .

فرانتز يحمل زجاجة شمپانيا مفتوحة في يده اليمنى ، ونحن لا نميزها إلاّ عندما ستتاح له الفرصة ليشرب كأساً منها ، موضوعة قربه على منضدة ، تخفيها بعض التحف . إنه سيتناولها عندما سيشرب) .

جوهانا : وهل سجن نفسه فوراً؟

الأب : في المنزل فوراً . في غرفته ، بعد سنة .

جوهانا : خلال تلك السنة ، هل كنت تراه يومياً؟

الأب : تقريباً .

جوهانا : ماذا كان يفعل؟

الأب : كان يشرب .

جوهانا : وماذا كان يقول؟

فرانتز : (بصوت آلي بعيد) صباح الخير . مساء الخير . نعم . لا .

جوهانا : لا أكثر من ذلك؟

الأب : كلاّ ، باستثناء يوم . طوفان من الكلمات . لم أفهم منها شيئاً . (ضحكة مريرة) كنت في المكتبة وكنت أستمع إلى جهاز الراديو .

(قرقعة من جهاز الراديو ، إشارة مكررة . كل هذه الأصوات تبدو كأنها مكتومة) .

صوت مذيع : مستمعيّ الأعزاء ، إليكم نشرة أخبارنا : في نورمبرغ ، حكمت محكمة الأمم على الماريشال غورينغ(*) . .

(يذهب فرانتز لإطفاء المحطة ، يبقى في منطقة الظل عندما يتوجب عليه أن يتنقل) .

الأب : (يستدير منتفضاً) ماذا تصنع؟ (ينظر إليه فرانتز بعينين ميتتيْن) أريد أن أعرف الحكم .

فرانتز : (من طرف المسرح إلى طرفه الآخر ، بصوت ماجن وسوداوي) بالموت شنقاً . (يشرب)

الأب : ما أدراك؟ (يصمت فرانتز . يستدير الأب نحو جوهانا) أما كنت تقرئين الصحف ، آنذاك؟

جوهانا : أبداً . كنت في الثانية عشرة .

(*) هرمان غورينغ (١٨٩٣ ـ ١٩٤٦) : مارشال ألماني من معاوني هتلر . حكمت عليه محكمة نورمبرغ بالإعدام .

الأب : كانوا جميعاً في أيدي الحلفاء . «نحن ألمان ، نحن إذاً مذنبون . نحن مذنبون لأننا ألمان» . كل يوم ، وفي كل صفحة . يا للسيطرة! (لفرانتز) ثمانون مليون مجرم . يا للمهزلة! على أسوإ الاحتمالات : هناك ثلاث دزينات ليشنقوهم ، وليعيدوا لنا اعتبارنا . فتكون في ذلك نهاية كابوس . (آمراً) تفضل بإعادة فتح المحطة . (يشرب فرانتز دون أن يتحرك . بجفاء) أنت تشرب أكثر مما ينبغي . (ينظر إليه فرانتز بقسوة شديدة إلى درجة أن الأب يصمت ، مرتبكاً . صمت . ثم يستأنف الأب في رغبة حماسية) ماذا يربحون من دفع شعب إلى اليأس؟ ماذا فعلت ، أنا ، لأستحق احتقار العالم؟ ومع ذلك فإن آرائي معروفة ، وأنت ، يا فرانتز ، أنت الذي حارب حتى النهاية؟ (يضحك فرانتز بخشونة) أأنت نازي؟

فرانتز : ألف كلاّ!

الأب : إذاً ، اختر : دعهم يحكمون على المسؤولين ، أو دع أخطاءهم تقع على الألمان أجمع .

فرانتز : (دون حركة ، ينفجر ضاحكاً ضحكة وحشية جافية) ها! (فترة) الأمران سيّان .

الأب : أأنت مجنون؟

فرانتز : هناك طريقتان لتدمير شعب : إما أن يحكم عليه كتلة واحدة ، وإما أن يرغم على إنكار زعمائه الذين اختارهم لنفسه . والطريقة الثانية هي الأسوأ .

الأب : إنني لا أنكر أحداً، والنازيون ليسوا زعمائي. لقد خضعت لهم.

فرانتز : لقد تحملتهم.

الأب : بحق الشيطان! ماذا كنت تريدني أن أفعل؟

فرانتز : لا شيء.

الأب : أما بالنسبة إلى غورينغ، فأنا ضحيته. اذهب للتنزه في ورشاتنا. اثنتا عشرة غارة، لم تعد أية سقيفة قائمة: هكذا حماها.

فرانتز : (بفظاظة) إنني غورينغ. إذا ما شنقوه، فأنا المشنوق.

الأب : كان غورينغ يكرهك!

فرانتز : لقد أطعت.

الأب : رؤساءك العسكريين، نعم.

فرانتز : ومن كانوا يطيعون؟ (ضاحكاً) هتلر، كنا نكرهه وكان آخرون يحبونه. فأين الفرق؟ لقد قدّمت له مراكب حربية، وقدمت له أنا جثثاً. قل، ماذا كنا سنفعل أكثر من ذلك، لو كنّا نعبده؟

الأب : إذاً، فالجميع مذنبون؟

فرانتز : وحق الإلـه، كلاّ! لا أحد، باستثناء الكلاب الخاضعة التي ترضى بحكم الغالبين. يا لهم من غالبين وسام! إننا نعرفهم: في ١٩١٨، كانوا أنفسهم، بفضائلهم المرائية نفسها. ماذا فعلوا لنا، منذ ذلك؟ ماذا فعلوا بأنفسهم؟ اصمت. إنما على الغالبين أن يأخذوا التاريخ على عاتقهم. لقد أخذوه

وأعطونا هتلر . قضاة؟ ألم ينهبوا ، ويذبحوا ، ويغتصبوا ، مطلقاً؟ القنبلة على هيروشيما ، أهو غورينغ الذي قذفها؟ وإذا كانوا الآن يجرون محاكمتنا ، فمن سيجري محاكمتهم؟ إنهم يتحدثون عن جرائمنا ليسوّغوا الجريمة التي يعدونها على مهل : الإبادة المنظمة للشعب الألماني . (محطماً الكأس على الطاولة) الجميع أبرياء أمام العدو . الجميع : أنت ، أنا ، غورينغ ، والآخرون .

الأب : (صارخاً) فرانتز ! (يتضاءل النور وينطفئ حول فرانتز . يختفي) فرانتز (صمت قصير . يلتفت ببطء نحو جوهانا ويضحك بهدوء) لم أفهم منها شيئاً . وأنت؟

جوهانا : لا شيء . وبعد؟

الأب : هذا كل شيء .

جوهانا : ومع ذلك كان لا بد من الاختيار : الجميع أبرياء أو الجميع مذنبون؟

الأب : ما كان ليختار .

جوهانا : (تحلم لحظة ، ثم) ليس لهذا معنى .

الأب : بل لعل له معنى . . . لست أدري .

ليني : (بحدة) لا تبحثي بعيداً جداً ، يا جوهانا . لم يكن اهتمام أخي بغورينغ والطيران الحربي بأكثر من اهتمامه من خدمته في المشاة . كان هناك ، بالنسبة إليه ، مذنبون وأبرياء ، لكنهم لم يكونوا أنفسهم . (للأب الذي يريد أن يتكلم) أعرف . إنني أراه يومياً .

كان الأبرياء في العشرين من العمر ، كانوا الجنود . وكان المذنبون في الخمسين . كانوا آباءهم .

جوهانا : أرى .

الأب : (وقد تخلّى عن سذاجته ، عندما يتحدث عن فرانتز يتصنّع الحماسة في صوته) إنك لا ترين شيئاً مطلقاً ، إنها تكذب .

ليني : يا أبِ ! أنت تعلم جيداً أن فرانتز يكرهك .

الأب : (بقوة لجوهانا) لقد أحبني فرانتز أكثر من أي إنسان آخر .

ليني : قبل الحرب .

الأب : قبلها وبعدها .

ليني : في هذه الحال ، لماذا تقول : لقد أحبني؟

الأب : (محيراً) حسناً ، يا ليني . . . كنا نتحدث عن الماضي .

ليني : لا تصلح إذاً . لقد كشفت عن فكرك . (فترة) لقد تطوّع أخي وهو في الثامنة عشرة . فإذا أراد الأب أن يقول لنا لماذا ، فستفهمين بشكل أفضل قصة هذه العائلة .

الأب : قوليه بنفسك ، يا ليني ، لن أحرمك من هذه المتعة .

ورنر : (يجاهد لتشجيع نفسه) ليني ، إنني محذرك ، إذا ذكرت واقعة واحدة تمس شرف أبي ، فإنني سأغادر هذه الغرفة فوراً .

ليني : أخائف إلى هذا الحد من أن تُصدّقني؟

ورنر : لن يُهان أبي أمامي .

الأب : (لورنر) اهدأ يا ورنر ، فأنا الذي سيتكلم . منذ بداية الحرب ، كانت الدولة تبعث إلينا بالطلبات . الأسطول نحن الذين أنشأناه . في ربيع ١٩٤١ ، أعلمتني الحكومة أنها ترغب في أن تشتري مني بعض الأراضي التي لم نكن نستغلها ، الأرض البور وراء التل أنت تعرفها .

ليني : الحكومة ، كانت هملر(*) . كان يبحث عن مكان لمعسكر اعتقال .

(صمت ثقيل)

جوهانا : أكنت تعلم ذلك؟

الأب : (بهدوء) نعم .

جوهانا : وقبلت؟

الأب : (باللهجة نفسها) نعم . (فترة) . واكتشف فرانتز طبيعة الأعمال . لقد أُخبرت بأنه كان يتجول على طول الأسلاك الشائكة .

جوهانا : ثم ماذا؟

الأب : لا شيء . الصمت . إنه هو الذي قطع حبله . ذات يوم من حزيران ٤١ . (يلتفت الأب نحوه وينظر إليه بانتباه وهو يتابع الحديث مع ورنر وجوهانا) ورأيت فوراً أنه قد ارتكب زلة . ولم يكن بالإمكان أسوأ مما كان ، إذ

(*) هاينرش هملر (١٩٠٠ ـ ١٩٤٥) : رئيس الغستابو ووزير الداخلية في العهد النازي في ألمانيا . عمل على إبادة اليهود . انتحر .

كان غوبلز(*) والأميرال دونيتز(**) موجودين في هامبورغ ، وكانا سيزوران منشآتي الجديدة .

فرانتز : (بصوت فتيّ وعذب ، منفعل لكن قلق) يا أب ، أود أن أحدثك .

الأب : (ناظراً إليه) أكنت هناك؟

فرانتز : نعم (باشمئزاز ، فجأة) يا أب ، لم يعودوا بشراً .

الأب : مَن ! الحراس؟

فرانتز : المعتقلون ، إنني قرِف من نفسي ، لكنهم هم الذين يثيرون اشمئزازي . هناك قذرهم ، وقملهم ، وجروحهم . (فترة) يبدو عليهم دوماً أنهم خائفون .

الأب : إنهم ما صنعوا منهم .

فرانتز : لا يمكنهم أن يفعلوا ذلك معي .

الأب : كلاّ؟

فرانتز : أستطيع أن أتحمل .

الأب : ماذا يثبت لك أنهم لا يتحمّلون؟

فرانتز : أعينهم .

الأب : لو كنتَ مكانهم ، لكانت لك أعينهم نفسها .

فرانتز : كلاّ . (بيقين وحشي) كلاّ .

(ينظر إليه الأب بانتباه)

(*) جوزف پول غوبلز (١٨٩٧ ـ ١٩٤٥) : سياسي ألماني . صحافي نازي . كلفه هتلر قيادة الحرب . انتحر مع عائلته .

(**) كارل دونيتز (١٨٩١ ـ ١٩٨١) : أميرال ألماني . خلف هتلر ووقّع معاهدة استسلام ألمانيا للحلفاء ١٩٤٥ .

الأب : انظر إليّ . (يرفع ذقنه ويثبت نظرته في عينيه) من أين أتاك هذا؟

فرانتز : ماذا؟

الأب : الخوف من السجن .

فرانتز : أنا لا أخافه .

الأب : أتتمناه؟

فرانتز : إنني . . . كلاّ .

الأب : أرى . (فترة) تلك الأراضي ، أما كان علي أن أبيعها؟

فرانتز : إذا كنت قد بعتها ، فهذا لأنك لم تكن تستطيع أن تتصرف بطريقة أخرى .

الأب : كنت أستطيع ذلك .

فرانتز : (مذهولاً) أكنت تستطيع أن ترفض؟

الأب : يقيناً (تبدر عن فرانتز حركة عنيفة) ثم ماذا؟ لم تعد تثق بي !

فرانتز : (فعل إيمان ، مسيطراً على نفسه) أعرف أنك ستوضح لي .

الأب : ما الذي يستوجب الإيضاح؟ عند هملر أسرى يجب سجنهم . لو رفضت منح أراضيَّ ، لاشترى أراضي أخرى .

فرانتز : من آخرين؟

الأب : تماماً . أبعد قليلاً إلى الشرق . كان الأسرى أنفسهم سيتألمون في المعسكرات نفسها ، وأكون قد اتخذت لنفسي أعداء في قلب الحكومة .

فرانتز : (متعنتاً) كان يجب ألاّ تضع يدك في هذه القضية .

الأب : لماذا؟

فرانتز : لأنك أنت .

الأب : ولأمنحك الفرح المرائي ، فرح غسل يديك ، أيها الطهراني الصغير .

فرانتز : يا أب ، أنت تخيفني . إنك لا تتألم بما فيه الكفاية لألم الآخرين .

الأب : سأسمح لنفسي بأن أتألم لألمهم عندما ستكون لدي الوسائل للقضاء على الألم .

فرانتز : لن تكون لك أبداً .

الأب : إذاً ، لن أتألم . فهذا وقت مضيَّع . أتتألم لذلك ، أنت؟ هيا ! (فترة) أنت لا تحب قريبك ، يا فرانتز ، وإلاّ لما جرؤت على احتقار أولئك المعتقلين .

فرانتز : (متألماً) إنني لا أحتقرهم .

الأب : أنت تحتقرهم لأنهم قذرون ولأنهم خائفون . (ينهض ويمشي نحو جوهانا) كان لا يزال يؤمن بالكرامة الإنسانية .

جوهانا : أكان مخطئاً؟

الأب : لست أدري ، يا كنَّتي ، عن هذا الأمر شيئاً . كل ما أستطيع أن أقوله لك هو إن آل غيرلاتش ضحايا لوتر(*) . لقد جعلنا هذا الراهب المصلح نجن

(*) مارتين لوتر (١٤٨٣ ـ ١٥٤٦) : راهب أغوسطيني لاهوتي ومفكر وكاتب . بدأ في ألمانيا الإصلاح الديني (البروتستانتية) وانفصل عن الكنيسة ١٥١٧ .

كبرياء . (يعود ببطء نحو مكانه الأول ويُري فرانتز لجوهانا) كان فرانتز يتنزه على التلال وهو يناقش نفسه ، وعندما كان ضميره يقول نعم ، يمكنكِ أن تمزقيه إرباً إرباً دون أن تتمكني من دفعه إلى تبديل رأيه . كنت مثله ، في سنه .

جوهانا : (ساخرة) أكان لك ضمير؟

الأب : نعم . لقد فقدته تواضعاً . إنه ترف ملوك . كان فرانتز يستطيع أن يسمح لنفسه به . عندما لا يفعل المرء شيئاً ، يعتقد نفسه مسؤولاً عن كل شيء . أما أنا فكنت أعمل . (لفرانتز) ماذا تريد أن أقول لك؟ إن هتلر وهملر مجرمان؟ حسناً ، إليك : إنني أقوله لك . (ضاحكاً) رأي شخصي تماماً وغير قابل للاستخدام مطلقاً .

فرانتز : إذاً ، هل نحن عاجزون؟

الأب : نعم ، إذا اخترنا العجز . إنك لا تستطيع شيئاً للبشر إذا أمضيت وقتك في الحكم عليهم أمام محكمة الرب . (فترة) ثمانون ألف عامل منذ آذار . إنني أمتد ! إنني أمتد ! إن ورشي تنبت في ليلة واحدة . إن عندي أعظم سلطة .

فرانتز : دون شك . أنت تخدم النازيين .

الأب : لأنهم يخدمونني . إن هؤلاء الناس هم العامة على العرش ، لكنهم يقومون بالحرب ليجدوا لنا أسواقاً ، ولن أتخاصم معهم من أجل قضية أراضٍ .

فرانتز : (عنيداً) كان يجب ألاّ تزج بنفسك فيها .

الأب : يا للأمير الصغير! يا للأمير الفتيّ! أتريد أن تحمل العالم على كتفيك؟ العالم ثقيل وأنت لا تعرفه . دعك . اهتم بالمصنع : اليوم لي ، وغداً لك . جسدي ودمي ، قوتي ، سلطتي ، مستقبلك . في عشرين عاماً ستكون سيد المراكب في كل البحار ، ومن سيتذكر بعد ذلك هتلر؟ (فترة) إنك تجريدي .

فرانتز : ليس إلى الحد الذي تظنه .

الأب : آه! (ينظر إليه بانتباه) ماذا فعلت؟ أشراً؟

فرانتز : (بفخر) كلاّ .

الأب : أخيّراً؟ (صمت طويل) يا إلـه السماء! (فترة) إذاً ، هل الأمر خطير؟

فرانتز : نعم .

الأب : يا أميري الصغير ، لا تخشَ شيئاً ، سأسوي الأمر .

فرانتز : ليس هذه المرة .

الأب : هذه المرة كما في المرات السابقة (فترة) حسناً . (فترة) أتريد أن أستجوبك؟ (يفكر) هل الأمر متعلق بالنازيين؟ حسن . المعسكر؟ طيب (ملهماً) البولوني! (ينهض ويمشي في اضطراب . لجوهانا) كان حاخاماً بولونياً . كان قد هرب مساءً وأشعرنا قائد المعسكر بالنبإ . (لفرانتز) أين هو؟

فرانتز : في غرفتي .

(صمت)

الأب : أين وجدته ، ذاك الفارّ؟

فرانتز : في الحديقة . لم يكن حتى ليتخفّى . لقد هرب جنوناً . وهو الآن خائف . إذا ما وضعوا يدهم عليه؟ . .

الأب : أعلم . (فترة) إذا لم يكن قد رآه أحد ، فالمسألة قد سويت . سنجعله يهرب في شاحنة إلى هامبورغ . (يظل فرانتز متوتراً) آراؤه؟ حسناً من؟

فرانتز : فريتز .

الأب : (لجوهانا) كان سائقنا نازيّاً حقيقيّاً .

فرانتز : لقد أخذ السيارة هذا الصباح قائلاً إنه ذاهب إلى مرأب ألتونا . وهو لم يعد بعد . (بشيء من الفخر) أأنا تجريدي للغاية؟

الأب : (باسماً) أكثر من أي وقت مضى . (بصوت متبدّل) لماذا وضعته في غرفتك؟ لتفتديني؟ (صمت) أجب . من أجلي .

فرانتز : من أجلنا . أنت ، وأنا .

الأب : نعم . (فترة) إذا كان فريتز قد أبلغ عنك . . . .

فرانتز : (متابعاً) سوف يأتون . أنا أعلم .

الأب : اصعد إلى غرفة ليني واسحب المغلاق . إنه أمر . سأسوي كل شيء . (فرانتز ينظر إليه بتحدٍ) ماذا؟

فرانتز : الأسير . . .

الأب : قلت كل شيء . الأسير تحت سقفي . اذهب .

(يختفي فرانتز . يعاود الأب الجلوس)

جوهانا : هل جاؤوا؟

الأب : بعد خمس وأربعين دقيقة .

(يظهر رجل مخابرات سرية في آخر الغرفة . خلفه رجلان آخران ، ساكنان وصامتان) .

رجل المخابرات : هايل(*) هتلر .

الأب : (في الصمت) هايل . من أنت وماذا تريد؟

رجل المخابرات : لقد وجدنا ابنك في غرفته مع معتقل هارب يختبئ فيها منذ البارحة مساء .

الأب : في غرفته؟ (لجوهانا) لم يشأ أن يسجن نفسه عند ليني ، الصبي الشجاع . لقد ركب جميع المخاطر . حسن . وبعد؟

رجل المخابرات : هل فهمت؟

الأب : جيداً . لقد ارتكب ابني عمل طيش خطيراً .

رجل المخابرات : (باستنكار ودهشة) عمل ماذا؟ (وقت) انهض عندما أكلمك .

(رنين الهاتف)

الأب : (دون أن ينهض) كلاّ .

(يرفع السماعة ، وحتى دون أن يسأل من المتكلّم ، يناولها لرجل المخابرات . فينتزعها هذا منه) .

رجل المخابرات : (على الهاتف) آلو؟ أواه ! (يضرب عقبيه) نعم . نعم . تحت أوامرك . (يصغي وينظر إلى الأب في ذهول) حسناً . تحت أوامرك . (يضرب عقبيه . يعلق السماعة) .

الأب : (بقسوة ودون ابتسامة) عمل طيش ، أليس كذلك؟

رجل المخابرات : ولا شيء آخر .

(*) هايل بالألمانية يعيش .

الأب : إذا كنت قد لمست شعرة واحدة من رأسه . . .

رجل المخابرات : لقد هجم علينا .

الأب : (دهِشاً وقلقاً) ابني؟ (يبدي رجل المخابرات حركة موافقة) هل ضربتموه؟

رجل المخابرات : كلاّ . أقسم لك . أمسكنا به . . .

الأب : (مفكراً) هجم عليكم ! ليس هذا من عادته ، ولا بد أنك أثرتموه . ماذا فعلتم؟ (صمت من رجل المخابرات السجين ! (ينهض) تحت نظره؟ تحت نظر ابني؟ (غضب أبيض ، لكن رهيب) يخيل إلي أنك أظهرت إخلاصاً . ما اسمك؟

رجل المخابرات : (في استرحام) هرمان أكدريخ .

الأب : هرمان أكدريخ ! أعطيك كلمتي بأنك ستتذكر يوم ٢٧ حزيران ١٩٤١ طيلة حياتك . اذهب .

(يختفي رجل المخابرات)

جوهانا : هل تذكره؟

الأب : (باسماً) أعتقد . لكن حياته لم تكن طويلة جداً .

جوهانا : وفرانتز؟

الأب : أطلق سراحه فوراً . بشرط أن يتطوع . وفي الشتاء التالي كان ملازماً في الجبهة الروسية . (فترة) ماذا في الأمر؟

جوهانا : لا أحب هذه القصة .

الأب : أنا لا أقول إنها لطيفة . (فترة) كان ذلك في ١٩٤١ يا كنّتي .

جوهانا : (بجفاء) ثم ماذا؟

الأب : كان لا بد من البقاء على قيد الحياة .

جوهانا : إن البولوني لم يبق على قيد الحياة .

الأب : (لامبالياً) كلاّ . إنها ليست خطيئتي .

جوهانا : إنني لأتساءل عن ذلك .

ورنر : جوهانا !

جوهانا : كنت تملك خمساً وأربعين دقيقة . فماذا فعلت لإنقاذ ابنك؟

الأب : تعلمين ذلك جيداً .

جوهانا : كان غوبلز في هامبورغ ، فاتصلت به هاتفياً .

الأب : نعم .

جوهانا : وأخبرته أن معتقلاً هرب ورجوته أن يكون رحيماً بابنك .

الأب : وطلبت أيضاً أن تُصان حياة الأسير .

جوهانا : هذا بديهي . (فترة) عندما اتصلت هاتفياً بغوبلز . .

الأب : ماذا؟

جوهانا : ما كنت تستطيع أن «تعلم» أن السائق قد أبلغ عن فرانتز !

الأب : دعكِ من هذا ! كان يتجسس علينا دون انقطاع .

جوهانا : نعم ، لكن من الممكن ألاّ يكون قد رأى شيئاً ، وأن يكون قد أخذ السيارة لدافع آخر تماماً .

الأب : هذا ممكن .

جوهانا : طبعاً ، أنت لم تسأله شيئاً .

الأب : مَن؟

جوهانا : فريتز ذاك (الأب يهز كتفيه) أين هو الآن؟

الأب : في إيطاليا ، تحت صليب خشبي .

جوهانا : (فترة) إنني أرى . حسناً ، لن نطّلع على جلية الأمر أبداً . إذا لم يكن فريتز هو الذي سلم الأسير ، فلا بد أن يكون أنت .

ورنر : (بعنف) إنني أمنعك . .

الأب : لا تصرخ دوماً يا ورنر (يصمت ورنر) أنتِ على حق يا طفلتي . (فترة) عندما تناولت السماعَة ، قلت في نفسي : حظ من اثنين ! (فترة)

جوهانا : حظ من اثنين لاغتيال يهودي . (فترة) أهذا لا يمنعك مطلقاً من النوم؟

الأب : (بهدوء) مطلقاً .

ورنر : (للأب) يا أب ، إنني أوافقك دون تحفظ . كل الحيوات تتساوى . ولكن ، إذا كان لا بد من الاختيار ، فأعتقد أن الابن يأتي أولاً .

جوهانا : (بلطف) ليس الأمر كما تفكر به ، يا ورنر ، بل ما أمكن لفرانتز أن يفكر به . بماذا فكر ، يا ليني !؟

ليني : (باسمة) لكنك تعرفين آل ڤون غيرلاتش ، يا جوهانا .

جوهانا : هل صمت؟

ليني : لقد ذهب دون أن يفتح فاه ولم يكتب إلينا أبداً .

(فترة)

جوهانا : (للأب) قلت له سأسوي كل شيء ، ووضع ثقته

فيك ، كما هو الحال دوماً .

الأب : لقد وفيت بكلمتي . أما بالنسبة إلى الأسير ، فقد حصلت على ألاّ يعاقب . هل كان بإمكاني أن أتصور أنهم سيعدمونه أمام ابني؟

جوهانا : كان ذلك في ١٩٤١ ، يا أب ، وفي ١٩٤١ ، كان من الحكمة أن يتصور المرء كل شيء . (تقترب من الصور وتنظر إليها للحظات . إنها لا تزال تنظر إلى اللوحة) كان طهرانياً صغيراً ، ضحية للوتر ، يريد أن يدفع من دمه ثمن الأراضي التي بعتها . (تستدير نحو الأب) لقد ألغيت كل شيء . ولم تبق هناك إلاّ لعبة لطفل أغنياء . مع خطر الموت ، بالتأكيد . لكن بالنسبة إلى الشريك . . . لقد فهم أنه مسموح له بكل شيء لأن لا أهمية له .

الأب : (مُلهماً ، مشيراً إليها) هي ذي المرأة التي هو بحاجة إليها .

(يواجه ورنر وليني فجأة)

ورنر : (ثائراً) ماذا؟

ليني : يا أب ، ما أردأ ذوقك !

الأب : (للاثنين الآخرين) لقد فهمت من الوهلة الأولى . (لجوهانا) أليس كذلك؟ كان يجب أن أتساهل في سنتي سجن . يا للزلة ! كان أي شيء أفضل من عدم العقاب .

(فترة . يحلم . جوهانا لا تزال تنظر إلى اللوحات . ينهض ورنر ويأخذها من كتفيها ، ويديرها نحوه) .

جوهانا : (ببرود) ماذا هناك؟

ورنر : لا تشفقي على فرانتز . إنه لم يكن إنساناً يرضى بأن يقيم على فشل .

جوهانا : ثم ماذا؟

ورنر : (مشيراً إلى اللوحة) انظري ! اثنا عشر وساماً .

جوهانا : اثنا عشر فشلاً مضافة . كان يجري وراء الموت ، ولكن بلا حظ . كان يجري أسرع منه . (للأب) لننته . لقد حارب ، وعاد في ٤٦ ثم بعد سنة ، حدثت الفضيحة . فكيف كانت؟

الأب : شيطنة من ليني .

ليني : (بتواضع) الأب طيب جداً . لقد أتحت له الفرصة . لا أكثر من ذلك .

الأب : كنا نضيف ضباطاً أميركيين . كانت تلهبهم ثم ، عندما كانوا يحترقون جيداً ، كانت تهمس في أذنهم : «إنني نازية» وهي تصفهم بأنهم يهود قذرون .

ليني : لإطفائهم . كان هذا مسلياً ، أليس كذلك؟

جوهانا : مسلياً جداً . وهل كانوا ينطفئون؟

الأب : أحياناً . وأحياناً أخرى ينفجرون . وثمة واحد أخذ الأمر على محمل الجد .

ليني : (لجوهانا) الأميركي ، إن لم يكن يهودياً ، فهو لاسامي ، إن لم يكن كليهما معاً في آن واحد . وذاك لم يكن يهودياً ، فغضب .

جوهانا : وبعد؟

ليني : أراد أن يغتصبني ، فجاء فرانتز لمساعدتي ، وتدحرجا أرضاً ، وتغلّب عليه الرجل . فتناولت زجاجة وضربته بها كما يجب .

جوهانا : هل مات بسبب ضربتك؟

الأب : (بهدوء كبير) تصوري ! لقد حطمت الزجاجة جمجمته . (فترة) ستة أسابيع في المستشفى . وبالطبع ، تحمل فرانتز كل شيء على عاتقه .

جوهانا : ضربة الزجاجة أيضاً؟

الأب : كل شيء . (يظهر ضابطان أميركيان في آخر الغرفة . يلتفت الأب نحوهما) القضية ليست إلاّ طيشاً ، اقبلا هذه الكلمة : طيشاً خطيراً . (فترة) أرجوكما أن تشكرا الجنرال هوبكنز باسمي . قولا له إن ابني سيغادر ألمانيا ما إن يمنح سمة الخروج .

جوهانا : إلى الأرجنتين أليس كذلك؟

الأب : (يستدير نحوهما بينما يختفي الأميركيان) كان هذا هو الشرط .

جوهانا : إنني أفهم .

الأب : (بانفراج كبير) لقد كان الأميركيون طيبين حقاً .

جوهانا : مثل غوبلز في ١٩٤١ .

الأب : بل أفضل ! أفضل بكثير ! كانت واشنطن تفكر بتنشيط مصنعنا وتكليفنا بإعادة بناء الأسطول التجاري .

جوهانا : يا لفرانتز المسكين !

الأب : ماذا كنت أستطيع أن أفعل؟ كانت هناك مصالح

كبيرة يقامر عليها . ووزنها أثقل من جمجمة كابتن .
حتى لو لم أتدخل ، لأخمد المحتلون الفضيحة .

جوهانا : كان هذا ممكناً . (فترة) وهل رفض الذهاب؟

الأب : ليس فوراً (فترة) كنت قد حصلت على سمة الخروج . كان عليه أن يغادر يوم سبت . وفي صباح الجمعة ، جاءت ليني لتقول لي إنه لن ينزل بعد الآن مطلقاً . (فترة) للوهلة الأولى ، اعتقدت أنه مات . ثم رأيت عيني ابنتي . كانت قد ربحت .

جوهانا : ماذا ربحت؟

الأب : لم تقل أبداً .

ليني : (باسمة) هنا ، إننا نلعب ، كما تعلمين ، من يخسر يربح .

جوهانا : وبعد ذلك؟

الأب : عشنا ثلاثة عشر عاماً .

جوهانا : (مستديرة نحو اللوحة) ثلاثة عشر عاماً .

ورنر : ما أجمله من عمل ! ثقوا أنني قدرت كل شيء كهاوٍ . كيف ناورتماها ، المسكينة . في البداية ، كانت لا تكاد تصغي . وفي النهاية ، لم تعد تمل من الاستجواب . حسناً ، لقد تمت اللوحة . (ضاحكاً) «أنت المرأة التي هو بحاجة إليها !» مرحى ، يا أب ! هي ذي العبقرية .

جوهانا : توقّف ! إنك تضيعنا .

ورنر : لكننا ضعنا ، فماذا تبقى لنا؟ (يمسكها من ذراعها فوق المرفق ، ويجذبها نحوه وينظر إليها) أين نظرتك !؟ لك

عينا تمثال : بيضاوان . (دافعاً إياها فجأة) تملق مبتذل للغاية . لقد وقعتِ في الفخ ! إنك تخيّبين أملي ، يا صغيرتي .

(فترة . الجميع ينظرون إليه)

جوهانا : حان الوقت .

ورنر : وقت ماذا؟

جوهانا : تنفيذ الموت ، يا حبي .

ورنر : تنفيذ أي موت؟

جوهانا : موتك (فترة) لقد أوقعا بنا . عندما كانا يحدثانني عن فرانتز ، كانا يعملان على أن تصيبك الكلمات بطريقة غير مباشرة .

ورنر : لعلي أنا الذي أغرياه؟

جوهانا : إنهما لم يغريا أحداً . لقد أرادا أن يجعلاك تعتقد أنهما يغريانني .

ورنر : ما الهدف ، من فضلك؟

جوهانا : ليذكّراك بأن لا شيء لك ، حتى ولا زوجتك (يفرك الأب يديه بهدوء . فترة . فجأة) انتزعني من هنا ! (صمت قصير) أرجوك ! (يضحك ورنر . تصبح قاسية باردة) للمرة الأخيرة ، أسألك ، لنرحل ، للمرة الأخيرة ، أتسمع؟

ورنر : أسمع . ألم يعد لديك أسئلة تطرحينها؟

جوهانا : كلاّ .

ورنر : إذاً ، هل أفعل ما أريد؟ (إشارة من جوهانا ، منهكة)

حسناً جداً (على الكتاب المقدس) أقسم بأن ألبّي آخر مشيئة لوالدي .

الأب : هل ستبقى هنا؟

ورنر : (يده لا تزال ممدودة فوق الكتاب المقدس) ما دمت تطلب ذلك . هذا البيت بيتي لأعيش فيه ، وفيه أموت .

(يحني رأسه)

الأب : (ينهض ويخطو نحوه ، إكرام محب) باركك الله !

(يبتسم له . ورنر متجهماً لحظة ، ينتهي إلى أن يبتسم له باعتراف متواضع بالجميل) .

جوهانا : (ناظرة إليهم جميعاً) هذا هو إذاً مجلس العائلة . (فترة) ورنر ! إنني راحلة معك أو بدونك ، اختر .

ورنر : (دون أن ينظر إليها) بدوني .

جوهانا : حسن (صمت قصير) أتمنى ألاّ تندم كثيراً .

ليني : إنما نحن الذين سنندم عليك . الأب على الأخص . متى ستغادريننا؟

جوهانا : لست أدري بعد . عندما أتيقّن من أنني خسرت الجولة .

ليني : ألست متيقّنة بعد؟

جوهانا : (بابتسامة) كلاّ ؛ ليس بعد .

(فترة)

ليني : (معتقدة أنها فهمت) إذا ما دخل رجال الشرطة إلى هنا ، فسوف يعتقلوننا ثلاثتنا للحجز . ولكني أنا ، بالإضافة إلى ذلك ، سيسجنونني بسبب الجريمة .

جوهانا : (دون أن تتأثر) هل تبدو عليَّ هيئة من يبلغ الشرطة؟

(للأب) اسمح لي بالانسحاب .

الأب : طبتِ مساءً ، يا طفلتي .

(تنحني وتخرج . ويأخذ ورنر بالضحك)

ورنر : (ضاحكاً) حسناً . . . حسناً . . . (يتوقف فجأة . يقترب من الأب ، ويلمس ذراعه في خجل ، وينظر إليه في حنان قلق) هل أنت راضٍ؟

الأب : (مذعوراً) لا تلمسني ! (فترة) لقد انتهى المجلس ، اذهب والحق بامرأتك .

(ينظر إليه ورنر لحظة بنوع من اليأس ، ثم يدور نصف دورة ويخرج)

المشهد الثالث

الأب - ليني

ليني : ألا ترى أنك في كل حال قاسٍ أكثر مما ينبغي؟

الأب : مع ورنر؟ لو اقتضى الأمر لكنت حنوناً . لكن يبدو أن القسوة هي الطريقة الناجعة .

ليني : كان يجب ألاّ تدفعه إلى أقصى حد .

الأب : دعك من هذا !

ليني : لدى زوجته مشاريع .

الأب : إنها تهديدات مسرحية . لقد أثار الغضب الممثلة وأرادت الممثلة خروجها .

ليني : ليسمعك الله . . . (فترة) إلى هذا المساء ، يا أب . (تنتظر أن يخرج . لا يتحرك) يجب أن أسحب لك المصاريع ثم ستحين ساعة فرانتز (بإصرار) إلى هذا المساء .

الأب : (باسماً) إنني ذاهب ، إنني ذاهب ! (فترة . بنوع من الخجل) أهو عارف بما أعاني منه؟

ليني : (مدهوشة) مَن؟ أوّاه ! فرانتز ! بإيماني لا .

الأب : آه ! (بسخرية جادّة) أتدارينه؟

ليني : هو؟ تستطيع أن تمر تحت قطار . . . (بلا مبالاة) لأقول لك كل شيء ، فإنني نسيت أن أخبره .

الأب : اعقدي منديلك .

ليني : (متناولة منديلاً لتعقده) ها هوذا .

الأب : ألن تنسي؟

ليني : كلاّ، ولكن لا بد أن تتاح لي فرصة .

الأب : عندما تتاح لك، حاولي أيضاً أن تسأليه إذا كان يستطيع استقبالي .

ليني : (بسأم) مرة أخرى ! (قاسية، لكن دون غضب) لن يستقبلك . لماذا ترغمني على أن أكرر يومياً ما تعرفه منذ ثلاثة عشر عاماً؟

الأب : (عنيفاً) ماذا أعرف، أيتها العاهرة؟ ماذا أعلم؟ أنت تكذبين كما تتنفسين . إنني أجهل إذا كنت تنقلين إليه رسائلي ورجائي . وإنني لأتساءل أحياناً إذا كنت لم تقنعيه أنني مت منذ عشر سنوات .

ليني : (هازة كتفيها) ماذا تحاول أن تقول؟

الأب : أحاول أن أكشف عن حقيقة أكاذيبك أو عن رابطة بينها .

ليني : (مشيرة إلى الطابق الأول) إنها فوق، الحقيقة فوق . اصعد، فتجدها . اصعد ! هيا اصعد !

الأب : (يتراخى . بغضب، يبدو خائفاً) أنت مجنونة !

ليني : اسأله وستطلع على جلية الأمر .

الأب : (اللهجة نفسها) لا أعرف حتى . . .

ليني : الإشارة ! (ضاحكة) أواه ! بلى، بل تعرفها . مائة مرة فاجأتك وأنت تراقبني . كنت أسمع خطواتك، وألمح ظلك، ولا أقول شيئاً، لكني كنت أقاوم الرغبة في القهقهة . (يريد أن يحتج) أأخطأت؟ حسناً، سأسر بأن

أطلعك أنا نفسي .

الأب : (بصوت غير مسموع وعلى الرغم منه) لا .

ليني : اقرع أربع مرات ، ثم خمساً ، ثم ثلاثاً على دفعتين . ما الذي يمنعك؟

الأب : وماذا سأجد؟ (فترة . بصوت غير مسموع) إذا طردني فلن أتحمله .

ليني : أتحب أكثر أن تقنع نفسك بأنني أمنعه من السقوط بين ذراعيك؟

الأب : (بصعوبة) يجب أن تعذريني ، يا ليني . إنني في أغلب الأحيان غير عادل . (يداعب رأسها ، فتنكمش) شعرك ناعم . (يداعبها وهو أكثر ذهولاً ، كأنه يفكر) ألك سيطرة عليه؟

ليني : (بكبرياء) بالطبع .

الأب : ألا تستطيعين ، رويداً رويداً ، الطلب إليه بلباقة . . . أرجوك أن تلحي خصوصاً على هذا الأمر الرئيسي : زيارتي الأولى ستكون الأخيرة . لن أبقى سوى ساعة واحدة . وربما أقل ، إذا كان هذا يتعبه . وعلى الأخص قولي له إنني لست على عجل . (باسماً) أعني ليس كثيراً .

ليني : لقاء واحد؟

الأب : واحد .

ليني : لقاء واحد وأنت ستموت ! فما الفائدة من رؤيته ثانية؟

الأب : لرؤيته ثانية . (تضحك بوقاحة) ولأستأذن منه .

ليني : ماذا يتبدل في الأمر لو أنك رحلت على الطريقة الإنكليزية؟

الأب : بالنسبة إليّ؟ كل شيء . إذا رأيته ثانية ، فإنني أوقف الحساب ، وأقوم بالجمع .

ليني : أمن الواجب أن تتحمل كل هذه المشقة؟ سيتم الجمع من تلقاء نفسه .

الأب : أتعتقدين بذلك؟ (صمت قصير) يجب أن أستخلص الحاصل بنفسي وإلاّ اختلط كل شيء . (بابتسامة تكاد تكون خجلة) بعد كل شيء ، لقد عشتها ، هذه الحياة ، فلا أستطيع أن أتركها تضيع . (فترة . بخجل تقريباً) هل ستكلمينه؟

ليني : (بفظاظة) ولمَ أفعل ذلك؟ ها قد مضت ثلاثة عشر عاماً وأنا أقوم بالحراسة ، فهل أخفّف من تيقظي بعد أن لم يبق أمامي سوى الثبات ستة أشهر أخرى؟

الأب : أتقومين بالحراسة ضدي؟

ليني : ضد كل الذين يريدون القضاء عليه .

الأب : أنا أريد القضاء على فرانتز؟

ليني : نعم .

الأب : (بعنف) هل أنت مجنونة؟ (يهدأ . في رغبة حارة لإقناعها ، ضارعاً تقريباً) اسمعي ، من الممكن أن تكون آراؤنا متباينة فيما يناسبه ، لكني لا أطلب رؤيته ثانية إلاّ مرة واحدة . فمتى سيتاح لي الوقت لأؤذيه ، حتى

ولو كنت أرغب في ذلك؟ (تضحك بخشونة) أعطيك كلمتي . . .

لينى : وهل سألتكها؟ لا هدايا !

الأب : لنتفاهم إذاً .

لينى : آل ڤون غيرلاتش لا يتفاهمون أبداً .

الأب : أتتصورين أنني ملك يديك؟

لينى : (اللهجة نفسها ، الابتسامة نفسها) أنت ملك يديّ إلى حد ما ، أليس كذلك؟

الأب : (نظرة شزر ساخرة ومحتقرة) تصوّري !

لينى : من منا نحن الاثنين ، يا أب ، يحتاج إلى الآخر؟

الأب : (بهدوء) من منا ، نحن الاثنين ، يا ليني ، يخيف الآخر؟

لينى : أنا لا أخافك . (ضاحكة) يا لها من خدعة ! (تنظر إليه بتحدٍ) هل تعرف ما الذي يجعل مني غير قابلة للأذى؟ إنني سعيدة .

الأب : أنت؟ وما الذي يمكن أن تعرفيه عن السعادة؟

لينى : وأنت ، ماذا تعرف عنها؟

الأب : إنني أراك . إذا كانت قد أعطتك هاتين العينين ، فهذا أرق عذاب .

لينى : (شبه ضائعة) نعم ! أرق ، ألطف ! إنني أدور ! إذا توقفت فسأتحطم . هذه هي السعادة ، السعادة الجنونية . (بانتصار وخبث) إنني أرى فرانتز ، أنا ! لدي كل ما أريد . (ويضحك الأب بهدوء . تتوقف فجأة وتنظر إليه بثبات) كلاّ . أنت لا تخادع أبداً . أرى أن معك

ورقة رابحة . حسناً . أرنيها .

الأب : (بسذاجة) فوراً؟

ليني : (بإصرار) فوراً . لن تحتفظ بها احتياطاً حتى تبرزها عندما لا أكون منتظرة إياها .

الأب : (بسذاجة أيضاً) وإذا كنت لا أريد أن أريكها؟

ليني : سأرغمك .

الأب : كيف؟

ليني : لن أتراجع . (تحمل الكتاب المقدس في جهد وتضعه على طاولة) لن يستقبلك فرانتز ، أقسم لك . (تمدّ يدها) أقسم على هذا الكتاب المقدس أنك ستموت دون أن تكون قد رأيته مرة ثانية . (فترة) هو ذاك . (فترة) كف عن لعبتك .

الأب : (مطمئناً) هه ! أنت لم تقهقهي . (يداعب شعرها) عندما أداعب شعرك ، أفكر بالأرض : من الخارج مجلّلة بالحرير ، ومن الداخل تغلي وتثور .(يحك يديه بهدوء . بابتسامة مسالمة وعذبة) سأتركك ، يا طفلتي .

(يخرج)

المشهد الرابع

ليني (بمفردها) - جوهانا - الأب

(تظل ليني شاخصة العينين إلى الباب البعيد، الذي خرج منه والدها. ثم تتمالك نفسها. فتتجه نحو النافذتين - البابين، يميناً، وتفتحهما، ثم تسحب المصاريع الكبيرة التي تغلقهما، ثم تغلق الأبواب الزجاجية. الغرفة غارقة في الظل.
تصعد ببطء السلم المؤدي إلى الطابق الأول وتقرع باب فرانتز: أربع دقات، ثم خمساً، ثم ثلاثاً مرتين.
في اللحظة التي تقرع فيها الدقات الثلاث مرتين، ينفتح الباب الذي إلى اليمين - في صدر الغرفة - وتظهر جوهانا دون صوت. إنها تتجسس.
نسمع صوت مغلاق يدار ومزلاج حديدي يرفع، وينفتح الباب في الأعلى، تاركاً النور الكهربائي الذي يضيء غرفة فرانتز ينتشر. لكن هذا الأخير لا يظهر. تدخل ليني وتغلق الباب. نسمعها تسحب المغلاق وتنزل المزلاج الحديدي.
تدخل جوهانا إلى الغرفة، وتقترب من طاولة وتضرب بسبابتها ثلاث ضربات مرتين لتثبتها في ذاكرتها. من الواضح أنها لم تسمع الدقات الخمس والأربع. تعاود العمل.
في هذه اللحظة تضاء زجاجات الثريا كلها فتنتفض وهي تكتم صرخة. إنه الأب الذي يظهر من اليسار والذي أدار الواصل الكهربائي.
تحمي جوهانا عينيها بيدها وساعدها)

الأب : مَن هنا؟ (تخفض يدها) جوهانا! (مقترباً منها) أنا آسف. (إنه وسط الغرفة) في استجوابات الپوليس، توجه الأضواء إلى المتهم، فماذا ستفكرين عني أنا الذي يوجه كل هذا الضوء إلى عينيك؟

جوهانا : أفكر بأنك يجب أن تطفئه.

الأب : (دون أن يتحرك) ثم بعد ذلك؟

جوهانا : ثم بأنك لست من الپوليس ولكنك تفكر بأن تخضعني لاستجواب پوليسي. (يبتسم الأب وتسبل ذراعيها في إنهاك مصطنع. بحدة) أنت لا تدخل أبداً إلى هذه الغرفة. ماذا كنت تفعل فيها إذا كنت لا تترصدني؟

الأب : ولكنك، يا طفلتي، أنت أيضاً لا تدخلين إليها. (لا تجيب جوهانا) لن يكون هناك استجواب. (يشعل مصباحين ـ عاكس النور من الموسلين الوردي ـ ويذهب ليطفئ الثريا) هوذا نور نصف الحقائق الوردي. هل أنت مرتاحة أكثر؟

جوهانا : كلاّ، اسمح لي بالانسحاب.

الأب : سأسمح لك به عندما تكونين قد سمعت جوابي.

جوهانا : لم أسألك شيئاً.

الأب : لقد سألتني عما كنت أفعل هنا، وإنني مصر على أن أخبرك بذلك على الرغم من أنه لا مدعاة لي للفخر به. (صمت قصير) منذ سنين، يومياً تقريباً، عندما أتأكد من أن ليني لن تفاجئني، أجلس في هذا

المقعد وأنتظر .

جوهانا : (متشوقة على الرغم منها) ماذا تنتظر؟

الأب : أن يتمشى فرانتز في غرفته وأن تتاح لي الفرصة لأسمعه يمشي . (فترة) هذا كل ما تركوه لي من ابني : اصطدام نعلين بالأرض . (فترة) في الليل ، أنهض . الجميع نائمون ، لكني أعلم أن فرانتز مسهد : إننا نشكو هو وأنا من الأرق نفسه . إنها طريقة في أن نكون معاً . وأنت ، يا جوهانا ، مَن تترصدين؟

جوهانا : لم أكن لأترصد أحداً .

الأب : إذاً ، إنها مصادفة ، أعظم المصادفات ، وأسعدها . كنت أتمنى أن أكلمك على انفراد . (جوهانا تغضب بحدة) كلا ، كلا ، لا أسرار ، لا أسرار ، باستثناء ليني . ستقولين كل شيء لورنر ، أصر على ذلك .

جوهانا : في مثل هذه الحال ، فمن الأبسط استدعاؤه .

الأب : أسألك دقيقتين . . دقيقتين ثم أذهب لأستدعيه بنفسي . إذا بقيت على إصرارك .

(جوهانا ، متفاجئة بالجملة الأخيرة ، تتوقف وتنظر إليه وجهاً لوجه) .

جوهانا : حسناً ، ماذا تريد؟

الأب : أن أتكلم مع كنتي عن عائلة غيرلاتش الصغيرة .

جوهانا : عائلة غيرلاتش الصغيرة أصبحت حطاماً .

الأب : ما هذا الذي تقولينه؟

جوهانا : لا شيء جديداً ، فأنت الذي حطمتها .

الأب : (آسفاً) يا إلــهي ! عن سوء تصرف . (بحنان) لكني حسبت أن لديك وسيلة لترميمها . (تذهب بسرعة إلى آخر المسرح ، يساراً) ماذا تفعلين؟

جوهانا : (مشعلة المصابيح كلها) الاستجواب بدأ . إنني أُضيء الأنوار . (تعود لتقف تحت الثريا) أين يجب أن أقف؟ هنا؟ حسناً . والآن ، تحت النور البارد للحقائق الكاملة ، والأكاذيب التامة ، أصرح بأنني لن أدلي باعتراف لسبب بسيط : هو أنه لا اعتراف عندي أُدلي به . إنني وحيدة ، بدون سند ، ومدركة تماماً عجزي . سوف أرحل . سأنتظر ورنر في هامبورغ . إذا لم يعد . . . (حركة يائسة) .

الأب : (بجد) جوهانا المسكينة ، لن نكون بذلك إلاّ قد أسأنا إليك . (بصوت متبدّل فيه لهجة المناجاة والغبطة فجأة) وعلى الأخص : كوني جميلة .

جوهانا : عفواً؟

الأب : (باسماً) أقول كوني جميلة .

جوهانا : (شبه مهانة ، معنِّفة) جميلة !

الأب : لن يقتضيك هذا مشقة .

جوهانا : (اللهجة نفسها) جميلة ! يوم الوداع ، على ما أفترض . سأترك لكم أجمل الذكريات .

الأب : كلا ، يا جوهانا ، اليوم الذي ستذهبين فيه إلى غرفة فرانتز . (تظل جوهانا دَهشة) لقد انقضت الدقيقتان . أيجب أن أستدعي زوجكِ؟

(تشير بأن لا) حسناً جداً . سيكون هذا سرنا .

جوهانا : سيعلم ورنر بكل شيء .

الأب : متى؟

جوهانا : خلال بضعة أيام . نعم ، سأراه ، فرانتز هذا ، سأرى هذا الطاغية الأليف ، فمن الأفضل التوجه إلى الله بدلاً من التوجه إلى قديسيه .

الأب : (فترة) إنني مسرور من أنك تجربين حظك . (يبدأ بفرك يديه ، وينظر إليهما ويضعهما في جيبيه) .

جوهانا : اسمح لي بأن أشك في ذلك .

الأب : لماذا؟

جوهانا : لأن مصالحنا متعارضة . أتمنى أن يعود فرانتز إلى حياة طبيعية .

الأب : هذا ما أتمناه أنا أيضاً .

جوهانا : أنت! إذا ما وضع أنفه خارجاً ، قبض عليه البوليس وحل العار بالأسرة .

الأب : (باسماً) أعتقد أنك لا تتصورين قوتي . ليس على ابني إلاّ أن ينزل . وسوف أسوى كل شيء فوراً .

جوهانا : ستكون هذه أفضل وسيلة ليصعد إلى غرفته من جديد راكضاً ويسجن نفسه فيها إلى الأبد .

(صمت . يخفض الأب رأسه وينظر إلى السجادة)

الأب : (بصوت خفيض) حظ من عشرة ليفتح لك ، وواحد من مائة ليستمع إليك ، وواحد من ألف ليجيبك . فإذا كان لديك هذا الواحد من الألف من الحظ . .

جوهانا : فماذا؟

الأب : هل تقبلين بأن تقولي له إنني سأموت؟

جوهانا : ليني لم . . .؟

الأب : كلاّ . .

(يرفع رأسه . تنظر إليه جوهانا بثبات)

جوهانا : هكذا جرى الأمر إذاً؟ (لا تزال تنظر إليه) أنت لا تكذب . (فترة) حظ من ألف . (ترتعد وتتمالك نفسها فوراً) أيجب أيضاً أن أسأله إذا كان يريد استقبالك؟

الأب : (بحدة ، مذعوراً) كلا ، كلا مجرد إبلاغ ، لا أكثر : الشيخ سيموت . دون تعليقات . أتعدينني بذلك؟

جوهانا : (باسمة) أقسم لك على الكتاب المقدس .

الأب : شكراً (لا تزال تنظر إليه . يقول من بين أسنانه ، كأنه يريد أن يوضح لها تصرفه ، لكن بصوت خفيض بحيث يبدو وكأنه لا يخاطب إلاّ نفسه) وددت لو أساعده . لا تحاولي شيئاً اليوم . ستنزل ليني فيما بعد ، وسيكون متعباً بلا شك .

جوهانا : غداً؟

الأب : نعم . عند بداية بعد الظهر .

جوهانا : أين سأجدك إذا احتجت . .

الأب : لن تجديني . (فترة) إني راحل إلى ليبزغ . (فترة) إذا فشلت . . . (حركة) سأعود بعد بضعة أيام . عندما تكونينَ قد ربحت أو خسرت .

جوهانا : (قلقة) ستتركني وحيدة؟ (تتمالك نفسها) لِمَ لا؟ (فترة)

حسناً ، أتمنى لك رحلة طيبة وأرجوك ألاّ تتمنى لي شيئاً .

الأب : انتظري ! (بابتسامة اعتذار ، لكن بجد) أخاف من أن أفقدك . الصبر ، يا طفلتي ، لكنني أكرر عليك بأنه يجب أن تكوني جميلة .

جوهانا : ها نحن عدنا !

الأب : مضت ثلاثة عشر عاماً دون أن يرى فيها فرانتز أحداً . ولا نسمة .

جوهانا : (هازة كتفيها) باستثناء ليني .

الأب : إنها ليست نسمة ، ليني . وأتساءل ما إذا كان يراها . (فترة) سيفتح الباب وماذا سيحدث إذا كان خائفاً؟ إذا ما سجن نفسه حتى اليوم في العزلة؟

جوهانا : وماذا سيتبدل في الأمر إذا طليت وجهي؟

الأب : كان يحب الجمال .

جوهانا : وما كانت حاجته إليه ، ابن الرأسمالي هذا؟

الأب : سيقول لك ذلك غداً .

جوهانا : أبداً . (فترة) لست جميلة . أهذا واضح؟

الأب : إذا لم تكوني جميلة ، فمَن سيكون؟

جوهانا : لا أحد . ليس هناك إلاّ قبيحات مقنعات . لن أتقنّع بعد الآن .

الأب : حتى من أجل ورنر؟

جوهانا : حتى من أجل ورنر ، نعم . احفظ ذلك . (فترة) هل تفهم معنى الكلمات؟ كانوا يصنعون مني . . . .

جميلة . مرة لكل فيلم . (فترة) اعذرني ، هذا جنون . عندما يثير أحد هذ الموضوع ، أفقد رشدي !

الأب : أنا الذي يعتذر ، يا طفلتي .

جوهانا : دعك من هذا . ما كنت لتستطيع أن تفهم ، أو لعلك كنت تعرف ، هذا لا يهم . (فترة) كنت جميلة ، على ما أفترض . . . وجاؤوا ليقولوا لي إنني جميلة وصدقتهم . هل كنت أعرف ، أنا ، ماذا أفعل على هذه الأرض؟ لا بد للمرء من تعليل حياته . والمزعج هو أنهم كانوا مخطئين . (فجأة) مراكب؟ أهذا يسوّغ؟

الأب : كلاّ .

جوهانا : كنت أشك في ذلك . (فترة) سيأخذني فرانتز كما أنا . بهذا الثوب وهذا الوجه . إن أية امرأة كانت تصلح دوماً لأي رجل كان .

(صمت ، فوق رأسيهما ، يبدأ فرانتز بالسير . إنها خطوات غير منتظمة ، أحياناً بطيئة وغير متناسقة ، وأحياناً سريعة وموزونة ، وأحياناً مراوحة في مكانها . تنظر جوهانا إلى الأب بقلق وكأنها تسأل : «أهذا فرانتز؟») .

الأب : (مجيباً على هذه النظرة) نعم .

جوهانا : وتظل أنت ليالي كاملة . . .

الأب : (شاحباً ومتقلصاً) نعم .

جوهانا : إني أترك هذه اللعبة .

الأب : أتعتقدين أنه مجنون؟

جوهانا : مجنون يجب تقييده .

الأب : هذا ليس جنوناً .

جوهانا : (هازة كتفيها) فما هو إذاً؟

الأب : تعاسة .

جوهانا : ومن يستطيع أن يكون أكثر تعاسة من المجنون؟

الأب : هو .

جوهانا : (بفظاظة) لن أذهب إلى غرفة فرانتز .

الأب : بلى . غداً ، عند بداية بعد الظهر . (فترة) لا حظ آخر : لنا ، لا أنت ، ولا هو ، ولا أنا .

جوهانا : (متوجّهة نحو السلم ببطء) سأصعد هذا السلّم وسأقرع هذا الباب . . . (فترة . الخطوات توقفت) حسناً ، سوف أتحمّل ، لأحمي نفسي .

(يبتسم الأب لها وهو يفرك يديه)

نهاية الفصل الأول

الفصل الثاني

غرفة فرانتز

(باب إلى يسار الغرفة مدعم «يطل على سطح السلم» مغلاق . مرتاج حديدي .
بابان في آخر الغرفة ، من كلا طرفي السرير : أحدهما يؤدي إلى غرفة الحمام ، والآخر إلى المرحاض .
سرير ضخم دون شراشف ودون فراش . غطاء مطويّ على شكل وسادة .
طاولة مسندة إلى الجدار على اليمين . كرسي واحد .
من اليسار كومة غريبة من الأثّاث المحطم ، وطرف الزينة البالية ، وهذا الركام من الأنقاض هو كل ما بقي من التأثيث .
على الجدار ، الوسطي ، صورة كبيرة لهتلر (إلى اليمين ، فوق السرير) ، وإلى اليمين أيضاً ، رفوف . وعلى الرفوف بكرات . (مسجلة) .
يافطات على الجدران ـ النص بالأحرف المطبعية ، والحروف مخطوطة باليد : «ممنوع الخوف» .
على الطاولة ، محار ، وزجاجات شمپانيا ، وكؤوس ومسطرة إلخ .
عفن في زوايا الجدران وعلى السقف) .

المشهد الأول

فرانتز - ليني

(يرتدي فرانتز زي جندي ممزقاً .
من بعض المواضع يبرز الجلد بشكل مرئي تحت شقوق القماش .
إنه جالس إلى الطاولة ، يدير ظهره إلى ليني ، وثلاثة أرباعه للجمهور .
على الطاولة محار ؛ وزجاجات شمپانيا تحت الطاولة ، المسجلة مخفية .
ليني ، بمواجهة الجمهور ، تكنس ، ومئزر أبيض فوق ثوبها .
إنها تعمل باطمئنان ، دون حماسة مبالغ فيها ودون عجلة ، كربّة بيت متقنة ووجهها خال من كل تعبير ، شبه نائم ، بينما يتكلم فرانتز ، ولكنها ، بين الفينة والفينة ، ترميه بنظرات ، نشعر أنها تترصده وأنها تنتظر نهاية الخطاب) .

فرانتز : يا ساكني السقوف المقنّعين ، انتبهوا ! يا ساكني السقوف المقنعين ، انتبهوا ! إنهم يكذبون عليكم . ملياران من شهود الزور ! ملياران من شهادات الزور في الثانية ! استمعوا إلى شكوى بني البشر : «لقد خانتنا أفعالنا ، كلماتنا ، وحياتنا الحقيرة !» . يا عشاريات الأرجل ، إنني أشهد أنهم ما كانوا يفكرون بما يقولون ولا يفعلون ما يريدون . إننا نرافع : غير

مذنب . وعلى الأخص لا تصدروا أحكامكم استناداً إلى اعترافات ، ولو كانت موقعة ، فقد كانوا يقولون ، في ذلك الحين : «لقد اعترف المتهم ، فهو بريء إذاً» . يا مستمعيّ الأعزاء ، لقد كان عصري مزاداً : فقد قرر من بيدهم الأمر والنهي تصفية الجنس البشري . وقد بدأوا بألمانيا حتى العظام . (يصب لنفسه ليشرب) واحد فقط يقول الحقيقة : التنين المشدوخ ، الشاهد العياني ، القديم ، المدقق ، العالمي ، أبد الآبدين . أنا ، لقد مات الإنسان وأنا شاهده . أيتها القرون ، سأخبرك بطعم قرني ، وستبرئين ساحة المتهمين . أما الوقائع ، فإني أزدريها . إنني أتركها لشهود الزور . إنني أترك لهم الأسباب الموجبة والحجج الدامغة . لقد كان هناك ذلك الطعم . كان ملء فمنا . (يشرب) وكنا نشرب لنحتمله . (حالماً) كان طعماً غريباً ، هه ، ماذا؟ (ينهض فجأة في نوع من الذعر) سأعود .

ليني : (معتقدة أنه انتهى) فرانتز ، أريد أن أكلمك .

فرانتز : (صارخاً) اصمتي أيتها السراطين .

ليني : (بصوت طبيعي) أصغ إلي . الأمر جدّ خطير .

فرانتز : (للسراطين) لقد وقع الاختيار على المدرع؟ مرحى ! الوداع أيها العري ! لكن لمَ تحتفظون بأعينكم؟ إنها أقبح ما نملكه . ماذا؟ لِمَ؟ (يتظاهر بالانتظار . طقطقة . ينتفض . بصوت آخر جاف ، سريع ، ساخر) ما هذا؟ (يستدير نحو ليني وينظر إليها بارتياب وقسوة) .

ليني : (باطمئنان) البكرة . (تنحني ، تأخذ المسجلة ، وتضعها على الطاولة) . انتهت . . . (تضغط على زر ، فتلتف البكرة من جديد . يُسمع صوت فرانتز بالمعكوس) الآن ، ستصغي إلي . (يتهاوى فرانتز على الكرسي ويشدّ يده على صدره . تقطع كلامها ! لقد رأته وهي تستدير نحوه ، متشنجاً ، بادياً عليه الألم . دون أن تتأثر) ما هناك؟

فرانتز : ما الذي تريدين أن يكون؟

ليني : القلب؟

فرانتز : (بألم) إنه يخفق !

ليني : ماذا تريد ، أيها المغني الغرِّيد ، بكرة أخرى؟

فرانتز : (هادئاً فجأة) بربك لا ! (ينهض من جديد ويأخذ بالضحك) إنني ميت تعباً ، يا ليني ، ميت تعباً . ارفعي هذه ! (تذهب لترفع البكرة) انتظري ! أريد أن أسمع نفسي .

ليني : من البداية؟

فرانتز : من أي موضع كان . (تسيّر ليني الجهاز . يسمع صوت فرانتز : «واحد فقط يقول الحقيقة ، . . . إلخ» . يُسمَع صوت فرانتز لحظة ، ويتشنج وجهه . يتكلم بينما يتابع الصوت المسجل كلامه) لم أُرد أن أقول هذا . ولكن من يتكلم؟ ولا كلمة صحيحة . (يرهف أيضاً سمعه) لم أعد أستطيع تحمل هذا الصوت . إنه ميت . أوقفيه ، بحق الإلـه ! أوقفيه ، يكفي ، أنت تجننينني ! . . . (توقف ليني ، دون عجلة مبالغ فيها ، المسجلة ، وتعيد لف البكرة . تكتب رقماً على البكرة وتذهب لتضعها إلى جانب البكرات

الأخرى . ينظر إليها فرانتز ، بادياً عليه اليأس) حسناً . عليّ أن أبدأ كل شيء من جديد!

ليني : كما هو الحال دوماً .

فرانتز : كلاّ ، إنني أتقدم . ذات يوم ستأتيني الكلمات من تلقاء نفسها وسأقول ما أريد . ثم ، أستريح ! (فترة) أتعتقدين أن لها وجوداً؟

ليني : ماذا؟

فرانتز : الراحة؟

ليني : كلاّ .

فرانتز : هذا ما كنت أظنه . (صمت قصير) .

ليني : هل تريد أن تصغي إلي؟

فرانتز : أجل !

ليني : إنني خائفة !

فرانتز : (منتفضاً) خائفة ! (ينظر إليها بقلق) أقلت حقاً خائفة؟

ليني : نعم .

فرانتز : (بفظاظة) إذاً ، اغربي عن وجهي !

(يتناول مسطرة من فوق الطاولة . وبطرف المسطرة ، يضرب على إحدى اليافطات : «ممنوع الخوف»)

ليني : حسن . لم أعد خائفة . أصغ إلي ، أرجوك .

فرانتز : إنني لا أفعل غير ذلك . أنت تصدعين رأسي (فترة) ماذا تريدين؟

ليني : لست أدري بالتحديد ما يُعد ، لكن . . .

فرانتز : أمر ما يُعد؟ أين ، في واشنطن؟ في موسكو؟

ليني : تحت أخمص قدميك .

فرانتز : أفي الطابق الأرضي؟ (إلهام مفاجئ) الأب سيموت .

ليني : من يتكلم عن الأب؟ إنه سيدفننا جميعاً .

فرانتز : هذا أفضل .

ليني : أفضل !

فرانتز : أفضل ، أسوأ ، إنني لا أبالي . إذاً ما الأمر؟

ليني : أنت في خطر .

فرانتز : (في قناعة) نعم ، بعد موتي ! إذا ما فقدت العصور أثري ، فإن الخليج سيقضمني . ومن سينقذ الإنسان يا ليني؟

ليني : مَن يشاء . فرانتز ، أنت في خطر منذ البارحة وفي حياتك .

فرانتز : (بلا مبالاة) حسناً ، احميني . هذا شأنك .

ليني : نعم ، إذا ساعدتني .

فرانتز : لا وقت لدي (مازحاً) إنني أكتب التاريخ ، وأنت تأتين لتزعجيني بنوادرك .

ليني : أتكون نادرة ، إذا قتلوك؟

فرانتز : نعم .

ليني : حتى إذا قتلوك قبل الأوان بفترة طويلة؟

فرانتز : (مقطباً حاجبيه) قبل الأوان؟ (فترة) مَن يريد قتلي؟

ليني : المحتلون .

فرانتز : إنني أرى . (فترة) إنهم يحطمون صوتي ، ويزيفون الثلاثين بوثائق مزوّرة . (فترة) ألديهم أحد في الساحة؟

لیني : أعتقد .
فرانتز : مَن؟
ليني : لست أدري بعد . أظن أنها زوجة ورنر .
فرانتز : الحدباء؟
ليني : نعم . إنها تدس أنفها في كل مكان .
فرانتز : أعطيها من سم الفئران .
ليني : إنها حذِرة .
فرانتز : ما أكثر العراقيل ! (قلقاً) يلزمني عشر سنين .
ليني : أعطني عشر دقائق .
فرانتز : أنت تزعجينني .

(يذهب نحو الجدار الوسطي ويجس بأصبعه البكرات على الرفوف) .

ليني : ماذا إذا ما سرقت منك؟
فرانتز : (يستدير نصف استدارة ، فجأة) ماذا؟
ليني : البكرات .
فرانتز : أنت تفقدين عقلك .
ليني : (بجفاء) افترض أنهم جاؤوا في أثناء غيابي ، أو بالأحرى بعد أن يقضوا عليّ .
فرانتز : فليأتوا ، لن أفتح . (متلهّياً) أيريدون أن يقضوا عليك أنت أيضاً؟
ليني : إنهم يفكرون بذلك . ماذا ستفعل من دوني؟ (لا يجيب فرانتز) ستموت جوعاً .
فرانتز : لن يكون هناك وقت لأجوع . سأموت ، هذا كل

شيء . أنا ، إنني أتكلم . أما الموت ، فإن جسدي هو الذي سيتكفّل به . بل إنني لن أشعر به . وسأستمر في الكلام . (صمت) والفائدة ، هي أنك لن تغلقي عينيّ . سيقتحمون الباب وماذا سيجدون؟ جثة ألمانيا المغتالة . (ضاحكاً) سأنتن نتانة تأنيب ضمير .

ليني : لن يقتحموا شيئاً مطلقاً . سيقرعون ، وستكون على قيد الحياة وستفتح الباب لهم .

فرانتز : (ذهول مصطنع) أنا؟

ليني : أنت ، (فترة) إنهم يعرفون الإشارة .

فرانتز : لا يستطيعون أن يعرفوها .

ليني : منذ أن راحوا يتجسسون عليّ ، أنت تدرك جيداً أنهم تعلّموها . الأب ، مثلاً ، إنني واثقة من أنه يعرفها .

فرانتز : آه ! (صمت) أهو مشترك معهم؟

ليني : مَن يعلم؟ (فترة) أقول لك إنك ستفتح لهم الباب .

فرانتز : وبعد؟

ليني : سيأخذون البكرات .

(يفتح فرانتز جاروراً ، ويخرج منه مسدساً حربياً ويريه للّيني باسماً) .

فرانتز : وهذا .

ليني : لن يأخذوها قسراً . سيقنعونك بإعطائهم إياها . (ينفجر فرانتز ضاحكاً) فرانتز ، أتوسّل إليك ، لنغير الإشارة . (يكف فرانتز عن الضحك . ينظر إليها بوجه مراءٍ وقلق) ماذا تقول؟

فرانتز : كلاّ . (يختلق بفطنة أسباب رفضه) لكل شيء أهميته . إن التاريخ كلمة مقدسة ، فإذا بدّلت فاصلة ، لم يبق هناك شيء .

ليني : حسناً . لن نمس التاريخ . ستهديهم البكرات ، والمسجلة ، إضافة إلى ذلك .

(يتجه فرانتز نحو البكرات وينظر إليها بحيرة) .

فرانتز : (يبدو متردداً وممزقاً) البكرات . . . البكرات . . . (فترة . يفكر ، ثم بحركة مفاجئة من ذراعه اليسرى ، يدفعها ويرميها أرضاً) هذا ما أفعله بها ! (يتكلم بشيء من الحماسة ، وكأنه يسر لليني بسرّ مهم . وفي الحقيقة ، إنه يخترع في أثناء ذلك ما سيقوله) لم يكن هذا إلاّ من قبيل الحيطة ، تصوّري . في حالة عدم اكتشاف الثلاثين للزجاج .

ليني : زجاج؟ هوذا شيء جديد . أنت لم تحدثني عنه أبداً !

فرانتز : إنني لا أقول كل شيء ، أيتها الأخت الصغيرة . (يفرك يديه في ابتهاج ، كالأب في المشهد الأول) تصوري زجاجاً أسود . أرق من الأثير . حساس بشكل خارق للعادة . النَفَس بالذات ينطبع عليه . أرق نفس . إن التاريخ محفور عليه ، منذ بدء الأزمان حتى فرقعة الأصابع هذه . (يفرقع أصابعه) .

ليني : أين هو؟

فرانتز : الزجاج؟ في كل مكان . هنا . إنه يعكس النور . سوف يخترعون أجهزة ليجعلوه يهتز . وسيبعث كل شيء من جديد . هه ، ماذا؟ (فجأة يأخذ بالتخيُّل)

أفعالنا كلها (يستعيد لهجته الفظة الملهمة) سينما ، أقول لك : إن السراطين الملتفة على شكل دائرة تنظر إلى روما تحترق ونيرون يرقص . (لصورة هتلر) سيرونك ، أيها الأب الصغير ، لأنك رقصت ، أليس كذلك؟ أنت أيضاً ، رقصت . (يركل البكرات) إلى النار! ما شأني بها؟ خلصيني من هذا . (تهز ليني كتفيها) ماذا كنت تصنعين في ٦ كانون الأول ١٩٤٤ في الساعة العشرين والدقيقة الثلاثين؟ (تهز ليني كتفيها) لم تعودي تعرفين؟ إنهم يعرفون : لقد نشروا حياتك ، يا ليني . إنني أكتشف الحقيقة الرهيبة . إننا نعيش في مكان مرصود .

ليني : نحن؟

فرانتز : (وجهه إلى الجمهور) أنت ، أنا ، هؤلاء الموتى كلهم : البشر . (يضحك) احتفظي برباطة جأشك . إنهم ينظرون إليك . (بكآبة ، لنفسه) ما من إنسان وحيد . (ضحكة جافة من ليني) أسرعي بالضحك ، يا ليني المسكينة ، سيأتي الثلاثون كسارق . عتلة تدور ، الليل الذي يهتز . ستنفجرين وسطهما .

ليني : حيّة!

فرانتز : بل ميتة منذ ألف سنة .

ليني : (بلا مبالاة) أف!

فرانتز : حية أو مبعوثة من القبر . إن الزجاج سيعيد كل شيء ، حتى أفكارنا . هه ، ماذا؟ (فترة ، بقلق لا ندري

إن كان صادقاً أو مصطنعاً) لو كنا فيه منذ الآن؟

ليني : أين؟

فرانتز : في القرن الثلاثين . أواثقة أنت أن هذه المهزلة تمثّل للمرة الأولى؟ هل نحن أحياء أم عظام رميمة قد أُحييت؟ (يضحك) حافظي على رباطة جأشك . إذا كانت عشاريات الأرجل تنظر إلينا ، فكوني على ثقة أنها تجدنا قبيحين جداً .

ليني : وما أدراك؟

فرانتز : إن السراطين لا تحب إلاّ السراطين . هذا طبيعي جداً .

ليني : وإذا كانوا بشراً؟

فرانتز : في القرن الثلاثين؟ إذا ما بقي إنسان واحد ، فسوف يحفظونه في متحف . . أتفكرين حقاً بأنهم لن يحتفظوا بجملتنا العصبية؟

ليني : وهذا سيولّد سراطين؟

فرانتز : (بجفاء شديد) نعم . (فترة) ستكون لهم أجساد أخرى ، إذاً أفكار أخرى . أية أفكار ، هه؟ أية أفكار؟ . . أتقدّرين أهمية مهمتي وصعوبتها الاستثنائية؟ إنني أدافع عنك أمام القضاة الذين لا أُسرّ بمعرفتهم . أعمال عميان . أنت تطلقين كلمة هنا ، تخميناً ، فتنتقل من قرن إلى قرن . ماذا ستعني هنا في الأعلى؟ هل تدركين أنه يحدث لي أن أقول «أبيض» عندما أريد أن أسمعهم «أسود»؟ (ينهار فجأة على كرسيه) يا إلــهي !

لیني : ماذا أيضاً؟

فرانتز : (منهكاً) الزجاج !

ليني : ماذا؟

فرانتز : كل شيء مستقيم الآن . يجب أن نُراقَب على الدوام . كنت بحاجة كبيرة إلى أن أجده ، هذا ! (بعنف) اشرح ! علّل ! ولا لحظة راحة ! أيها الرجال ، والنساء ، والجلادون المطاردون ، والضحايا العديمة الشفقة ، إنني شهيدكم .

ليني : إذا كانوا يرون كل شيء ، فما حاجتهم إلى تعليقاتك؟

فرانتز : (ضاحكاً) ها ! لكنهم سراطين ، يا ليني . إنهم لا يفهمون . (يمسح جبينه بمنديله ، وينظر إلى المنديل ويرميه على الطاولة باشمئزاز) ماء مالح .

ليني : ماذا كنت تنتظر؟

فرانتز : عرق الدم . لقد كسبته . (ينهض ثانية ، بعنف ومرح مصطنع) تحت قيادتي ، يا ليني . إنني أستخدمك مباشرة . تجربة من أجل الصوت . تكلمي بقوة والفظي جيداً . (بقوة) اشهدي أمام القضاة أن صليبيي الديموقراطية لا يريدون أن يسمحوا لنا بتشييد جدران منازلنا . (تصمت ليني ، غاضبة) هيا ، إذا أطعتني أصغيت إليك .

ليني : (للسقف) أشهد أن كل شيء ينهار .

فرانتز : بصوت أعلى !

ليني : كل شيء ينهار .

فرانتز : من ميونيخ ، ماذا تبقى؟

ليني : قرميدتان .

فرانتز : هامبورغ؟

ليني : أرض منزوعة السلاح .

فرانتز : وآخر الألمان ، أين هم؟

ليني : في الأقبية .

فرانتز : (متطلّعاً إلى السقف) حسناً ! أنتم الآخرون ، هل تتصوّرون هذا المآل؟ بعد ثلاثة عشر عاماً ! العشب يغطي الشوارع ثانية ، آلاتنا مدفونة تحت اللبلاب . (متظاهراً بالاستماع) عقاب؟ يا للكذبة ! لا منافسة في أوروبا ، هذا هو المبدأ والمذهب . قولي ماذا تبقى من المصنع .

ليني : ورشتان .

فرانتز : ورشتان ! قبل الحرب ، كان عندنا مائة ! (يفرك يديه ، لليني ، بصوت طبيعي) يكفي اليوم . الصوت ضعيف ولكن عندما ترفعينه من الممكن قبوله . (فترة) تكلمي ، الآن . إذاً؟ (فترة) يريدون الانقضاض عليَّ معنوياً .

ليني : نعم .

فرانتز : مناورة خاطئة . معنوياتي فولاذية .

ليني : فرانتز المسكين ! سيفعل بك ما يشاء .

فرانتز : مَن؟

ليني : مبعوث المحتلّين .

فرانتز : ها ! ها !

ليني : سيقرع الباب ، وستفتح ، وهل تعلم ما سيقول؟

فرانتز : لا أبالي !

ليني : سيقول لك : أنت تظن نفسك الشاهد بينما أنت المتهم . (صمت قصير) بِمَ ستجيب؟

فرانتز : إنني أطردك ! لقد دفعوا لك ، إنما هي أنت التي تحاول أن تثبط عزيمتي .

ليني : بِمَ ستجيب يا فرانتز؟ بِمَ ستجيب؟ ها قد مضى اثنا عشر عاماً وأنت تسجد أمام هذه المحكمة المستقبلة وتعترف لها بجميع الحقوق . فلِمَ لا تعترف لها بحق الحكم عليك؟

فرانتز : (صارخاً) لأنني شاهد نفي !

ليني : من اختارك؟

فرانتز : التاريخ .

ليني : لقد حدث ، أليس كذلك ، أن يظن امرؤ أن التاريخ قد اختاره لذلك ، ثم تبيّن أنه قد اختار الجار لا هو .

فرانتز : هذا لن يحدث لي أبداً ، سوف تُبرَّؤون جميعاً . حتى أنت . هكذا سيكون انتقامي . سأجعل التاريخ يعبر من جحر فئران . (يتوقف ، قلقاً) اصمتي ! إنهم يتسمّعون ! إنك تدفعينني ، وتدفعينني ، حتى أغضب أخيراً . (للسقف) إنني أعتذر ، مستمعيَّ الأعزاء : لقد خانت الكلمات فكري .

ليني : (عنيفة وساخرة) ها هو ، الرجل ذو المعنويات الفولاذية ! (محتقرة) إنك تقضي وقتك في الاعتذار .

فرانتز : أود لو أراك . إنها ستصرّ، هذا المساء .

ليني : أهي السراطين تصرّ؟

فرانتز : هي ، نعم . هذا كريه جداً . (للسقف) مستمعيَّ الأعزاء ، تفضلوا بتسجيل ملاحظات عن تعديلي . . .

ليني : كفى ! كفى ! اصرفهم أخيراً ! . .

فرانتز : أتفقدين رشدك؟

ليني : أرفض محكمتهم ، أتضرع إليك ، إنها ضعفك الوحيد . قل لهم : «أنتم لستم قضاتي !» . ولا يعود هناك مَن تخشاه ، لا في هذا العالم ، ولا في العالم الآخر .

فرانتز : (بعنف) اغربي عن وجهي ! (يأخذ صدفتين ، ويحكّهما الواحدة بالأخرى) .

ليني : لم أنتهِ من تنظيف الغرفة بعد .

فرانتز : حسناً جداً ، إنني صاعد إلى الثلاثين . (ينهض ، وهو لا يزال مديراً لها ظهره ، ويقلب اليافطة التي تحمل كلمات «ممنوع الخوف» ، ونقرأ الآن على قفاها «غائب حتى ظهر غد» . يجلس ثانية ويعاود حك الصدفتين الواحدة بالأخرى) أنت تنظرين إلي . رقبتي تحرقني . أمنعك من النظر إليّ ! إذا بقيت ، فأشغلي نفسك ! (ليني لا تتحرك) هل تريدين أن تخفضي عينيك !

ليني : سأخفضهما إذا كلمتني .

فرانتز : ستجعلينني أُجن ! أُجن ! أُجن !

ليني : (ضحكة صغيرة دون مرح) أنت تريد ذلك حقاً .

فرانتز : تريدين أن تنظري إليّ؟ انظري إليّ إذاً ! (ينهض . يمشي

مشية الإوزة) واحد ، اثنان ! واحد ، اثنان !

لينى : قف !

فرانتز : واحد ، اثنان ! واحد ، اثنان !

ليني : قف ، أرجوك !

فرانتز : ماذا ، يا جميلتي ، أتخافين من جندي؟

ليني : أخاف من أن أحتقرك .

(تفك مئزرها ، وترميه على السرير ، وتمضي لتخرج . يقف فرانتز فجأة) .

فرانتز : ليني ! (إنها بالباب . بعذوبة مستسلِمة قليلاً) لا تتركيني بمفردي .

ليني : (تستدير ، بحماسة) تودّ أن أبقى؟

فرانتز : (اللهجة نفسها) إنني محتاج إليك ، يا ليني .

ليني : (تخطو نحوه بوجه قلق) عزيزي !

(إنها قريبة منه ، ترفع يداً متردّدة ، وتداعب وجهه)

فرانتز : (يتركها تفعل ذلك لحظة ، ثم يقفز إلى الخلف) بعيداً ! بعيداً مسافة محترمة . وعلى الأخص لا تفعلي .

ليني : (باسمة) يا لك من طهراني !

فرانتز : طهراني؟ (فترة) أتصدقين؟ (يقترب منها ويداعب كتفيها وعنقها . تتركه يفعل مضطربة) . الطهرانيون لا يعرفون كيف يداعبون . (يداعب صدرها ، فترتعش وتطبق عينيها) أما أنا ، فأعرف . (تترك نفسها تتهالك عليه . فجأة ، يتملّص) اخرجي من هنا ! أنت تثيرين اشمئزازي !

ليني : (تقوم بخطوة إلى الوراء بهدوء جليدي) ليس دوماً !

فرانتز : دوماً! دوماً! منذ اليوم الأول!

ليني : اجثُ! ماذا تنتظر لتسألهم الصفح؟

فرانتز : الصفح عن ماذا؟ لم يحدث شيء!

ليني : والبارحة؟

فرانتز : لا شيء! أقول لك لا شيء مطلقاً!

ليني : لا شيء، باستثناء زنى بأخت.

فرانتز : أنت تبالغين دوماً!

ليني : ألست أخي؟

فرانتز : بلى، بلى.

ليني : ألم تنم معي؟

فرانتز : قليلاً جداً.

ليني : حتى ولو اقترفت ذلك مرة واحدة... أأنت شديد الخوف من الكلمات؟

فرانتز : (هازاً كتفيه) الكلمات! (صمت) لو كان لا بد من إيجاد كلمات لكل مصائب هذه الجيفة! (يضحك) هل ستزعمين أنني أمارس الحب؟ أوه! أيتها الأخت الصغيرة! أنت هنا، وأنا أعانقك، والنوع ينام مع النوع، كما يفعل كل ليلة على هذه الأرض مليار مرة. (للسقف) لكني أصر على أن أعلن أن فرانتز، ابن آل غيرلاتش البكر، لم يشته أبداً ليني، أخته الصغرى.

ليني : جبان! (للسقف) يا سكان السقوف المقنعين، إن شاهد العصر زور. وأنا، ليني، الأخت المسافحة، إنني

أحب فرانتز حباً وأحبه لأنه أخي . ومهما كان حسكم العائلي ضعيفاً ، فإنكم ستدينوننا دون تمييز ، لكني أهزأ بكم . (لفرانتز) أيها التائه المسكين ، هكذا يجب أن تكلمهم . (للسراطين) إنه يشتهيني دون أن يحبني ، وهو يختنق من العار ، وينام معي في الظلام . . . ثم؟ إنني أنا التي تربح . لقد أردت أن أملكه وقد ملكته .

فرانتز : (للسراطين) إنها مجنونة . (يغمز السراطين بعينه) سأشرح لكم . عندما نكون بمفردنا .

ليني : أمنعك من ذلك ! سأموت ، بل أنا ميتة ، وإني أمنعك من المرافعة في قضيّتي . ليس لي إلاّ قاضٍ واحد : أنا . وإني أبرّئ نفسي . يا شاهد النفي ، اشهد أمام نفسك . لن يستطيع أي أذىً أن يمسّك ، إذا جرؤت على الإعلان : «لقد فعلت ما أردت ، وإني أريد ما فعلت» .

فرانتز : (يتصلب وجهه فجأة ، يبدو عليه أنه بردان ، حاقد ، مهدّد . بصوت قاسٍ ومرتاب) ماذا فعلت ، يا ليني؟

ليني : (صارخة) فرانتز ! سينالون جلدك . إذا لم تدافع عن نفسك .

فرانتز : ليني ، ماذا فعلت؟

ليني : (قلقة ومتراجعة) حسناً . . . لقد قلت لك . . .

فرانتز : السِفاح؟ كلاّ ، يا ليني ، ما كنت تتكلمين عن السِفاح . (فترة) ماذا فعلتِ؟

(صمت طويل . ينظران الواحد إلى الآخر . تشيح ليني بوجهها)

ليني : حسن . لقد خسرت : انسَ الأمر . سأحميك دون مساعدتك ، فأنا معتادة .

فرانتز : اخرجي من هنا ! (فترة) إذا لم تطيعي فسأعلن إضراب الصمت . تعلمين أنني أستطيع أن أثبت شهرين .

ليني : أعلم . (فترة) لكنني ، أنا ، لا أستطيع . (تمضي حتى الباب ، ترفع المزلاج ، تدير المغلاق) . هذا المساء ، سأحمل إليك العشاء .

فرانتز : هذا غير مجدٍ ، لن أفتح الباب .

ليني : هذا شأنك . أما شأني فهو أن أحمله إليك . (لا يجيب . وهي خارجة ، للسراطين) إذا لم يفتح الباب لي ، يا جميلاتي ، فليلة سعيدة ! (تغلق الباب خلفها) .

المشهد الثاني

فرانتز

(يستدير . وينتظر هنيهة ، ثم يذهب ليخفض المرتاج الحديدي ويسحب المغلاق . يظل وجهه متشنجاً في أثناء هذه العملية . ما إن يشعر بنفسه في مأمن ، حتى تنفرج شفتاه . يبدو عليه الاطمئنان ، وشبه السذاجة . ولكنه بدءاً من هذه اللحظة يبدو أشدّ ما يكون جنوناً .
كلماته توجه إلى السراطين ، طيلة المشهد . إنه ليس مونولوغاً بل حواراً مع شخصيات غير منظورة) .

فرانتز : شاهد مشبوه . ليُستجوب في حضوري واستناداً إلى تعليماتي . (فترة . يبدو وكأن الاطمئنان عاد إليه ، متعباً ، وديعاً جداً) ماذا؟ متعبة؟ بالنسبة إلى هذا ، نعم . نعم ، نعم : بالأحرى مُتعبة ، ولكن يا لها من نار! (يتثاءب) . إن مهمتها الرئيسية أن تبقيني مستيقظاً . (يتثاءب) ها قد مضت عشرون عاماً ونصف الليل مخيم على القرن . ليس من المناسب جداً أن يُبقي الإنسان عينيه مفتوحتين في منتصف الليل . كلاّ ، كلاّ : مجرد غفوة . هذا يحدث لي عندما أكون وحيداً . (يزداد تثاؤبه) ما كان يجب أن أصرفها . (يترنّح ، وينتصب ثانية فجأة ، يخطو خطوات عسكرية حتى

الطاولة . يتناول أصدافاً ويقذف بها صورة هتلر ، وهو يصرخ) زيغ ! هايل(*) زيغ هايل ! زيغ (يقف وقفة الاستعداد ، ضارباً عقبيه) أيها الفوهرر(**) ، إنني جندي . إذا تناومت ، فهذا خطير جداً : هجر مركز الحراسة . أقسم لك بأنني سأبقى متيقظاً . وجّهوا الأنوار الكشافة ، أنتم الآخرين ! أطلقوا النار . في الحلق ، في أعماق العينين ، إنها توقظ . (ينتظر) أيها الأنذال ! (يمضي نحو كرسيه . بصوت رخو وأنيس) حسناً ، سأجلس قليلاً . . . (يجلس ، مهدهداً رأسه ، طارفاً عينيه) ورود . . . أواه ! ما ألطف الورود . . . (ينهض فجأة بسرعة بحيث أنه يقلب الكرسي) ورود؟ وإذا أخذت الباقة ، فإنهم سيوقعون بي في مقلب الكرنڤال . (للسراطين) كرنڤال ماجن ! إليّ ، أيها الأصدقاء ، إنني أعلم عن الأمر أكثر مما ينبغي ، إنهم يريدون أن يدفعوا بي إلى الحفرة ، إنها التجربة الكبرى . (يسير حتى طاولة السرير ، ويأخذ أقراصاً من أنبوب ويقضمها) أف ! مستمعيَّ الأعزاء ، تفضلوا بتسجيل تعليماتي الجديدة : من أعماق الهاوية : برقية . لينصت الجميع ! صرّوا ! صرّوا ! إذا كنتم لا تصغون إلي ، فسوف أنام . (يصب الشمپانيا في كأس ، ويشرب ، ويريق نصف السائل

(*) زيغ بالألمانية : النصر . وهايل : يعيش كما تقدّم .

(**) Führer أو Fuehrer : زعيم ، ديكتاتور .

على سترته العسكرية ، ويترك ذراعه تسقط على طول جنبه . الكأس تتدلى من أطراف أنامله) وفي أثناء هذا الوقت ، القرن يهرب . . . لقد وضعوا لي قطناً في رأسي . الضباب . إنه أبيض . (تطرف عيناه) إنه يزحف بمستوى الحقول . . . إنه يحميهم . إنهم يزحفون . سيسيل الدم هذا المساء .

(طلقات نار من بعيد ، ضوضاء ، خبب خيل . إنه يغرق في النعاس ، وعيناه مغلقتان . الرقيب هرمان يفتح باب المرحاض ويتقدم نحو فرانتز الذي استدار نحو الجمهور ، والذي لا يزال يحتفظ بعينيه مطبقتين . وقفة استعداد)

المشهد الثالث

فرانتز - هرمان

فرانتز : (بصوت ثقيل وبدون أن يفتح عينيه) أنصار؟

الرقيب : عشرون نفراً تقريباً .

فرانتز : موتى؟

الرقيب : كلاّ . جريحان .

فرانتز : منّا؟

الرقيب : منهم . لقد وضعناهما في الأهراء .

فرانتز : أنت تعرف أوامري . اذهب !

(الرقيب ينظر إلى فرانتز بوجه متردّد قلِق) .

الرقيب : حسن يا ملازمي .

(تحية عسكرية . يخرج من باب المرحاض . ويغلقه وراءه . صمت . يسقط رأس فرانتز على صدره . يطلق صيحة رهيبة ويستيقظ) .

المشهد الرابع

فرانتز

(يستيقظ منتفضاً وينظر إلى الجمهور بعينين تائهتين) .

فرانتز : كلاّ ! هنريخ ! هنريخ ! قلت لك كلاّ ! (ينهض بجهد ، ويتناول مسطرة من فوق الطاولة ويضرب على أصابع يده اليسرى . كأنه تعلّم درساً) يقيناً نعم ! (ضربات من المسطرة) إنني آخذ كل شيء على عاتقي . ماذا كانت تقول؟ (يستعيد كلمات ليني وكأنها له) إنني أفعل ما أريد ، وأريد ما أفعل . (محاصراً) جلسة . ٢ أيار ٣٠٥٩ ، فرانتز ڤون غيرلاتش ، ملازم . لا ترموا بقرني إلى سلة المهملات . ليس من غير أن تسمعوني . الشر ، أيها السادة القضاة ، الشر ، هو المادة الوحيدة . كنا نشتغله في مصافينا . والخير هو الإنتاج المنتهي . النتيجة : الخير يتحوّل إلى شر . ولا تظنوا أن الشر يتحوّل خيراً . (يبتسم ، بخيال مفرط . رأسه ينحني) ماذا؟ (صارخاً) غفوة؟ هيا ، كفى ! بل إتلاف . إنهم يريدون أن يتمكنوا مني من طريق رأسي . حذار ، أيها القضاة . إذا أُتلفت ، فإن قرني سيتدهور . إن قطيع القرون ، تنقصه نعجة جرباء . ماذا سيقول الأربعون ، يا عشاريات الأرجل ، إذا كان العشرون قد ضلّ؟ (فترة) لا نجدة؟ لا نجدة مطلقاً؟ لتكن مشيئتكم . (يعود

إلى مقدمة المسرح ويمشي ليجلس) آه ! ما كان يجب أن أصرفها . (يقرع الباب . يصغي وينتصب . إنها الإشارة المتفق عليها . صيحة فرح) ليني ! (يسرع إلى الباب ، يرفع المرتاج ، يزيح المغلاق ، حركات حازمة صارمة . لقد استيقظ تماماً . فاتحاً الباب) ادخلي بسرعة ! (يتراجع خطوة إلى الوراء ليتركها تعبر) .

المشهد الخامس

فرانتز - جوهانا

(تظهر جوهانا عند عتبة الباب ، جميلة جداً ، صابغة وجهها ، في ثوب طويل ، يتراجع فرانتز خطوة) .

فرانتز : (صيحة مخنوقة) ها ! ما هذا؟ (تريد أن تجيبه ، فيمنعها) ولا كلمة ! (يتراجع ويجلس . ينظر إليها ملياً ، وهو جالس في كرسيه منفرج الساقين . يبدو عليه الذهول . يبدي حركة موافقة ويقول بصوت كظيم) : نعم . (صمت قصير) إنها ستدخل . . . (تفعل ما يقوله تماماً ، وكما قال) . . . وسأبقى وحيداً (للسراطين) شكراً ، أيها الرفاق ! كنت بحاجة كبيرة إلى نجدتكم . (بنوع من الهيام) إنها ستصمت ، ولن يكون ذلك إلاّ غياباً . وسوف أنظر إليها !

جوهانا : (تبدو مذهولة هي الأخرى . لقد تمالكت نفسها . تتكلم باسمة لتسيطر على خوفها) ولكن يجب أن أكلّمك .

فرانتز : (يبتعد عنها متراجعاً ببطء ودون أن يغادرها نظره) لا ! (يضرب على الطاولة) كنت أعلم أنها ستفسد كل شيء . (فترة) يوجد «أحد» عندي الآن ! اغربي ! (لا تتحرك) سأجعلهم يطردونك كما تطرد المتسوِّلة .

جوهانا : مَن؟

فرانتز : (صارخاً) ليني ! (فترة) أيتها الرأس الضيقة الذكية ، لقد وجدت نقطة الضعف . إنني وحيد (يستدير فجأة . فترة)

من أنتِ؟

جوهانا : زوجة ورنر .

فرانتز : زوجة ورنر؟ (ينهض وينظر إليها) زوجة ورنر ! (يحدق إليها في ذهول) مَن أرسلك؟

جوهانا : لا أحد .

فرانتز : كيف عرفتِ الإشارة؟

جوهانا : من ليني .

فرانتز : (ضحكة جافة) من ليني ! إنني أصدّقك حقاً !

جوهانا : كانت تقرع و . . . ففاجأتها وحسبت عدد الطرقات .

فرانتز : لقد حُذرتُ من أنك تدسين أنفك في كل مكان . (فترة) لا بأس ، يا سيدتي ، لقد غامرت بقتلي . (تضحك) اضحكي ! اضحكي ! كان يمكن أن أسقط من الخوف . ماذا كنت فعلت؟ إن الزيارات محرّمة عليّ ـ بسبب قلبي ـ ومن المؤكد جداً أن هذا العضو كان سيفرّ لولا ظرف غير متوقع : لقد أرادت المصادفة أن تكوني جميلة ، أواه ! لحظة : لقد انتهى الأمر تماماً . الله أعلم ماذا حسبتك . . ولعلي حسبتك خيالاً . استفيدي من هذا الخطإ ، واختفي قبل أن ترتكبي جريمة !

جوهانا : كلاّ .

فرانتز : (صارخاً) سوف . . . (يمضي نحوها مهدداً ويتوقف . يترك نفسه يتهالك على كرسيه . يجس نبضه) مائة وأربعون على الأقل . ولكن اغربي عن وجهي ، بحق الإلـه ،

فأنت ترين جيداً أنني سأختنق!

جوهانا : سيكون هذا أفضل حل.

فرانتز : ماذا؟ (يرفع يده عن صدره وينظر إلى جوهانا بدهشة) لقد كانت على حق. أنت مأجورة! (ينهض ويمشي بفرح) لن ينالوني بمثل هذه السرعة. رويداً! مهلاً! (ينقلب فجأة نحوها) أفضل حل؟ لمن؟ لجميع شهود الأرض الزور؟

جوهانا : لي ولأخيك ورنر. (تنظر إليه).

فرانتز : (مبهوتاً) أأزعجكما؟

جوهانا : أنت تضطهدنا.

فرانتز : إنني لا أعرفكما إلاّ مجرد معرفة.

جوهانا : أنت تعرف ورنر.

فرانتز : لقد نسيت حتى ملامحه.

جوهانا : إنهم يحتجزوننا هنا قسراً. باسمك.

فرانتز : مَن؟

جوهانا : الأب وليني.

فرانتز : (متلهياً) أيضربانكما؟ أيقيّدانكما؟

جوهانا : كلاّ.

فرانتز : إذاً؟

جوهانا : يبتزّاننا.

فرانتز : هذا نعم. معروف عنهما. (ضحكة جافة. يعود إلى دهشته) باسمي؟ ماذا يريدان؟

جوهانا : الاحتفاظ بنا كاحتياطيّ.

فرانتز : (مغتبطاً) سيعدّ زوجك حسائي وستكنسين غرفتي؟ هل تتقنين الرفء؟

جوهانا : (مشيرة إلى الزي الممزّق) لن تستغرق أعمال الإبرة وقتاً طويلاً .

فرانتز : انزعي عنك هذه الأوهام! إنها ثقوب معزّزة . لو لم تكن لأختي أصابع جنّية . . . (بجد مفاجئ) لا أريد بديلاً عنها . خذي ورنر إلى الشيطان ولا ترياني وجهيكما بعد الآن مطلقاً! (يمضي نحو كرسيه . في اللحظة التي يجلس فيها ، يستدير) أما زلت هنا؟

جوهانا : نعم .

فرانتز : لم تفهميني . إنني أُعيد إليك حريتك .

جوهانا : أنت لا تعيد إليَّ شيئاً مطلقاً .

فرانتز : أقول لك إنكما أنت وورنر حرّان .

جوهانا : كلمات في الهواء!

فرانتز : تريدين أفعالاً؟

جوهانا : نعم .

فرانتز : لا بأس ، ما العمل؟

جوهانا : أفضل حل هو أن تقضي على نفسك .

فرانتز : عدنا! (ضحكة صغيرة) لا تعتمدي على ذلك . دون تكليف .

جوهانا : (فترة) ساعدنا إذاً .

فرانتز : (مخنوقاً) ماذا؟

جوهانا : (بحرارة) تنبغي مساعدتنا ، يا فرانتز!

(صمت)

فرانتز : كلاّ . (فترة) لست من هذا العصر . سأنقذ الجميع معاً لكن لن أساعد أي إنسان بشكل خاص . (يمشي باضطراب) أمنعك من زجي في قصصكم . إنني مريض ، أتفهمين؟ وهم يستغلون مرضي ليجعلوني أعيش في أذل تبعية ، ويجب أن تخجلي ، أنت الشابة والحسنة الصحة ، من الاستنجاد بعاجز ، بمضطَهَد . (فترة) إنني ضعيف ، يا سيدتي ، واطمئناني أهم من أي شيء آخر . لمقتضيات طبية . إنني لن أرفع أصبعاً حتى ولو خنقوك تحت بصري . (مجاملاً) هل أثير اشمئزازك؟

جوهانا : عميقاً جداً .

فرانتز : (فاركاً يديه) نعْمَ ما قلت !

جوهانا : ولكن ليس إلى ما فيه الكفاية كي أنصرف من هنا .

فرانتز : حسن . (يشهر المسدس ويصوبه إليها) سأعد حتى الثلاثة . (تبتسم) واحد ! (فترة) اثنان ! (فترة) بف ! لم يعد هناك أحد . لقد اختطفت ! (للسراطين) يا للهدوء ! إنها صامتة . كل شيء في هذه الجملة ، أيها الرفاق : «كوني جميلة واصمتي» . صورة ، هل تنطبع على زجاجكم؟ كلا ! ماذا كان يمكن أن ينطبع؟ لم يتبدل شيء ، لم يحدث شيء . لقد استقبلت الغرفة الفراغ بضربة منجل ، هذا كل شيء . الفراغ ، ماسةٌ لا تخدش أي زجاج ، الغياب ، الجمال . لن ترين فيها ،

أيتـهـا القـشـريـات المسكينات ، إلاّ النـار . لقـد أخـذتن عيوننا لتتحقّقن ممّا هو موجود . لكننا نحن ، في أيام الرجال ، بهذه العيون نفسها ، كان يحدث لنا أن نرى ما هو غير مرئي .

جوهانا : (باطمئنان) الأب سيموت .

(صمت . يلقي فرانتز المسدس على الطاولة وينهض فجأة)

فرانتز : لا حظَّ لك ! لقـد أخـبرتـني ليني تـواً أنه في صـحـة جيدة كالسنديانة .

جوهانا : إنها تكذب .

فرانتز : (بثقة) على جميع الناس ، باستثنائي ، فهذه هي قاعدة اللعبـة . (فجأة) اذهبي لتخـتبـئي ، فلا شك في أنك تموتين خجلاً . خدعة غليظة إلى هذا الحد ، وتُحبط بمثل هذه السرعة ! إيه ماذا؟ جميلة مرتين في أقل من ساعة ، ثم لا تستفيدين من هذا الحظ الخارق ! أنت من النوع المبتذل ، يا زوجة أخي الشابة ، ولا أستغرب أن يكون ورنر قد تزوّجك .

(يدير لهـا ظهـره ، ويضـرب صـدفـتين إحـداهمـا بالأخـرى . يتصلب وجهه وينزوي . يتجاهل جوهانا) .

جوهانا : (للمرة الأولى مضطربة) فـرانتز ! (صـمت) . . . سيمـوت الأب بعـد ستة أشـهـر ! (صـمت . تقترب منه وقد تغلبت على خوفهـا ، وتلمس كتفه . لا يصـدر عنه رد فعل . تسقط يدها . تنظر إليـه في صـمت) أنت على حق . لم أعـرف كيف أستفيد من حظي . الوداع ! (تمضي لتخرج) .

فرانتز : (فجأة) انتظري ! (تستدير في بطء . لا يزال يدير لها ظهره) الأقراص ، هناك ، في الأنبوب . على طاولة السرير . ناولينيها !

جوهانا : (تمضي إلى طاولة السرير) «بنزيديرين» : أهذا هو الأنبوب؟ (يوافق برأسه . ترمي الأنبوب إليه فيتلقّفه) لماذا تتناول البنزيديرين؟

فرانتز : لأتحملك . (يبلع أربعة أقراص) .

جوهانا : أربعة دفعة واحدة؟

فرانتز : وأربعة منذ لحظات فيصبح العدد ثمانية . (يشرب) إنهم يتآمرون على حياتي ، يا سيدتي ، أعرف ذلك . وأنت أداة اغتيال . إنه وقت التفكير بصواب ، إيه ، ماذا؟ وبذكاء؟ (يتناول قرصاً آخر) كان يوجد ضباب . . (أصبعه على جبينه) . . . هنا . إنني أقيم مكانه شمساً . (يشرب ، يقوم بجهد عنيف ليستدير . وجهه صريح وقاس) هذا الثوب ، وهذه اللآلئ ، وهذه السلاسل الذهبية ، من أشار عليك بالتزيّن بها؟ التزيّن بها «اليوم»؟ إنه الأب الذي يرسلك .

جوهانا : كلاّ .

فرانتز : لكنه أسدى إليك آراءه الطيبة . (تريد أن تتكلم) عبثاً ! إنني أعرفه كما لو أنني صنعته بيديّ . وكي أقول لك كل شيء ، فإنني لم أعد أعرف من الذي منا نحن الاثنين صنع الآخر . عندما أريد أن أتنبأ بالمقلب الذي يعده في الخفاء ، أبدأ بغسل دماغي ثم أمنح ثقتي

الفـــراغ . وأولـى الأفكـار التـي تولـد ، تكـون أفكـاره . أتعلمين لماذا؟ لقـد أنشـأني على صـورته ـ على الأقل إن لـم يكـن قـد أصبح صـورة ما أنشـأه ـ (يضحك) ألـم تفهـمي من هذا شيئاً؟ (ماحياً كل شيء بحركة مجهدة) إنهـا ألعاب انعكاسية . (مقلّداً الأب) . «وعلى الأخص كـوني جـميلة !» . إنني أسـمعـه من هنا . إنه يحب الجمـال ، هذا الشـيخ المأفون . إذاً فـهـو يعلـم أنني لا أضع شيئاً فوقه . . إلاّ جنوني الخاص . أأنت عشيقته؟ (تهز رأسها) هذا لأنه قد أسنَّ ! شريكته ، إذاً؟

جوهانا : حتى الآن ، كنت خصمه .

فرانتز : انقلاب في التحالف ! إنه يعشق ذلك . (بجد مفاجئ) أستة أشهر؟

جوهانا : لا أكثر .

فرانتز : أهو القلب؟

جوهانا : بل الحلق؟

فرانتز : أسـرطان؟ (إشارة من جوهانا) ثلاثون سيجاراً يومياً ! الأحمق ! (صمت) سرطان؟ إذاً ، سيقتل نفسه . (فترة . ينهض ويتناول أصدافاً ويقذف بها لوحة هتلر) سيقتل نفسه ، أيها الفوهرر الهرم ، سيقتل نفسه ! (صمت . تنظر جوهانا إليه) ماذا؟

جوهانا : لا شيء ! (فترة) أنت تحبه .

فرانتز : كـمـا أحب نفسي وأقل من الكوليرا . مـاذا يريد؟ زيارة؟

جوهانا : كلاّ .

فرانتز : هذا أفضل له . . (صارخاً) إنني أسخر من أن يعيش ! إنني أسخر من أن يقضي ! انظري ماذا صنع مني !
(يأخذ أنبوب العقّار ويهم برفع السدادة)

جوهانا : (بلطف) أعطني هذا الأنبوب .

فرانتز : وما دخلك في الأمر؟

جوهانا : (مادة يدها) أعطنيه !

فرانتز : يجب أن أهيج نفسي مسبقاً . إنني أكره أن تُبدّل عاداتي . (لا تزال مادة يدها) إنني أعطيكه ولكن لن تعودي إلى الكلام عن هذه القصة السخيفة . اتفقنا؟ (تقوم جوهانا بإشارة مبهمة يمكن أن تعتبر موافقة) حسن . (يعطيها الأنبوب) وأنا ، سأنسى كل شيء في هذه اللحظة . إنني أنسى ما أريد . هذه قوة ، أليس كذلك؟ (فترة) إذاً ، ليرقد في سلام . (فترة) حسن ، حدثيني !

جوهانا : عمّن؟ عمّا؟

فرانتز : عن كل شيء ، إلاّ العائلة ، عنك .

جوهانا : ليس ثمة ما يقال .

فرانتز : إنما أنا الذي يجب أن يقرر هذا . (ينظر إليها بإنعام) فخ جمال ، هذا ما أنت عليه (يتفرس فيها جزءاً جزءاً) إلى هذا الحد ، إنه احتراف . (فترة) هل أنت ممثلة؟

جوهانا : كنت سابقاً .

فرانتز : ثم؟

جوهانا : تزوجت ورنر .

فرانتز : ألم تنجحي؟

جوهانا : ليس بما فيه الكفاية .

فرانتز : ممثلة ثانوية؟ نجمة صغيرة؟

جوهانا : (بحركة كأنها ترفض الماضي) أف !

فرانتز : نجمة؟

جوهانا : كما تشاء .

فرانتز : (إعجاب ساخر) نجمة ! ولم تنجحي؟ ماذا كنت تريدين؟

جوهانا : ماذا يمكن للإنسان أن يريد؟ كل شيء .

فرانتز : (بهدوء) كل شيء ، نعم . لا شيء آخر . الكل أو لا شيء . (ضاحكاً) هذا لا ينتهي على ما يرام ، أليس كذلك؟

جوهانا : دائماً .

فرانتز : وورنر ، أيريد كل شيء؟

جوهانا : كلاّ .

فرانتز : لماذا تزوجته؟

جوهانا : لأنني كنت أحبه .

فرانتز : (بلطف) مستحيل !

جوهانا : (مغتاظة) ماذا؟

فرانتز : الذين يريدون كل شيء . .

جوهانا : (اللهجة نفسها) ماذا؟

فرانتز : لا يستطيعون أن يحبوا .

جوهانا : لم أعد أريد شيئاً .

فرانتز : إلاّ سعادته ، آمل . . .

جوهانا : إلاّ هذا . (فترة) ساعدنا !

فرانتز : ماذا تنتظران مني؟

جوهانا : أن تبعث نفسك من رقدتها .

فرانتز : هكذا (ضاحكاً) أنت تقترحين علي الانتحار .

جوهانا : هذا أو ذاك .

فرانتز : (بسخرية) كل شيء يتضح ! (فترة) إنني متهم بالقتل ، وموتي المدني هو الذي وضع حداً للملاحقات . كنت تعرفين هذا ، أليس كذلك؟

جوهانا : كنت أعرفه .

فرانتز : وتريدين أن أبعث نفسي؟

جوهانا : نعم .

فرانتز : إنني أرى الآن . (فترة) إذا لم يكن بالإمكان قتل الصهر ، فلا بأس من سجنه . (تهز كتفيها) أيجب عليّ أن أنتظر هنا البوليس أم أعتبر نفسي سجيناً؟

جوهانا : (مغتاظة) لن تُساق إلى السجن .

فرانتز : لا؟

جوهانا : طبعاً لا .

فرانتز : إذاً ، فهذا يعني أنه سيسوي قضيتي . (ترسم جوهانا إشارة موافقة) ألم تخنه شجاعته بعد؟ (سخرية مليئة بالكراهية) ما الذي لم يفعله من أجلي ، ذلك الرجل الشجاع !؟ (حركة تشير إلى الغرفة وإلى نفسه) وإليك

الخلاصة ! (بعنف) اذهبوا جميعاً إلى الشيطان !

جوهانا : (بخيبة مريرة) أواه ! فرانتز ! أنت جبان !

فرانتز : (منتصباً في عنف) ماذا؟ (يتمالك نفسه ، بمجون مقصود) حسن ، نعم ، ثم؟

جوهانا : وهذا؟

(تمس ميداليته بأطراف أصابعها)

فرانتز : هذا؟ (ينزع ميداليته ، ويرفع عنها ورق الفضة . إنها من الشوكولا ، فيأكلها) أواه ، لقد ربحتها كلها ، إنها لي ، ولي الحق في أن آكلها . البطولة ، إنما هي قضيتي . ولكن الأبطال . . . أخيراً ، أنت تعلمين من هم .

جوهانا : كلا .

فرانتز : لا بأس ، يوجد من كل الأنواع : شرطة ولصوص ، عسكريون ومدنيون ـ قليل من المدنيين ـ جبناء وحتى رجال شجعان . إنهم لمعرض ، ولهم علامة واحدة مشتركة : الميداليات . وأنا ، بطل جبان ، أحمل ميداليات من شوكولا : فهذا أكثر لياقة . أتريدين منها؟ لا تترددي ، فلدي أكثر من مائة في جواريري .

جوهانا : بسرور . .

(ينزع ميدالية ويقدمها لها . تأخذها وتأكلها)

فرانتز : (فجأة بعنف) لا !

جوهانا : عفواً؟

فرانتز : لن أترك زوجة أخي الأصغر مني تحكم عليّ . (بقوة) لست جباناً ، يا سيدتي ، والسجن لا يخيفني فأنا

أعيش فيه . أنت لا تستطيعين أن تقاومي ثلاثة أيام أمام النظام الصارم الذي يفرضونه .

جوهانا : ماذا يثبت هذا؟ لقد اخترته أنت .

فرانتز : أنا؟ لكني لا أختار أبداً ، يا صديقتي المسكينة ! إنني مختار ، قبل تسعة أشهر من ولادتي ، اختاروا اسمي ، ووظيفتي ، وصفتي ، ومصيري . أقول لك إنهم يفرضونه عليّ ، هذا النظام الانفرادي ، وعليك أن تفهمي أنني ما كنت لأخضع له لولا سبب قاهر .

جوهانا : أي سبب؟

فرانتز : (يتراجع خطوة إلى الوراء . صمت قصير) عيناك تلمعان . لا ، يا سيدتي ، لن أُدلي إليك باعترافات .

جوهانا : لا مناص لك ، يا فرانتز : إمّا أن يكون لأسبابك قيمة ، وإمّا أن زوجة أخيك الأصغر ستحكم عليك دون شفقة .

(تقترب منه وتريد أن تنزع ميدالية أخرى)

فرانتز : أأنت ، الموت؟ كلاّ ، من الأفضل أن تأخذي الصلبان : إنها من الشوكولا السويسري .

جوهانا : (آخذة صليباً) شكراً . (تبتعد قليلاً عنه) الموت ! أأنا أشبهه؟

فرانتز : أحياناً .

جوهانا : (تلقي نظرة على المرآة) أنت تدهشني ، متى؟

فرانتز : عندما تكونين جميلة . (فترة) أنت أداة بيدهم ، يا سيدتي . لقد تدبروا أمرهم بحيث تطلبين مني

حساب حياتي . وإذا قدمته لك ، فإنني أجازف بجلدي . (فترة) على رسلك . سأجازف بكل الأخطار ، هيا !

جوهانا : (بعد فترة) لماذا تختبئ هنا؟

فرانتز : أولاً ، إنني لا أختبئ . لو كنت أبغي الإفلات من الملاحقات لكنت سافرت إلى الأرجنتين من زمن بعيد . (مشيراً إلى الجدار) كانت هنا نافذة . كانت تطل على ما كان حديقتنا .

جوهانا : على ما «كان»؟

فرانتز : نعم . (ينظر كلٌّ منهما إلى الآخر لحظة . يتابع) فسددتها . (فترة) ثم ، شيء يحدث ، في الخارج . شيء لا أريد أن أراه .

جوهانا : ما هو؟

فرانتز : (ينظر إليها بتحدٍّ) اغتيال ألمانيا . (لا يزال ينظر إليها ، نصف متوسِّل ، نصف مهدِّد ، وكأنه يريد أن يمنعها من الكلام) لقد بلغنا المنطقة الخطرة ! اصمتي . لقد رأيت الأنقاض .

جوهانا : متى؟

فرانتز : عند عودتي من روسيا .

جوهانا : مضى على ذلك أربعة عشر عاماً !

فرانتز : نعم .

جوهانا : وتظن أنه لم يتغير شيء البتة؟

فرانتز : أعرف أن كل شيء يزداد سوءاً من ساعة إلى ساعة .

جوهانا : أهي ليني التي تمدك بهذه المعلومات؟

فرانتز : نعم .

جوهانا : ألا تقرأ الصحف؟

فرانتز : إنها تقرؤها عني : المدن المدمّرة ، الآلات المحطمة ، الصناعة المخربة ، ارتفاع نسبة البطالة ، والسل ، والهبوط العمودي للولادات ، لا شيء يخفى عني . إن أختي تعيد نسخ كل الإحصاءات (مشيراً إلى جارور الطاولة) إنها مصفوفة في هذا الجارور . إن لديّ جميع البراهين على أجمل جريمة في التاريخ . بعد عشرين سنة على الأقل ، وخمسين سنة على الأكثر ، سيكون آخر الألمان قد مات . لا تظني أنني أشكو الدهر . إننا مغلوبون ، وهم يذبحوننا ، هذا لا مفر منه . ولكن لعلك تفهمين أنني لا أرغب في مشاهدة هذه المجزرة . إنني لن أقوم بالجولات السياحية في الكاتدرائيات المتهدمة والمصانع المحروقة ، ولن أزور الأسر المتكوّمة في الأقبية ، ولن أتسكع بين المشوّهين ، والعبيد ، والخونة ، والبغايا . أفترض أنك معتادة على هذا المشهد ، ولكني أقول لك ، بصراحة ، إنني لا أستطيع تحمّل هذا المشهد . كان يجب أن نربحها ، تلك الحرب . . . بكل الوسائل . أقول جيداً «بكل الوسائل» . إيه ، ماذا؟ أو نختفي . آمني بأنني كنت أستطيع أن أتصرف بشجاعة عسكرية وأنسف رأسي ، ولكن ما دام الشعب الألماني راضياً بالاحتضار المُذلّ الذي يفرض عليه ، فقد قررت أن أحتفظ بفمي لأصرخ لا ، (تثور عصبيته فجأة) ، لا ! ليس بمذنب !

(صارخاً) لا ! (صمت) هو ذاك .

جوهانا : (ببطء . لا تدري ماذا تقرر) الاحتضار المُذلّ الذي يفرض عليه . .

فرانتز : (دون أن تتركها عيناه) لقد قلت : هو ذاك ، هو ذاك كل شيء .

جوهانا : (في ذهول) نعم ، هو ذاك . هو ذاك كل شيء .
(فترة) ألهذا السبب فقط تسجن نفسك؟

فرانتز : لهذا السبب فقط . (صمت . تفكر) ماذا في الأمر؟ أنهي عملك . هل أخفتك؟

جوهانا : نعم .

فرانتز : لماذا ، أيتها الروح الطيبة؟

جوهانا : لأنك خائف .

فرانتز : منك؟

جوهانا : ممّا سأقوله لك . (فترة) وددت لو أنني لا أعرف ما أعرفه .

فرانتز : (مسيطراً على قلق قاتل ، وبتحدٍّ) ماذا تعرفين؟ (تتردد ، يتناظران بعين الاختبار) هيا؟ ماذا تعرفين؟ (لا تجيب . صمت . ينظر كلٌّ منهما إلى الآخر . إنهما خائفان . يقرع الباب : خمس دقات ، وأربعاً ، وثلاثاً على مرتين . يبتسم فرانتز ابتسامة مبهمة . ينهض ويذهب ليفتح أحد بابي صدر الغرفة . ونلمح حوض حمام . بصوت خافت) لن يستغرق ذلك إلاّ لحظة .

جوهانا : (بصوت خفيض) لن أختبئ .

فرانتز : (أحد أصابعه على شفتيه) صه ! (بصوت خافت) إذا ادعيت الكبرياء ، فستخسرين كل ربح من مؤامرتك الصغيرة .
(تتردّد ، ثم تقرّر أن تدخل إلى غرفة الحمام . يقرع الباب ثانية) .

المشهد السادس

فرانتز - ليني

(ليني تحمل صينية)

ليني : (مندهشة) ألم تقفل على نفسك بالمزلاج؟

فرانتز : لا .

ليني : ولمَ؟

فرانتز : (بحدة) أتستجوبينني؟ (بسرعة) هاتِ هذه الصينية وابقيْ مكانك .

(يأخذ منها الصينية ويذهب ليضعها على الطاولة)

ليني : (بارتباك) ما بك؟

فرانتز : إنها ثقيلة جداً . (يستدير وينظر إليها) هل تلومينني على بوادري الطيبة؟

ليني : كلا ، لكني أخاف منها . عندما تصبح طيباً ، أنتظر منك أسوأ الأمور .

فرانتز : (ضاحكاً) ها ! ها ! (تدخل وتغلق الباب وراءها) لم أسمح لك بأن تدخلي . (فترة . ينتزع جناح الدجاجة ويلتهمه) . حسناً ، سأتناول عشائي . إلى الغد .

ليني : انتظر . أريد أن أسألك الصفح . فأنا التي سعت إلى الخصام .

فرانتز : (فمه مليء) خصام؟

ليني : نعم ، منذ لحظات .

فرانتز : (شارداً) آه ، نعم . منذ لحظات . . . (بحدة) حسناً . إنني أصفح عنك .

ليني : قلت لك إنني كنت خائفة من أن أزدريك . هذا غير صحيح .

فرانتز : رائع ! رائع ! أنت رائعة . (يأكل)

ليني : إنني راضية بسراطينك وأخضع لحكمتها . هل تريد أن أقول لها؟ (للسراطين) أيتها القرشيات ، إنني أحترمك .

فرانتز : ماذا أصابك؟

ليني : لست أدري . (فترة) ثمة ما أريد أن أقوله لك أيضاً . إنني بحاجة إلى أن تكون موجوداً ؛ أنت ، وارث الاسم ، الوحيد الذي تثيرني مداعباته دون أن تذلّني . (فترة) إنني لا أساوي شيئاً ، لكني ولدت من آل غيرلاتش ، وهذا يعني : مجنونة كبرياء ، ولا أستطيع أن أفعل الحب إلاّ مع شخص من آل غيرلاتش . وبكلمة واحدة : هذه هي طريقتي في إعادة توثيق صلة القربى .

فرانتز : (آمراً) يكفي . لنؤجل دروس علم النفس إلى الغد . (تنتفض ، ويعاودها ارتيابها ، فتراقبه) لقد تصالحنا ، أعطيك كلمتي على ذلك . (صمت) قولي لي ، الحدباء . . .

ليني : (وقد فوجئت) أية حدباء؟

فرانتز : زوجة ورنر . أهي جميلة على الأقل؟

ليني : جمالها عادي .

فرانتز : إنني أرى . (فترة بجد) شكراً ، أيتها الأخت الصغيرة . لقد فعلت ما استطعته . (يقودها حتى الباب . فتتركه يفعل ، لكنها تظل قلقة) لم أكن مريضاً مريحاً جداً ، أليس كذلك؟ وداعاً !

ليني : (محاولة الضحك) يا لحفاوة الاستقبال ! سأراك غداً ، أتعرف؟

فرانتز : (بلطف ، بل بحنان تقريباً) آمل ذلك من كل قلبي .

(يفتح الباب . ينحني ويقبّلها في جبينها . فتهز رأسها ، وتقبله فجأة في شفتيه وتخرج) .

المشهد السابع

فرانتز

(يعيد إغلاق الباب ، ويضع المزلاج ، ويخرج منديله ويمسح شفتيه . يعود نحو الطاولة) .

فرانتز : لا تنخدعوا ، أيها الرفاق ، فليني «لا تستطيع» أن تكذب . (مشيراً إلى غرفة الحمام) الكاذبة هناك : سأفحمها ، أليس كذلك؟ لا تخافوا : إنني أعرف أكثر من خديعة . ستشهدون هذا المساء هزيمة شاهد زور . (يتبيّن أن يديه ترتجفان ، فيبذل جهداً عنيفاً لتثبيتهما دون أن تغادرهما عيناه) هيا ، يا صغيرتيَّ ، كفّا ! هدوءاً ! هدوءاً ! (تكفّان شيئاً فشيئاً عن الارتجاف . يلقي نظرة إلى المرآة ، ويشد سترته ويسوي وضع حزامه . لقد تبدّل . إنه ، للمرة الأولى منذ بداية الفصل ، مسيطر على نفسه كل السيطرة . يمضي نحو باب غرفة الحمام ، ويفتحه وينحني) إلى العمل يا سيدتي !

(تدخل جوهانا ، يغلق الباب ويتبعها ، بقسوة ، وترصد . سيكون من الواضح طيلة المشهد التالي أنه يسعى إلى السيطرة عليها) .

المشهد الثامن

فرانتز - جوهانا

(فرانتز وقد أغلق الباب . يعود ليقف أمامها . تتراجع جوهانا خطوة نحو باب الدخول . تتوقف)

فرانتز : لا تتحركي ، ليني لم تغادر الصالون بعد .

جوهانا : ماذا تفعل هناك؟

فرانتز : النظام . كعباك . (يدق دقات خافتة على الباب ليقلد صوت كعبي امرأة . يتكلم فرانتز دون أن تترك عيناه جوهانا . إننا نشعر أنه يزن المجازفة التي يخاطر بها وأن كلماته محسوبة) كنت تريدين الذهاب ، لكن كان لديك ما تريدين أن تبوحي به إلي؟

جوهانا : (تبدو على غير ما يرام منذ أن خرجت من غرفة الحمام) : كلاّ .

فرانتز : آه؟ (فترة) تمهّلي ! (فترة) ألن تقولي شيئاً؟

جوهانا : ليس لدي ما أقوله .

فرانتز : (ينهض فجأة) كلاّ ، زوجة أخي العزيزة ، لن يكون الأمر بمثل هذه السهولة . لقد أردت تحريري ، ثم بدلت رأيك ، وها أنت تنسحبين للأبد تاركة وراءك شكوكاً مريبة ستسمّم حياتي . لن يكون ذلك ! (يذهب إلى الطاولة ، ويأخذ كأسين وزجاجة . يصب الشمپانيا في الكأسين) . أهي ألمانيا؟ أتنهض من جديد؟ أنسبح في الازدهار؟

جوهانا : (حانقة) ألمانيا . . .

فرانتز : (بسرعة كبيرة ، وهو يصم أذنيه) لا فائدة ! لا فائدة ! لن أصدقك . (تنظر جوهانا إليه ، وتهز كتفيها وتصمت . يمشي برشاقة وثقة) باختصار ، كان فاشلاً .

جوهانا : مَن؟

فرانتز : تدخُّلك .

جوهانا : نعم . (فترة بصوت أصم) كان يجب شفاؤك أو قتلك .

فرانتز : نعم ! (بمودة) ستجدين شيئاً آخر . (فترة) أما أنا ، فقد منحتني لذة النظر إليك ، وأصر على شكرك على كرمك .

جوهانا : لست كريمة .

فرانتز : وكيف تسمين المشقة التي تكبّدتها؟ وذاك العمل أمام المرآة؟ لقد كلفك هذا بضع ساعات . كم من استعداد من أجل رجل واحد !

جوهانا : إنني أفعل ذلك كل مساء .

فرانتز : أمن أجل ورنر؟

جوهانا : من أجل ورنر ، وأحياناً من أجل أصدقائه .

فرانتز : (يهز رأسه مبتسماً) لا !

جوهانا : أأعيش في القذارة في غرفتي؟ أأهمل نفسي؟

فرانتز : لا أيضاً . (يكف عن النظر إليها ، ويحول عينيه نحو الجدار ويصفها كما يتخيّلها) أنت تقفين مستقيمة . مستقيمة جداً . لتحتفظي برأسك خارج الماء . الشعر مشدود . الشفتان عاريتان . ولا بقعة مسحوق . ولورنر الحق

في العناية، في الحنان، في القبل، أمّا الابتسامات، فأبداً! أنت لا تبتسمين مطلقاً.

جوهانا : (باسمة) يا لك من متنبئ!

فرانتز : إن المحجوزين يملكون أضواء خاصة تسمح لهم بأن يتعرفوا بعضهم على بعض فيما بينهم.

جوهانا : ولا شك في أنهم لا يلتقون غالباً.

فرانتز : حسناً، كما ترين، هذا يحدث أحياناً.

جوهانا : هل تتعرفني؟

فرانتز : إننا نتعرف أحدنا الآخر.

جوهانا : أأنا أسيرة؟ (تنهض، وتنظر في المرآة، وتستدير، جميلة جداً، مثيرة للمرة الأولى) ما كنت لأصدق. (تخطو نحوه).

فرانتز : (بحدة) كعباك!

(تخلع جوهانا نعليها باسمة وترميهما الواحد تلو الآخر على صورة هتلر).

جوهانا : (قريبة من فرانتز) لقد رأيت ابنة أحد زبائن ورنر مكبّلة بالأصفاد، خمسة وثلاثون كيلو، كلها قمل. أأشبهها؟

فرانتز : كأخت، كانت تريد كل شيء، على ما أفترض. هذه لعبة الخاسر. لقد خسرت كل شيء وسجنت نفسها في غرفتها لتتظاهر بأنها ترفض كل شيء.

جوهانا : (مغتاظة) هل ستتحدث عني طويلاً؟ (تتراجع خطوة إلى الوراء، مشيرة إلى أرض الغرفة) لا شك في أن ليني غادرت الصالون.

فرانتز : ليس بعد .

جوهانا : (نظرة خاطفة إلى ساعة يدها) سيأتي ورنر . الساعة الثامنة .

فرانتز : (عنيفاً) كلاّ ! (تنظر إليه بدهشة) لا ساعة هنا أبداً . الأبدية . (يهدأ) صبراً . ستكونين حرة عن قريب . (فترة) .

جوهانا : (خليط من التحدي والفضول) ماذا إذاً؟ أأحجز نفسي؟

فرانتز : نعم .

جوهانا : كبرياءً؟

فرانتز : مع الأسف !

جوهانا : ما الذي ينقصني؟

فرانتز : لم تكوني جميلة بما فيه الكفاية .

جوهانا : (باسمة) يا لك من متملّق !

فرانتز : إنني أقول ما تعتقدينه .

جوهانا : وأنت ماذا تعتقد؟

فرانتز : عني؟

جوهانا : عني .

فرانتز : إنك مصابة بلوثة .

جوهانا : مجنونة؟

فرانتز : يجب تقييدها .

جوهانا : ما الذي ترويه لي؟ قصتك أم قصتي؟

فرانتز : قصتنا .

جوهانا : وما الذي كان يتملّكك ، أنت؟

فرانتز : وهل له اسم؟ الفراغ . (فترة) لنقل : العظمة . . .

(يضحك) كانت تتملّكني ، لكني ما كنت أتملّكها .

جوهانا : هكذا !

فرانتز : وما كانت تتملّكك أنت؟

جوهانا : بلى .

فرانتز : كنت تترصّدين نفسك ، أليس كذلك؟ كنت تسعين إلى مفاجأة نفسك؟ (تبدي جوهانا إشارة موافقة) هل قبضت على نفسك؟

جوهانا : أتتصوّر ! (تنظر إلى نفسها في المرآة دون إعجاب) كنت أرى هذا . (تشير إلى صورتها المعكوسة . فترة) كنت أذهب إلى صالات الحي ، وعندما كانت النجمة «جوهانا تيز» تنساب على الجدار الخلفي ، كنت أسمع همهمة . كانوا ينفعلون ، كل بانفعال الآخر . كنت أنظر . . .

فرانتز : ثم؟

جوهانا : ثم لا شيء . لم أرَ ما كانوا يرونه . (فترة) وأنت؟

فرانتز : حسن ، لقد فعلت مثلك . لقد فشلت . لقد قلدوني الوسام أمام أفراد الجيش أجمع . هل يجدك ورنر جميلة؟

جوهانا : آمل كثيراً أن لا . رجل واحد ، أتتصور ! هل لهذا حساب؟

فرانتز : (ببطء) أنا ، أجدك جميلة .

جوهانا : كما تشاء ، ولكن لا تحدثني عن ذلك ، ولا شخص ، أتسمعني ، ولا شخص ، منذ أن طلقني الجمهور . . . أنت تظن نفسك فيلقاً تاماً .

فرانتز : لِمَ لا؟ لن تخسري شيئاً من وراء ذلك . أما بالنسبة

إلى جنوني ، فقد تعودت عليه منذ زمن طويل . (مشيراً إلى باب الدخول) عندما فتحت لك الباب ، لم تريني أنا ، بل رأيت صورة ما في أعماق عينيَّ .

جوهانا : لأنهما فارغتان .

فرانتز : لهذا السبب بالذات .

جوهانا : إنني لم أعد أذكر حتى ما كانته صورة نجمة متوفاة . كل شيء اختفى عندما تكلّمتَ .

فرانتز : لقد تكلّمتِ قبلي .

جوهانا : لم يكن السكوت محتملاً . كان لا بد من قطع حبل الصمت .

فرانتز : بل قطع حبل السحر .

جوهانا : على كل حال ، لقد انتهى الأمر . (فترة) ماذا بك؟ (تضحك بعصبية) وكأن عينك عدسة آلة تصوير . كفى . أنت ميت .

فرانتز : لأخدمك . إن الموت مرآة الموت . إن عظمتي تعكس جمالك .

جوهانا : إنما الأحياء أريد أن أعجبهم .

فرانتز : أتعنين الجماهير المتعبة التي تحلم بالموت؟ كنت تبدين لهم وجه الراحة الأبدية الصافي الهادئ . إن السينما مقبرة ، يا صديقتي العزيزة ، ما اسمك؟

جوهانا : جوهانا .

فرانتز : جوهانا ، إنني لا أشتهيك ، ولا أحبك . إنني شاهدك وشاهد جميع البشر . إنني أؤدي الشهادة أمام القرون

وأقول : أنت جميلة .

جوهانا : (وكأنها مسحورة) نعم .

(يضرب على الطاولة بعنف)

فرانتز : (بصوت قاسٍ) اعترفي بأنك كذبت . قولي إن ألمانيا تحتضر .

جوهانا : (ترتعد بألم . إنها يقظة) ها ! (ترتجف ويتشنج وجهها . تصبح قبيحة تقريباً لمدة لحظة) لقد أفسدت كل شيء .

فرانتز : كل شيء . لقد شوهتُ الصورة . (فجأة) وكنت تريدين أن تعيديني إلى الحياة؟ ستحطمين بذلك المرآة من أجل لا شيء . وسأنزل بينكم . وسأتناول الحساء مع الأسرة . وستذهبين إلى هامبورغ مع ورنر زوجك . إلى أين سيقودنا كل ذلك؟

جوهانا : (تتمالك نفسها باسمة) إلى هامبورغ .

فرانتز : لن تكوني فيها جميلة أبداً .

جوهانا : كلاّ . أبداً .

فرانتز : ولكن هنا ، ستكونين جميلة يومياً .

جوهانا : نعم ، إذا عدت يومياً .

فرانتز : ستعودين .

جوهانا : هل ستفتح الباب؟

فرانتز : سأفتحه .

جوهانا : (مقلدة فرانتز) إلى أين سيقودنا كل ذلك؟

فرانتز : إلى هنا ، في الأبدية .

جوهانا : (باسمة) في هذيان ثنائي . . . (تفكر . سوء حظ ، بعد أن

اختفى السحر عنها ، إنها تعود إلى مخططاتها الأولى)
حسن . سأعود .

فرانتز : غداً؟

جوهانا : غداً ، من المحتمل .

فرانتز : (بلطف . جوهانا صامتة) قولي إن ألمانيا تحتضر ، قولي ذلك ، وإلاّ تحطمت المرآة . (تثور عصبيته ، وتعاود يداه الارتجاف) قوليها ! قوليها ! قوليها !

جوهانا : (ببطء) هذيان ثنائي ! ليكن . (فترة) ألمانيا تحتضر .

فرانتز : أهذا صحيح حقاً؟

جوهانا : نعم .

فرانتز : أيذبحوننا؟

جوهانا : نعم .

فرانتز : لا بأس . (يرهف أذنيه) لقد ذهبت . (يذهب ليأتي بنعلي جوهانا ، ويركع أمامها ويلبسها إياهما . تنهض فينهض وينحني ، ضارباً عقبيه) إلى الغد ! (تمشي جوهانا حتى الباب تقريباً ، فيتبعها ، ويسحب المزلاج ، ويفتح الباب . تشير له برأسها وتبتسم ابتسامة خفيفة ، تمشي لتخرج ، فيوقفها . انتظري ! (تستدير فينظر إليها بارتياب مفاجىء) مَن ربح؟

جوهانا : ربح ماذا؟

فرانتز : الجولة الأولى .

جوهانا : خمِّن .

(تخرج . يغلق الباب . ينزل الرتاج . يزلج المغلاق . يبدو مطمئناً . يعود حتى منتصف الغرفة . يتوقف) .

المشهد التاسع

فرانتز

فرانتز : أُفٍ ! (تدوم الابتسامة لحظة على وجهه ثم تتقلص ملامحه . إنه خائف) من أعماق الهاوية ! (يخنقه الألم) صروا ! صروا ! صروا إذاً ! (يأخذ بالارتجاف) .

نهاية الفصل الثاني

الفصل الثالث

مكتب ورنر، أثاث حديث، مرآة، بابان

المشهد الأول

الأب -ليني

(الباب يقرع ، المسرح خال . يقرع الباب من جديد . ثم يدخل الأب ، إنه يحمل محفظة في يده اليسرى ، ومعطفه مطوي على ذراعه اليمنى ، يغلق الباب ، ويضع المعطف والمحفظة على مقعد ، ثم يرجع عن رأيه ، ويتجه نحو الباب ويفتحه)

الأب : (موجهاً كلامه إلى الكواليس) إنني أراكِ ! (صمت خفيف جداً) ليني (تظهر ليني بعد لحظة) .

ليني : (بشيء من التحدي) ها أنا ذي !

الأب : (مداعباً شعرها) صباح الخير . هل كنت مختبئة؟

ليني : (تراجع خفيف) صباح الخير ، يا أبي . نعم ، كنت أختبئ . (تنظر إليه) يا لهذا الوجه !

الأب : لقد أثارت الرحلة دمي . (يسعل سعالاً جافاً قصيراً مزعجاً) .

ليني : الزكام منتشر في لايبزغ؟

الأب : (دون أن يفهم) الزكام؟ (يفهم) كلاّ . إنني أسعل . (تنظر إليه بنوع من الخوف) ماذا يمكن أن يعنيك من الأمر؟

ليني : (تستدير ، ثم تنظر إلى الفراغ) آمل ألاّ يعنيني بشيء . (فترة) .

الأب : (بمرح) إذاً ، كنت تتجسّسين عليّ؟

لبني : (بلطف) كنت أرقبك . لكل منّا دوره .
الأب : أنت لا تضيعين الوقت ، فقد وصلت .
ليني : كنت أود أن أعرف ماذا ستفعل عند وصولك .
الأب : كما ترين ، إنني أعيد الزيارة لأخيك ورنر .
ليني : (نظرة خاطفة إلى ساعة يدها) أنت تعلم جيداً أن ورنر في ورش المصنع .
الأب : سأنتظره .
ليني : (متظاهرة بالذهول) أنت؟
الأب : لِمَ لا؟ (يجلس)
ليني : لِمَ لا؟ ، بالفعل؟ (تجلس بدورها) في صحبتي؟
الأب : بمفردي .
ليني : حسناً . (تنهض) ماذا فعلت؟
الأب : (مدهوشاً) أتعنين في لايبزغ؟
ليني : هنا .
الأب : (اللهجة نفسها) ماذا فعلت؟
ليني : إنني أسألك هذا .
الأب : لقد مضت ستة أيام على سفري ، يا طفلتي .
ليني : ماذا فعلت مساء يوم الأحد؟
الأب : آه ! أنت تثيرين سخطي . (فترة) لا شيء . لقد تناولت العشاء ثم نمت .
ليني : كل شيء قد تبدّل . لماذا؟
الأب : ما الذي تبدّل؟
ليني : أنت تعلم .

الأب : لقد هبطت لتوي من الطائرة . لا أعرف شيئاً ، ولم أرَ شيئاً .

ليني : أنت تراني .

الأب : تماماً . (فترة) لن تتغيّري أبداً ، يا ليني ، مهما حدث .

ليني : أبي ! (مشيرة إلى المرآة) أنا ، أيضاً ، أرى نفسي . (تقترب منها) بالطبع أنت أفسدت تسريحة شعري . (تعاود تسريحه) . عندما أرى نفسي . . .

الأب : لا تتعرّفينها؟

ليني : بتاتاً . (تسبل ذراعيها) أف ! (ناظرة إلى نفسها بإدراك ودهشة) يا للكذب ! (دون أن تستدير) البارحة ، عند العشاء ، خضبت جوهانا وجهها .

الأب : آه ! (تلمع عيناه لحظة لكنه يتمالك نفسه) ثم؟

ليني : لا شيء غير ذلك .

الأب : هذا ما تفعله النساء جميعاً كل يوم .

ليني : هذا ما لا تفعله جوهانا مطلقاً .

الأب : لا بد أنها أرادت أن تستعيد زوجها في يدها ثانية .

ليني : زوجها ! (تقلب شفتها ازدراء) أنت لم ترَ عينيها .

الأب : (باسماً) رويدك ، كلاّ . ماذا كان بهما؟

ليني : (باقتضاب) ستراهما . (فترة . ضحكة جافة) . آه ! لن تتعرف أحداً . ورنر يتكلم بصوت عالٍ . ويأكل ويشرب كأربعة رجال .

الأب : لست أنا الذي بدّلكم .

ليني : ومَن غيرُك؟

الأب : لا أحد ، بل حماقات هذا الحلق المسن . حسن . عندما يستأذن أب للرحيل . . . ولكن ممَّ تشكين؟ لقد أنذرتكم قبل ستة أشهر . سيتاح لكم الوقت للتعود على ذلك ، وعليك أن تشكريني .

ليني : إنني أشكرك . (فترة . بصوت متبدّل) يوم الأحد ، في السهرة ، أهديتنا قنبلة مؤقتة . أين هي؟ (يهز الأب كتفيه ويبتسم) سأجدها .

الأب : قنبلة ! لماذا تريدين . . .؟

ليني : إن عظماء هذا العالم لا يتحملون أن يموتوا بمفردهم .

الأب : سأنسف الأسرة كلها إذاً .

ليني : الأسرة ، كلا ، أنت لا تحبها بما فيه الكفاية لتفعل ذلك . (فترة) فرانتز .

الأب : يا لفرانتز المسكين ! سأحمله بمفرده إلى قبري عندما أرحل عن هذا العالم . ليني ، آمل جداً أن تمنعيني من ذلك .

ليني : اعتمد علي . (تتقدم خطوة نحوه) إذا ما حاول أحد الاقتراب منه ، فسترحل فوراً وبمفردك .

الأب : حسن . (صمت . يجلس) أليس لديك شيء آخر تقولينه لي؟ (تشير بأن لا . بحزم ولكن دون أن يبدل لهجته) اغربي عن وجهي (تنظر إليه ليني لحظة ، ثم تحني رأسها وتخرج . ينهض الأب ، ويذهب ليفتح الباب ، ويلقي نظرة على الممر ، وكأنه يريد أن يتحقق من أن ليني لا تختبئ فيه ، ثم يغلق الباب ، ويقفله بالمفتاح ويضع منديله على المفتاح بحيث يخفي القفل . ثم يستدير ، ويجتاز الغرفة ، ويذهب باتجاه باب الصدر ويفتحه) .

المشهد الثاني

الأب - جوهانا

الأب : (بصوت جهوري) جوهانا!

(تفاجئه نوبة سعال، يستدير، إنه الآن بمفرده، لم يعد مسيطراً على نفسه، وهو يتألم بشكل واضح. يتجه نحو المكتب، ويتناول إبريقاً، ويصب قدح ماء ويشرب. تدخل جوهانا من باب الصدر وتراه مديراً ظهره).

جوهانا : مَن... (يستدير) أنت؟

الأب : (بصوت لا يزال مخنوقاً) حسناً، نعم! (يقبّل يدها. يشتد صوته) أما كنت تنتظرينني؟

جوهانا : لقد نسيتك. (تتمالك نفسها وتضحك) هل قمت برحلة موفقة؟

الأب : بل ممتازة. (تنظر إلى المنديل على المفتاح) لا شيء: عين مفقوءة. (فترة. ينظر إليها) أنت غير مخضبة الوجه!

جوهانا : كلاّ.

الأب : ألن تذهبي إذاً إلى غرفة فرانتز؟

جوهانا : لن أذهب إلى غرفة أحد. إنني أنتظر عودة زوجي.

الأب : لكنك رأيته.

جوهانا : مَن؟

الأب : ابني.

جوهانا : لك ابنان، ولست أدري عمّن منهما تتكلم.

الأب : عن البكر . (صمت) حسناً ، يا طفلتي .

جوهانا : (منتفضة) يا أب !

الأب : واتفاقنا؟

جوهانا : (متظاهرة بالذهول الماكر) هذا صحيح ، لك حقوق ! يا للسخرية . (بصوت هامس كأنه مناجاة) كل شيء مضحك ، في الطابق الأرضي ، حتى أنت الذي سيموت . كيف تفعل حتى تحتفظ بهذا الوجه المنطقي؟ (فترة) حسناً ، لقد رأيته . (فترة) أنا متأكدة أنك لن تفهم شيئاً .

الأب : (كأنه كان ينتظر هذا الاعتراف ، لكنه لا يستطيع أن يسمعه بدون شيء من القلق) رأيت فرانتز؟ (فترة) متى؟ الاثنين؟

جوهانا : الاثنين وسائر الأيام .

الأب : يومياً ! (مذهولاً) خمس مرات؟

جوهانا : أظن ذلك إنني لم أعد الأيام .

الأب : خمس مرات ! (فترة) إنها معجزة .

(يفرك يديه)

جوهانا : (بحزم ، ولكن دون أن ترفع صوتها) من فضلك ، (يضع الأب يديه ثانية في جيبيه) لا تفرح .

الأب : يجب أن تعذريني ، يا جوهانا . في طائرة العودة ، كان عرقي ينضح بارداً . كنت أظن أن كل شيء قد ضاع .

جوهانا : ثم؟

الأب : ثم أعلم أنك ترينه يومياً .

جوهانا : أنا التي أضاعت كل شيء .

الأب : لماذا؟ (تهز كتفيها) يا طفلتي ، إذا كان يفتح لك بابه ، فلا بد أنكما متفاهمان ، كلاكما !

جوهانا : إننا متفاهمان (لهجة ماجنة وقاسية) كلصين في معرض .

الأب : (محتاراً) ماذا؟ أخيراً ، أنتما صديقان طيبان؟

جوهانا : كل شيء إلاّ الصداقة .

الأب : كل شيء ! (فترة) تريدين أن تقولي . .

جوهانا : (متفاجئة) ماذا؟ (تنفجر ضاحكة) عاشقان؟ تصور أننا حتى لم نفكر بذلك . هل كان هذا ضرورياً لمخططاتك؟

الأب : (بشيء من الارتياح) إنني أعتذر ، يا كنتي ، لكنها خطيئتك . أنت لا تشرحين لي شيئاً لأنك قررت من قبل أنني لن أفهم .

جوهانا : لا شيء هناك يستحق الشرح .

الأب : (قلقاً) أليس . . . مريضاً ، على الأقل؟

جوهانا : مريضاً؟ (تدرك . باحتقار مذلّ) أواه ! مجنوناً؟ (هازة كتفيها) ماذا تريدني أن أعرف عن ذلك؟

الأب : أنت ترينه يعيش .

جوهانا : إذا كان مجنوناً فأنا مجنونة . ولماذا لا أكون كذلك؟

الأب : على كل حال ، أنت تستطيعين أن تقولي لي إذا كان تعيساً .

جوهانا : (متلهّية) ها نحن أخيراً ! (بمناجاة) هناك في الأعلى ، ليس للكلمات المعنى ذاته .

الأب : حسناً . كيف يقال ، هناك في الأعلى ، إن الإنسان يتألم؟

جوهانا : إنه لا يتألم .

الأب : آه لا؟

جوهانا : إنه مشغول .

الأب : فرانتز مشغول؟ (إشارة من جوهانا) بماذا؟

جوهانا : بماذا؟ تريد أن تقول : من قبل مَن؟

الأب : نعم ، هذا ما أريد أن أقوله . إذاً؟

جوهانا : هذا لا يعنيني .

الأب : (بلطف) ألا تريدين أن تكلميني عنه؟

جوهانا : (في سأم محزن) بأية لغة؟ يجب دوماً أن أترجم . هذا الأمر يتعبني . (فترة) سأذهب ، يا أب .

الأب : هل ستتخلين عنه؟

جوهانا : إنه ليس بحاجة إلى أحد .

الأب : بالطبع ، هذا حقك ، أنت حرة . (فترة) لقد وعدتني .

جوهانا : ووفيت .

الأب : أيعلم . . . (إشارة من جوهانا) وماذا قال؟

جوهانا : إنك تدخن كثيراً .

الأب : ثم ماذا؟

جوهانا : لا شيء غير ذلك .

الأب : (وقد جرح عميقاً) كنت أعرف ذلك ! إنها تكذب عليه طول الوقت ، تلك العاهرة ! ما الذي لم تروه له طوال ثلاثة عشر عاماً . . .

(تضحك جوهانا بهدوء . يتوقف فجأة وينظر إليها)

جوهانا : أنت ترى جيداً أنك لا تفهم ! . (ينظر إليها ، متصلباً)

ماذا تعتقد أنني أفعل ، عند فرانتز؟ إنني أكذب عليه .

الأب : أنت؟

جوهانا : لا أفتح فمي دون أن أكذب عليه .

الأب : (مذهولاً وشبه أعزل من كل سلاح) لكن . . . كنت تكرهين الكذب !

جوهانا : إنني ما زلت أكرهه .

الأب : إذاً؟

جوهانا : إذاً ، إليك : إنني أكذب : على ورنر بصمتي ، وعلى : فرانتز بحديثي .

الأب : (بجفاء شديد) كنت على حق : إنني . . لا أفهم . أنت تسيرين في عكس مصالحك تماماً !

جوهانا : بل عكس مصالح ورنر .

الأب : إنها مصالحك .

جوهانا : لم أعد أدري شيئاً عن ذلك .

(صمت . يتمالك الأب نفسه بعد أن ذُهِل لحظة) .

الأب : هل انضممت إلى المعسكر الآخر؟

جوهانا : ليس هنالك من معسكر .

الأب : حسن . إذاً ، أصغي إلي : إن فرانتز يستحق عميق الرثاء ، وإنني أفهم أن تكوني قد أردت مداراته ، لكنك لا تستطيعين أن تستمري في هذا الطريق ! إذا ما استسلمت للشفقة التي يبعثها فيك . . .

جوهانا : نحن لا نملك شفقة .

الأب : مَن ، نحن؟

جوهانا : أنا وليني .

الأب : ليني ، تلك هي مشكلة أخرى . ولكن أنت ، يا كنتي ، مهما كان الاسم الذي تعطينه لعواطفك ، فلا تعودي إلى الكذب على ابني . أنت تهوين به . (تبتسم بمزيد من القوة) ليس له إلاّ رغبة واحدة : أن يهرب . وبعد أن تثقليه بأكاذيبك ، سيستفيد منها ليغرق عمودياً في الهوة .

جوهانا : ليس لدي وقت لأخسره كثيراً . أنا أقول لك إنني ذاهبة .

الأب : متى وإلى أين؟

جوهانا : غداً ، وأينما كان .

الأب : مع ورنر؟

جوهانا : لست أدري .

الأب : أهو فرار؟

جوهانا : نعم .

الأب : ولكن لماذا؟

جوهانا : لغتان ، حياتان ، حقيقتان ، ألا تجد أن هذا كثير على شخص واحد؟ (تضحك) إن أيتام دوسيلدورف ، مثلاً ، لا أتمكّن من التخلّص منهم .

الأب : ما هذه؟ أكذوبة؟

جوهانا : حقيقة من هناك في الأعلى . إنهم أطفال مهجورون . إنهم يموتون جوعاً في معسكر ، ولا بد أن يكونوا موجودين ، بهذه الطريقة أو تلك ، لأنهم يطاردونني

حتى إلى الطابق الأرضي . والبارحة مساء ، كدت ، لولا بقية من عقل ، أن أسأل ورنر ما إذا كنا نستطيع إنقاذهم . (تضحك) هذا لن يكون شيئاً . لكن هناك في الأعلى . . .

الأب : ماذا؟

جوهانا : إنني أسوأ عدوة لنفسي . إن صوتي ليكذب ، وجسدي يفنده . إنني أتكلم عن الأسرة وأقول إننا سنقضي بسببها . والآن ، انظر إلي : هل يبدو علي أنني جائعة؟ لو كان فرانتز يراني . . .

الأب : أهو لا يراك إذاً؟

جوهانا : إنه لم يصل بعد إلى حد النظر إليّ . (كأنها تخاطب نفسها) خائن . متآمر . ثابت الجرم . إنه يتكلم ، فأصغي إليه . ثم ، فجأة ، يرى نفسه في المرآة . صدره مستتر بإعلان ، عليه هذه الكلمة الوحيدة ، التي أقرؤها عندما يصمت : خيانة . هوذا الكابوس الذي ينتظرني كل يوم في غرفة ابنك .

الأب : إنه كابوس الناس أجمع . كل يوم وكل ليلة . (صمت)

جوهانا : هل أستطيع أن أطرح عليك سؤالاً؟ (بعد إشارة من الأب) ما شأني في هذه القصة؟ لماذا أقحمتني فيها؟

الأب : (بجفاء شديد) أنت تفقدين معنوياتك ، يا كنتي إنك أنت التي قررت أن تزجي نفسك فيها .

جوهانا : كيف كنت تعلم أنني سأقرر ذلك؟

الأب : لم أكن أعلم .

جوهانا : لا تكذب ، أنت الذي يؤنبني على أكـاذيبي . على كل حال ، لا تكذب بسرعة أكثر من اللازم . ستة أيام ، إنهـا لفـتـرة طويلة ، تركت لي الوقت فـيـهـا للتفكير . (فترة) لقد عُقد مجلس العائلة من أجلي وحدي .

الأب : كلاّ ، يا طفلتي ، من أجل ورنر .

جوهانا : ورنر؟ هه ! كنتما تهاجمانه كي أدافع عنه . فأنا التي خطر لها أن تكلم فرانتز ، إنني موافقة على ذلك ، أو بالأحرى ، إنني التي وجدت هذه الفكرة . لقد خبأتها في الغرفة ، وكنت ترشدني بمهارة كبيرة بحيث قفزت أخيراً أمام عينيّ . هل هذا صحيح؟

الأب : كنت أتمنى بالفعل أن تجـتـمـعي بابني . لأسـبـاب تعرفينها جيداً .

جوهانا : (بعنف) لأسباب لا أعرفها . (فترة) عندما وضعتنا أمام بعـضـنا ، أنا التي تعـرف ، وهو الذي لا يريد أن يعرف ، ألم تحذرني من أنه تكفي كلمة واحدة لقتله؟

الأب : (بوقار) جوهانا ، إنني أجهل كل شيء عن ابني .

جوهانا : كل شيء ، باستـثناء أنه يسعى إلى الهرب ، وأننا نساعده على ذلك بأكـاذيبنا . هيـا ! أنت تلعب عن ثقة ، إذ إنني أقـول لك إن كلمة واحدة تكفي لقتله ومع ذلك فأنت لا تحرك ساكناً .

الأب : (باسماً) أية كلمة ، يا طفلتي؟

جوهانا : (ضاحكة في وجهه) رغد العيش .

الأب : عفواً؟

جوهانا : هذه الكلمة أو أية كلمة أخرى ، بشرط أن تبين أننا أغنى أمة في أوروبا . (فترة) أنت لا تبدو مذهولاً جداً .

الأب : إنني لست مدهوشاً . منذ اثني عشر عاماً ، فهمت مخاوف ابني من بعض العبارات التي أفلتت منه . لقد ظن أنهم يريدون أن يقضوا على ألمانيا فانسحب كي لا يشهد إبادتنا . في ذلك الحين ، لو أمكن أن نكشف له عن المستقبل لشُفي فوراً . واليوم ، فإن الإنقاذ أصعب بكثير ، فقد تعود على عادات ، وليني تدلّله ، والحياة الرهبانية تقدّم بعض التسهيلات له . لكن لا تخشي شيئاً ، إن الدواء الوحيد لدائه هو الحقيقة . إنه سيغضب في البدء لأنك ستجردينه من أسباب غضبه ، ثم ، بعد أسبوع ، سيكون أول من يشكرك .

جوهانا : (عنيفة) يا للغو ! (بفظاظة) لقد رأيته البارحة ، أهذا لا يكفيك؟

الأب : لا .

جوهانا : هناك في الأعلى ، ألمانيا ميتة أكثر من القمر ، فإذا ما بعثتها ، فسيطلق رصاصة في فمه .

الأب : (ضاحكاً) أتتصورين هذا !؟

جوهانا : أقول لك إنها البداهة بعينها .

الأب : ألم يعد يحب بلاده؟

جوهانا : إنه يعبدها .

الأب : حسن ، إذاً ! جوهانا ، هذا ليس منطقياً .

جوهانا : أوه ! بالنسبة إلى ذلك ، كلاّ . (ضاحكة في شيء من الحيرة) المنطق ! هذا ما هو موجود (مشيرة إلى الأب) في هذا الرأس ، أما في رأسي فتوجد عيناه . (فترة) أوقف كل شيء . إن آلتك الجهنمية ستنفجر بين يديك .

الأب : لا أستطيع أن أوقف شيئاً .

جوهانا : إذاً ، سأرحل دون أن أراه ثانية وإلى الأبد . أمّا الحقيقة فسوف أقولها ، كن مطمئناً ، لكن ليس لفرانتز ، بل لورنر .

الأب : (بحدة) لا ! (يتمالك نفسه) لن تسببي له إلاّ الألم .

جوهانا : وهل أسبب له الخير ، منذ يوم الأحد؟ (يسمع بوق سيارة من بعيد) ها هو ، سيعلم كل شيء بعد ربع ساعة .

الأب : (آمراً) انتظري ! (تتوقف ، حائرة . يذهب نحو الباب ، ويرفع المنديل ويدير المفتاح ، ثم يستدير نحو جوهانا) سأقترح عليك اقتراحاً . (تظل صامتة متشنجة . فترة) لا تحكي شيئاً لزوجك . اذهبي لرؤية فرانتز للمرة الأخيرة وقولي له إنني أسأله مقابلة ، فإذا قبل ، فإنني أحل ورنر من يمينه وسترحلان معاً «كلاكما» متى شئتما . (صمت) جوهانا ! إنني أعرض عليك الحرية .

جوهانا : أعرف . (تدخل السيارة إلى الحديقة)

الأب : إذاً؟

جوهانا : لا أريدها بهذا الثمن .

الأب : أي ثمن؟

جوهانا : موت فرانتز .

الأب : طفلتي ! ماذا حدث لك؟ يخيل إلي أنني أسمع ليني .

جوهانا : أنت تسمعها . إننا أختان توأم . لا تندهش لذلك . فأنت الذي جعلتنا متماثلتين . وإذا ما مرت جميع نساء الأرض في غرفة ابنك ، فسينقلبن جميعاً مثل ليني ضدك .

(مكابح . السيارة تقف أمام درج باب المنزل)

الأب : أرجوك ، لا تقرري شيئاً من الآن ! أعدك . . .

جوهانا : لا فائدة . إذا كنت تريد قتلة مأجورين ، فتوجه إلى الجنس الآخر .

الأب : ستقولين كل شيء لورنر؟

جوهانا : نعم كل شيء .

الأب : لا بأس ، وإذا قلت كل شيء لليني؟

جوهانا : (مذهولة ومذعورة) لليني ، أنت؟

الأب : لِمَ لا؟ سينسف البيت آنذاك .

جوهانا : (على حافة نوبة أعصاب) انسف البيت ! انسف الكرة الأرضية ! ستعود الطمأنينة إلينا أخيراً . (ضحكة جافة وخافتة في البدء ترتفع رغماً عنها) الطمأنينة ! الطمأنينة ! الطمأنينة !

(وقع خطوات في الممشى . يتجه الأب بسرعة نحو جوهانا ، ويأخذها بوحشية من كتفيها ويهزها محدقاً إليها بثبات . تتمكن جوهانا من تهدئة أعصابها . يبتعد الأب عنها في اللحظة التي ينفتح فيها الباب) .

المشهد الثالث

الأب - جوهانا ـ ورنر

ورنر : (داخلاً بخطى سريعة ولامحاً الأب) أنت !

الأب : صباح الخير ، ورنر .

ورنر : صباح الخير ، يا أب . هل أنت مسرور من رحلتك؟

الأب : هيه ! (يفرك يديه دون أن ينتبه) مسرور ، نعم . مسرور . وربما مسرور جداً .

ورنر : كنت تود مكالمتي .

الأب : أنت؟ أبداً . إنني مغادركما ، يا طفليّ العزيزين . (عند الباب) جوهانا ، اقتراحي لا يزال قائماً . (يخرج) .

المشهد الرابع

جوهانا - ورنر

ورنر : أي اقتراح؟

جوهانا : سأقوله لك .

ورنر : لا أحب أن يأتي ليدس أنفه هنا . (يذهب ليتناول زجاجة شمپانيا وكأسين من خزانة ، ويضع الكأسين على المكتب ويبدأ بفتح الزجاجة) شمپانيا؟

جوهانا : كلاّ .

ورنر : لا بأس . سأشرب بمفردي .

(تبعد جوهانا الكأسين)

جوهانا : ليس هذا المساء ، إنني بحاجة إليك .

ورنر : أنت تدهشينني . (ينظر إليها فجأة) على كل حال ، هذا لا يمنع من الشرب . (يطير السدادة . تطلق جوهانا صرخة خافتة . يأخذ ورنر بالضحك ، ويملأ الكأسين ، وينظر إليها) بشرفي ، أنت خائفة !

جوهانا : إنني عصبية المزاج .

ورنر : (بشيء من الرضا) بل أقول إنك خائفة . (فترة) ممَّن؟ من الأب؟

جوهانا : منه أيضاً .

ورنر : وتريدين أن أحميك؟ (مقهقهاً ، ولكن أكثر انفراجاً قليلاً) لقد عكست الأدوار . (يعبّ كأسه دفعة واحدة) قصّي عليَّ متاعبك . (صمت) الأمر إذاً صعب جداً؟ تعالي !

(لا تتحرك . يجذبها نحوه ، متشنّجة) ضعي رأسك على كتفي . (يحني بالقوة تقريباً رأس جوهانا . فترة . ينظر إلى نفسه في المرآة ويبتسم) عودة إلى النظام . (صمت وجيز جداً) تكلمي ، يا عزيزتي !

جوهانا : (رافعة رأسها لتنظر إليه) لقد رأيت فرانتز .

ورنر : (دافعاً إياها بغضب) فرانتز ! (يدير لها ظهره ، ويتجه نحو المكتب ، ويصب لنفسه كأساً أخرى من الشمپانيا ، ويشرب جرعة ، على مهل ، ثم يستدير نحوها ، هادئاً ، باسماً) هذا أفضل ! ستعرفين العائلة كلها . (تنظر إليه ، دهشة) كيف تجدينه ، أخي البكر ، خزانة ، أليس كذلك؟ (لا تزال مذهولة ، تشير برأسها أن لا) إيه ! (متلهياً) إيه ! إيه ! ألن يشفى بسرعة؟ (تجد مشقة في إجابته) حسناً؟

جوهانا : أنت أطول منه .

ورنر : (اللهجة نفسها) ها ! ها ! (فترة) وزيه العسكري الجميل؟ ألا يزال يرتديه؟

جوهانا : إنه ليس زيّاً جميلاً .

ورنر : أأسمال هو؟ لكن ، قولي لي إذاً ، فرانتز المسكين ذاك تلف للغاية . (صمت متشنج من جوهانا . يتناول كأسه) نخب شفائه ! (يرفع الكأس ، ثم ، إذ يتبيّن أن يدي جوهانا فارغتان ، يذهب ليحضر الكأس الأخرى ويقدمها لها) لنقرع كأسينا ! (تتردّد . آمراً) خذي هذه الكأس . (تتصلب وتأخذ الكأس) .

جوهانا : (بتحدٍّ) أشرب نخب فرانتز !

(تريد أن تقرع كأسها بكأس فرانتز . فيبعد هذا الأخير كأسه بحدة . يتناظران لحظة . وقد تملكتهما الحيرة كليهما . ثم ينفجر ورنر ضاحكاً ويرمي محتوى كأسه على أرض الغرفة) .

ورنر : (بعنف مرح) هذا ليس صحيحاً! ليس صحيحاً! (ذهول من جوهانا . يتجه نحوها) لم تريه أبداً . لم أنخدع ، ولا لحظة . (ضاحكاً في وجهها) والمزلاج ، يا صغيرتي؟ والمرتاج الحديدي؟ إن لهما إشارة ، كوني على ثقة .

جوهانا : (وقد استعادت وجهها الجامد) لهما إشارة . وإنني أعرفها .

ورنر : (لا يزال يضحك) كيف عرفتها؟ لقد سألت عنها ليني!

جوهانا : سألت عنها الأب .

ورنر : (مذهولاً) آه! (صمت طويل . يتجه نحو المكتب ، ويضع كأسه ويفكر ، ثم يستدير نحو جوهانا . إنه محتفظ بوجهه البشوش ، ولكننا نحس بأنه يبذل جهداً كبيراً للسيطرة على نفسه) حسناً! كان لا بد أن يحدث هذا . (فترة) الأب لا يفعل شيئاً من أجل لا شيء . فما هي مصلحته في هذه القصة؟

جوهانا : وددت لو أعرفها .

ورنر : ماذا اقترح عليك ، من لحظات؟

جوهانا : سيحلك من يمينك إذا منحه فرانتز موعداً .

ورنر : (وقد أصبح ممتقعاً مرتاباً ، ويزداد ارتيابه في أثناء المحاورة التالية) موعداً . . وهل سيمنحه فرانتز الموعد؟

جوهانا : (بثقة) نعم .

ورنر : ثم؟

جوهانا : لا شيء . سنكون حرين .

ورنر : حرين في فعل ماذا؟

جوهانا : في أن نغادر هذا البيت .

ورنر : (ضحكة جافة قاسية) أإلى هامبورغ؟

جوهانا : حيث نشاء .

ورنر : (اللهجة نفسها) رائع ! (ضحكة قاسية) حسن ، يا زوجتي ، إنها أجمل رفسة على قفاي تلقيتها طيلة حياتي .

جوهانا : (مذهولة) ورنر ، إن الأب لا يفكر لحظة واحدة . .

ورنر : بابنه الأصغر؟ يقيناً أن لا . سيأخذ فرانتز مكتبي ، ويجلس في مقعدي ويشرب من شمپانيتي ، ويرمي أصدافه على سريري . باستثناء ذلك ، مَن يفكر بي؟ وهل لي حساب؟ (فترة) لقد بدّل الشيخ رأيه . هذا كل شيء .

جوهانا : ولكنك لا تفهم شيئاً إذاً؟

ورنر : أفهم أنه يريد أن يضع أخي على رأس المصنع . وأفهم أيضاً أنك خدمتهما عن طواعية كوسيط ؛ بشرط أن تنزعيني من هنا ، ثم لا يهمك من الذي سيطردني رفساً بالأقدام . (تنظر إليه جوهانا ببرود . تتركه يتابع كلامه دون أن تحاول حتى أن تشرح رأيها) إنهم يحطمون مهنتي كمحامٍ ليفرضوا علي إقامة جبرية في هذا المنزل

الكريه ، بين ذكريات طفولتي العزيزة . وذات يوم ، يقبل الابن الضال بأن يترك غرفته ، فيذبح العجل السمين ، ويطردونني خارجاً ، ويُسر الجميع ، وزوجتي على رأسهم ! قصة رائعة ، أليس كذلك؟ سترونها في هامبورغ . (يتجه نحو المكتب ، ويصب لنفسه كأس شمپانيا ويشرب . لا تكف نشوته ـ الخفيفة لكن الظاهرة ـ عن الازدياد حتى نهاية الفصل) أما بخصوص الحقائب ، فإنك تحسنين عملاً على كل حال ، إذا انتظرت قليلاً ، لأنني أتساءل ، كما ترين ، ما إذا كنت سأتركهم يفعلون بي ذلك . (بقوة) عندي المصنع ، وسأحتفظ به ، وسيرون ما أساوي . (يذهب ليجلس في مكتبه ، بصوت هادئ ، وحاقد ، وبشيء من العظمة) والآن ، اتركيني : يجب أن أفكر .

جوهانا : (متباطئة ، بصوت بارد مطمئن) ليس الشأن شأن المصنع ، فلا أحد ينازعك عليه .

ورنر : لا أحد ، باستثناء أبي وابنه البكر .

جوهانا : لن يوجه فرانتز الورش .

ورنر : لأنه؟

جوهانا : لا يريد .

ورنر : لا يريد أم لأنه لا يستطيع؟

جوهانا : (رغماً عنها) الاثنان معاً . (فترة) والأب يعرف ذلك .

ورنر : ماذا إذاً؟

جوهانا : إذاً ، إنه يريد أن يرى فرانتز قبل أن يموت .

ورنر : (وقد عادت إليه الطمأنينة قليلاً ، ولكن بارتياب) هذا مريب !

جوهانا : مريب جداً ، لكنه لا يتعلق بك .

(ينهض ورنر ويتجه نحوها حتى يقاربها . ينظر إليها في عينيها ، فتقاوم نظرته) .

ورنر : أصدقك . (يشرب . تشيح جوهانا بوجهها مغيظة) عاجز ! (يضحك) وبالإضافة إلى ذلك ، سخيف العقل . يوم الأحد ، كان الأب يتكلم عن الشحم الخبيث .

جوهانا : (بحدة) ليس لفرانتز إلاّ الجلد على العظام .

ورنر : نعم ، مع كرش صغير كسائر السجناء . (ينظر إلى نفسه في المرآة ، ويحدب نصفه الأعلى ، بلا وعي تقريباً) . عاجز . رث ، نصف مجنون . (يستدير نحو جوهانا) أرأيته . . غالباً؟

جوهانا : يومياً .

ورنر : أتساءل عمّا تجدينه لتقوليه لنفسك . (يمشي بثقة مستعادة) «لا أسرة بلا نفاية» . لقد نسيت من قال هذه الجملة . رهيبة ، لكن حقيقية ، أليس كذلك؟ كل ما هنالك أنني ، حتى الآن ، كنت أعتقد أنني أنا النفاية . (واضعاً يديه على كتفي جوهانا) شكراً ، يا زوجتي . لقد أنقذتني . (يذهب ليتناول كأسه ، فتمسكه) معك حق . لقد تناولت بما فيه الكفاية من الشمپانيا ! (يكنس الكأسين بيده ، فتسقطان وتتحطمان) لتحمل إليه الزجاجات من طرفي . (يضحك) أما أنت ، فلن تريه بعد الآن . إنني أحرم رؤيته عليك .

جوهانا : (لا تزال جامدة) حسناً . خذني من هنا .

ورنر : أقـول لـك إنك خلصـتني . كنت أتصـور أفكاراً ، أتفهمين؟ ولكن من الآن فصاعداً ، سيسير كل شيء على ما يرام .

جوهانا : ليس بالنسبة إليّ .

ورنر : لا؟ (ينظر إليها ، يتغيّر وجهه ، وتحدودب كتفاه قليلاً) حتى ولو أقسمت لك أنني سأبدّل جلدي وأنني سأعيدهم جميعاً إلى صوابهم؟

جوهانا : حتى . . .

ورنر : (متفاجئاً) قد فعلت الحب ! (ضحكة جافة) قولي ذلك ، لن ألومك . كان عليه فقط أن يصفر ، كما يبدو ، فتسقط النساء على ظهورهن . (ينظر إليها باستياء) لقد طرحت عليك سؤالاً .

جوهانا : (بقسوة شديدة) لن أسامحك إذا أرغمتني على الجواب .

ورنر : أجيبي ولا تسامحي .

جوهانا : كلاّ .

ورنر : لا تفعلين الحب؟ حسن ! ولكنك تموتين رغبة في فعله .

جوهانا : (دون غضب ولكن بنوع من الحقد) أنت حقير .

ورنر : (باسماً وشريراً) إنني من آل غيرلاتش . أجيبي .

جوهانا : كلاّ .

ورنر : إذاً ، ما الذي تخافينه؟

جوهانا : (لا تزال جامدة) قبلك ، اجتذبني الجنون والموت . وهذا يعاودني ثانية ، هناك في الأعلى . وأنا لا أريد ذلك . (فترة) إنني أؤمن بسراطينه أكثر منه .

ورنر : لأنك تحبينه .

جوهانا : لأنها حقيقة . المجانين يقولون الحقيقة ، يا ورنر .

ورنر : حقاً ! أية حقيقة؟

جوهانا : ليس هناك إلاّ حقيقة واحدة : قرف الحياة . (تستعيد حرارتها من جديد) لا أريد ! لا أريد ! أفضل أن أكذب على نفسي . إذا كنت تحبني ، أنقذني . (مشيرة إلى السقف) إن هذا الغطاء يسحقني . خذني إلى مدينة يكون كل شيء فيها للجميع ، وحيث يكذب الجميع على أنفسهم . مع الريح . الريح التي تأتي من بعيد . سنجد أنفسنا ثانية ، يا ورنر ، أقسم لك .

ورنر : (بعنف وحشي مفاجئ) نجد أنفسنا ثانية؟ ها ! وكيف أكون قد فقدتك ، يا جوهانا؟ إنني لم أحصل عليك أبداً . دعكِ من هذا . لم أكن أدري ما أفعل بحنانك . لقد غششتني في البضاعة ! كنت أريد امرأة ، فلم أملك إلاّ جثتها . لا يهمني إن أصبحت مجنونة ، فسوف نبقى هنا ! (يقلّدها) «احمني ! أنقذني !» . كيف؟ بالهرب من ميدان المعركة؟ (يسيطر على نفسه . ابتسامة خبيثة وباردة) لقد فقدت أعصابي منذ لحظات . اعذريني . ستفعلين كل شيء لتظلي زوجة شريفة . إنه دور حياتك . ولكن كل اللذة

ستكون لك . (فترة) إلى أي حد يجب الذهاب كي تنسي أخي؟ وإلى أي مـــدى يجب أن نهـــرب؟ قطارات ، وطائرات ، ومراكب ! كم من قصص وكم من تعب ! ستنظرين إلى كل شيء بهاتين العينين الفارغتين : متشائمة ترفاً ، هذا لن يغيّرك أبداً . وأنا؟ هل تساءلت عما سأفكر به في أثناء ذلك؟ بأنني اعترفت بهزيمتي مقدماً ، وبأنني هربت دون أن أرفع أصبعاً . جبان ، أليس كذلك؟ جبان : هكذا تحبينني . وستستطيعين تعزيتي . والديّاً . (بقوة) سنبقى هنا ! إلى أن يموت واحد من ثلاثتنا : أنت أو أخي أو أنا .

جوهانا : لكم تكرهني !

ورنر : سأحبك بعد أن أكسبك . وسوف أحارب ، كوني مطمئنة . (يضحك) وسأربح : أنتن لا تحببن إلاّ القوة ، أيتها النساء . والقوة ، إنما أنا الذي يملكها .

(يأخذها من خصرها ويقبّلها بوحشية ، تضربه بقبضتيها المطبقتين ، وتتملّص ، وتأخذ بالضحك) .

جوهانا : (مقهقهة) أواه ! ورنر ، هل تعتقد أنه يعض؟

ورنر : مَن؟ فرانتز؟

جوهانا : الجلف الذي تريد أن تشبهه . (فترة) إذا بقينا ، فسأذهب إلى غرفة أخيك يومياً .

ورنر : أعتمد على ذلك كل الاعتماد . وستمضين كل الليالي في سريري . (يضحك) وستنعقد المقارنات من نفسها .

جوهانا : (ببطء وحزن) مسكين أنت يا ورنر!

(تتجه نحو الباب)

ورنر : (وقد أعيته الحيلة فجأة) إلى أين أنت ذاهبة؟

جوهانا : (بضحكة ماكرة) ذاهبة لأُقارن .

(تفتح الباب وتخرج دون أن يحرّك ساكناً ليمسكها) .

الستار

نهاية الفصل الثالث

الفصل الرابع

(غرفة فرانتز . ديكور الفصل الثاني نفسه . لكن جميع اليافطات اختفت . ولم يعد هناك وجود لأصداف المحار على الأرض . على الطاولة مصباح مكتب . صورة هتلر وحدها على الحائط) .

المشهد الأول

فرانتز

فرانتز : (بمفرده) يا سكان السقوف المقنعين ، انتبهوا ! يا سكان السقوف المقنعين ، انتبهوا ! (صمت . يستدير نحو السقف) هيه؟ (من بين أسنانه) إنني لا أشعر بها . (بشدة) يا رفاق ! يا رفاق ! ألمانيا تكلمكم ، ألمانيا الشهيدة ! (فترة . خائباً) هذا الجمهور متجمّد الإحساس . (ينهض ويمشي) شعور مثير لكن لا يمكن التأكد منه . في هذا المساء ، سيتوقف التاريخ . توقف ! إن تفجير الكرة الأرضية مسجل في البرنامج ، وأيدي العلماء على الزر ، الوداع ! (فترة) ومع ذلك أحب لو أعرف ماذا سيحدث للجنس البشري إذا ما ظل على قيد الحياة . (مغيظاً ، عنيفاً تقريباً) إنني أفسق لأعجبهم وهم حتى لا ينصتون . (بحرارة) مستمعيَّ الأعزاء ، أتوسل إليكم ، إذا امتنعتم عن الإصغاء إلي ، إذا ضلّلكم شهود

الزور . . . (فجأة) انتظروا! (يبحث في جيبه) إنني أمسك بالمذنب . (يخرج ساعة يد وهو يمسكها من طرف جلدتها ، بتقزّز) لقد أهدوا إليّ هذا الحيوان ، وارتكبت خطيئة قبوله . (يضعها في معصمه) خمس عشرة دقيقة! ست عشرة الآن . (في غضب) كيف أحتفظ بصبري الأزلي ، إذا كانوا يزعجونني بوخزات دبوس؟ كل شيء سينتهي إلى أسوإ حال . (فترة) لن أفتح : الأمر بسيط . سأتركها ساعتين كاملتين على السلّم .

(يقرع الباب ثلاث مرات ، يسرع ليفتح)

المشهد الثاني

فرانتز - جوهانا

فرانتز : (متراجعاً ليترك جوهانا تدخل) سبع عشرة ! (يشير بأصبعه إلى ساعد اليد) .

جوهانا : عفواً؟

فرانتز : (بصوت الساعة الناطقة) الساعة الرابعة والدقيقة السابعة عشرة والثانية والثلاثون . هل جئتني بصورة أخي؟ (فترة) حسن .

جوهانا : (رغماً عنها) نعم .

فرانتز : أرينيها .

جوهانا : (اللهجة نفسها) ماذا ستفعل بها؟

فرانتز : (ضحكة وقحة) وماذا يفعل المرء بصورة؟

جوهانا : (بعد تردد) ها هي .

فرانتز : (ناظراً إليها) حسناً ، ما كنت لأتعرّفه . ولكنه رياضي ! تهانئي ! (يضع الصورة في جيبه) وكيف حال أيتامنا؟

جوهانا : (بحيرة) أي أيتام؟

فرانتز : هيا ! أيتام دوسيلدورف .

جوهانا : آه . . . (فجأة) لقد ماتوا .

فرانتز : (للسقف) أيتها السراطين ، كانوا سبعمائة . سبعمائة غلام مسكين متشرد . . . (يتوقف) صديقتي العزيزة ، لا يهمني أمر هؤلاء الأيتام . ليدفنوا بأسرع وقت ممكن ! تخلّص جيد . (فترة) انظري ! انظري إلى ما

أصبحته بخطيئتك : ألماني سيّئ .

جوهانا : بخطيئتي؟

فرانتز : كان يجب أن أعرف أنها ستوقع الاختلال في كل شيء . لقد اقتضاني طرد الزمن من هذه الغرفة خمس سنوات ، ولم تحتاجي لتعيديه إليها إلاّ للحظة . (يشير إلى الساعة) إن هذا الحيوان الرقيق الذي يدب حول معصمي ، والذي أدسه في جيبي عندما أسمع ليني تدق ، هو الزمن الكوني ، زمن الساعة الناطقة ، للأدلاّء ومراكز المراقبة . ولكن ماذا تريدين أن أفعل بها؟ هل أنا كوني؟ (ناظراً إلى الساعة) إنني أجد هذه الهدية مشبوهة .

جوهانا : حسناً ، أعدها إلي !

فرانتز : مطلقاً ! إنني أحتفظ بها . كل ما هنالك أنني أتساءل لماذا أهديتها إلي؟

جوهانا : لأنني ما زلت أحيا ، بقدر ما أنت تحيا .

فرانتز : ما هي الحياة؟ أن أنتظرك؟ ما كنت أنتظر شيئاً قبل ألف عام . إن هذا المصباح لا ينطفئ . وليني تأتي متى تشاء . كنت أنام عند الفجر ، عندما يغلبني النعاس . وبكلمة واحدة : لم أكن أعرف الساعة أبداً . (بغضب) والآن ، إنه تدافع النُّهُر والليالي . (نظرة خاطفة إلى الساعة) الرابعة وخمس وعشرون دقيقة : الظل يمتد ، والنهار يذبل . إنني أكره فترات بعد الظهر . عندما سترحلين ، سيكون الليل قد خيّم :

هنا، في وضح النور! وسيتملّكني الخوف. (فجأة) أولئك الصغار المساكين، متى سيدفنون؟

جوهانا : الاثنين، على ما أعتقد.

فرانتز : لا بد لدفنهم من مصلّى مكشوف تحت السماء، بين أنقاض الكنيسة. سبعمائة تابوت صغير يسهر عليها جمهور في الأسمال! (ينظر إليها) لم تتخضبي؟

جوهانا : كما ترى.

فرانتز : هل نسيتِ؟

جوهانا : كلاّ. لم أكن عازمة على المجيء.

فرانتز : (عنيفاً) ماذا؟

جوهانا : إنه نهار ورنر. (فترة) حسناً. نعم: السبت.

فرانتز : ما حاجته إلى نهار، ما دمتِ له الليالي كلها. السبت؟ آه، نعم: الأسبوع الإنكليزي. (فترة) والأحد أيضاً، بالطبع!

جوهانا : بالطبع.

فرانتز : إذا كنت أفهمك، فنحن الآن في يوم سبت. آه، يا سيدتي، إن الساعة لا تقول ذلك. يجب أن تقدمي لي رزنامة. (يقهقه قليلاً، ثم فجأة) يومان بدونك؟ هذا مستحيل!

جوهانا : هل تظن أنني سأحرم زوجي من اللحظات القليلة التي يمكننا أن نعيشها معاً؟

فرانتز : لمَ لا؟ (تضحك دون أن تجيبه) له حقوق عليك؟ إنني آسف، ولكن لي حقوق، أنا أيضاً.

جوهانا : (بنوع من العنف) أنت؟ ولا حق . أي حق !

فرانتز : هل أنا الذي سعيت إليك؟ (صارخاً) متى ستفهمين أن هذه الانتظارات السخيفة تلهيني عن وظيفتي؟ إن السراطين مضطربة ، مرتابة ، وشهود الزور ينتصرون . (كإهانة) دليلة !

جوهانا : (منفجرة في ضحكة خبيثة) الله ! (تذهب نحوه وتنظر إليه بوقاحة) وها هو شمشون؟ (مغرقة في الضحك) شمشون ! شمشون ! (تكف عن الضحك) كنت أتصوره على غير هذا الشكل .

فرانتز : (برهبة) إنه أنا . إنني أحمل العصور : إذا ما انتصبت ، انهارت . (فترة . بصوت طبيعي ، وسخرية مريرة) على كل حال ، كان رجلاً مسكيناً ، أنا مقتنع بذلك . (يمشي عبر الغرفة) يا للتبعية ! (صمت . يجلس) سيدتي ، أنت تزعجينني . (فترة)

جوهانا : لن أزعجك بعد الآن .

فرانتز : ماذا فعلت؟

جوهانا : قلت كل شيء لزوجي .

فرانتز : هكذا ! لماذا !؟

جوهانا : (بمرارة) إنني لأتساءل عن السبب .

فرانتز : وهل تقبّل الأمر؟

جوهانا : لقد استاء منه جداً .

فرانتز : (قلقاً وعصبياً) أيغادرنا؟ أيأخذك معه؟

جوهانا : إنه باقٍ هنا .

فرانتز : (وقد عاد إليه هدوؤه) كل شيء على ما يرام إذاً . (يفرك يديه) كل شيء على ما يرام تماماً .

جوهانا : (بسخرية مريرة) ولن يغفل عني نظرك ! ولكن ماذا ترى؟ (تقترب ، وتأخذ رأسه بين يديها وترغمه على النظر إليها) انظر إلي . نعم ، هكذا ، والآن ، أجرؤ على القول بأن كل شيء على ما يرام للغاية .

فرانتز : (ينظر إليها ويتملص) إنني أرى ، نعم ، إنني أرى ! ستندمين على هامبورغ . الحياة المنعّمة . إدارة البشر ورغباتهم . (هازاً كتفيه) هذا يخصك .

جوهانا : (حزينة وقاسية) لم يكن شمشون إلاّ رجلاً مسكيناً .

فرانتز : نعم ، نعم ، نعم . رجل مسكين .

(يأخذ بالمشي جانبياً)

جوهانا : ماذا تفعل؟

فرانتز : (بصوت متحجر وعميق) أفعل ما يفعله السرطان . (مذهولاً مما قاله) هيه ، ماذا؟ (عائداً نحو جوهانا ، بصوت طبيعي) لماذا أنا رجل مسكين؟

جوهانا : لأنك لا تفهم شيئاً . (فترة) سوف نتحمل عذاب جهنم .

فرانتز : مَن؟

جوهانا : ورنر ، وأنا ، وأنت . (صمت قصير) إنه باقٍ هنا غيرةً .

فرانتز : (مذهولاً) ماذا؟

جوهانا : غيرةً . هل هذا واضح؟ (فترة . تهز كتفيها) أنت لا تعرف حتى حقيقة الأمر . (يضحك فرانتز) سيرسلني

إليك يومياً ، حتى في يوم الأحد . إنه سيعذب نفسه عذاب الشهداء ، في الورشات ، في مكتبه الوزاري الكبير . وعند المساء ، سأدفع .

فرانتز : (وقد فوجئ حقاً) أسألك العفو ، يا صديقتي العزيزة ، ولكن ممَّ يغار؟ (تهز كتفيها . يخرج الصورة وينظر إليها) مني؟ هل قالت له ليني . . . ما صرت إليه؟

جوهانا : أنا التي قالته له .

فرانتز : طيب ، إذاً؟

جوهانا : إنه يغار .

فرانتز : هذا من فساد الأخلاق ! إنني مريض ، وربما مجنون . إنني أختبئ . لقد حطمتني الحرب ، يا سيدتي .

جوهانا : لم تحطم كبرياءك .

فرانتز : وهذا يكفي ليغار مني؟

جوهانا : نعم .

فرانتز : قولي له إن كبريائي حطام . قولي إنني أتبجح كي أدافع عن نفسي . إليك ، سأحط نفسي إلى أدنى حد . قولي لورنر إنني غائر في الأعماق .

جوهانا : منه؟

فرانتز : من حريته ، من عضلاته ، من ابتسامته ، من زوجته ، من ضميره المرتاح . (فترة) هيه؟ يا له من بلسم لأنانيته !

جوهانا : لن يصدقني .

فرانتز : هو الخاسر ! (فترة) وأنت؟

جوهانا : أنا؟

فرانتز : هل تصدقينني؟

جوهانا : (غير متأكدة، مغيظة) كلاّ .

فرانتز : سيدتي، لقد أفشيت بعض الأسرار . إنني مطلع، دقيقة دقيقة، على حياتك الخاصة .

جوهانا : (هازة كتفيها) ليني تكذب عليك .

فرانتز : ليني لا تتحدث عنك أبداً . (مشيراً إلى ساعته) هذه هي الثرثارة . إنها تروي كل شيء . ما إن تركتني، حتى أخذت تتكلم : الثامنة والنصف، عشاء الأسرة . العاشرة، كل ينسحب، خلوة مع زوجك . الحادية عشرة، التبرج الليلي، ورنر يرقد، تأخذين حماماً، منتصف الليل، تندسين في سريره .

جوهانا : (ضحكة وقحة) في سريره؟ (فترة) كلاّ .

فرانتز : سريران؟

جوهانا : نعم .

فرانتز : على أي منهما تفعلان الحب؟

جوهانا : (غاضبة، بوقاحة) أحياناً على واحد منهما، وأحياناً على الآخر .

فرانتز : (مزمجراً) هكذا إذاً! (ينظر إلى الصورة) ثمانون كيلو! لا بد أنه يسحقك، هذا الرياضي! أتحبين ذلك؟

جوهانا : إذا كنت قد اخترته، فلأنني أفضل الرياضيين على الهزيلين .

فرانتز : (ينظر إلى الصورة مزمجراً ثم يعيدها إلى جيبه) منذ ستين

ساعة لم أغمض عيني .

جوهانا : لماذا؟

فرانتز : لن تنامي معه في أثناء نومي !

جوهانا : (ضحكة جافة) لا بأس ، لا تنم مطلقاً !

فرانتز : هذا ما أنويه هذه الليلة ، عندما سيأخذك ، ستعلمين أنني ساهر .

جوهانا : (عنيفة) آسفة ، ولكني سأحرمك من هذه المسرات الانفرادية القذرة . نم هذه الليلة . ورنر لن يلمسني .

فرانتز : (خائباً) أواه !

جوهانا : هذا مخيب لأملك؟

فرانتز : كلاّ .

جوهانا : لن يلمسني ما دمنا هنا بخطيئته . (فترة) هل تعرف ماذا يتخيل؟ أنك أغريتني ! (مهينة) أنت ! (فترة) أنتما متشابهان !

فرانتز : (مشيراً إلى الصورة) ، كلاّ .

جوهانا : بلى . اثنان من آل غيرلاتش ، اثنان تجريديان ، أخوان مهووسان ! ومن أنا؟ لا شيء : آلة تعذيب . كل يبحث فيَّ عن مداعبات الآخر . (تقترب من فرانتز) انظر إلى هذا الجسد . (تأخذ يده وترغمه على أن يضعها على كتفها) في الماضي ، عندما كنت أعيش عند الرجال ، ما كانوا بحاجة إلى طقوس سوداء ليشتهوه . (تبتعد وتدفعه ، فترة ، فجأة) الأب يريد أن يكلمك .

فرانتز : (لهجة حيادية) آه !

جوهانا : إذا استقبلته ، فسيحل ورنر من يمينه .

فرانتز : (هادئاً وحيادياً) ثم؟ سترحلان من هنا؟

جوهانا : هذا لن يتعلق إلاّ بورنر .

فرانتز : (اللهجة نفسها) أتتمنين هذه المقابلة؟

جوهانا : نعم .

فرانتز : (اللهجة نفسها) أيجب أن أتخلى عن رؤيتك؟

جوهانا : بالطبع .

فرانتز : (اللهجة نفسها) إلام سأصير؟

جوهانا : ستعود إلى أبديتك .

فرانتز : لا بأس . (فترة) اذهبي وقولي للأب . .

جوهانا : (فجأة) لا !

فرانتز : كيف؟

جوهانا : (بعنف شديد) لا لن أقول له شيئاً .

فرانتز : (دون تأثر ، شاعراً بأنه ربح) يجب أن أعطيه جوابي .

جوهانا : (اللهجة نفسها) لا فائدة . لن أنقله إليه .

فرانتز : لماذا نقلت إلي طلبه إذاً؟

جوهانا : كان ذلك رغماً عني .

فرانتز : رغماً عنك؟

جوهانا : (ضحكة صغيرة ، نظرة مشحونة بالكراهية) تصور أنني كنت أرغب في قتلك .

فرانتز : (بلطف زائد) أواه ! أمنذ زمن بعيد؟

جوهانا : منذ خمس دقائق .

فرانتز : وقد انتهى الأمر الآن؟

جوهانا : (باسمة وهادئة) بقيت لي الرغبة في خدش خديك . (تخدش وجهه بيديها الاثنتين . يتركها تفعل) هكذا . (تسبل يديها وتبتعد) .

فرانتز : (بلطف أيضاً) خمس دقائق ! عندك حظ . أما أنا ، فإن رغبتي في قتلك تستمر طوال الليل .

(صمت . تجلس على الفراش وتنظر في الفراغ) .

جوهانا : (لنفسها) لن أرحل بعد الآن .

فرانتز : (الذي يرقبها) أبداً؟

جوهانا : (دون أن تنظر إليه) أبداً .

(تضحك ضحكة صغيرة تائهة ، وتفتح يديها وكأنها تترك شيئاً يفلت وتنظر إلى قدميها . يراقبها فرانتز ويبدل هيئته . إنه يعود مهووساً ومتكلفاً الوقار كما في الفصل الثاني) .

فرانتز : ابقي معي إذاً بكليّتك .

جوهانا : في هذه الغرفة؟

فرانتز : نعم .

جوهانا : ودون أن نخرج منها أبداً؟ (إشارة من فرانتز) الحجز؟

فرانتز : تماماً . (يتكلم وهو يمشي . تتبعه جوهانا بعينيها . كلما تكلم كلما تمالكت نفسها وتشنّجت . إنها تفهم أن فرانتز لا يحاول إلاّ حماية هذيانه) لقد عشت اثني عشر عاماً على سطح جليد فوق القمم . لقد ألقيت في الليل بالخرز الذي يدب كالنمل .

جوهانا : (مرتابة) أي خرز تعني؟

فرانتز : العالم ، يا سيدتي العزيزة ، العالم الذي تعيشين فيه . (فترة) إن بضاعة البغي هذه تبعث من جديد ، من قبلك . عندما تغادرينني تطوّقني لأنك في داخلها . أنت تسحقينني عند أقدام سويسرا الساكسونية ، إنني هائم في كوخ جليدي على ارتفاع خمسة أمتار من البحر . إن الماء يولد ثانية في المغطس حول جسدك . والآن ، «الألب» يجري ، يجري ، والعشب ينبت . إن المرأة لخائنة يا سيدتي .

جوهانا : (متجهمة وقاسية) إذا كنت أخون أحداً ، فليس بالتأكيد أنت .

فرانتز : بل أنا ! أنا أيضاً ، أيتها العميلة المزدوجة ! أنت ترين ، وتشمين ، وتفكرين ، عشرين ساعة من أصل أربع وعشرين ساعة ، تحت نعليّ مع سائر الآخرين . إنك تخضعينني لقوانين الابتذال . (فترة) إذا ما أغلقت عليك بالمفتاح ، فسيسود هدوء مطلق . سيعود العالم إلى الهاوية ، ولن تكوني إلاّ ما أنت (مشيراً إليها) هذا ! وستتق بي السراطين من جديد وسأكلمها .

جوهانا : (ساخرة) هل ستكلمني في بعض الأحيان؟

فرانتز : (مشيراً إلى السقف) سنكلمها معاً . (تنفجر جوهانا ضاحكة . ينظر إليها ، مرتبكاً) أترفضين؟

جوهانا : وماذا أرفض؟ أنت تحدثني عن كابوس ، وأنا أصغي إليك . هذا كل شيء .

فرانتز : لن تتركي ورنر؟

جوهانا : قلت لك لا .

فرانتز : إذاً ، اتركيني . هي ذي صورة زوجك . (يناولها إياها ، فتأخذها) أما الساعة ، فسوف تدخل الأبدية بعد أربع ثوان تماماً . (يفك الجلدة ، وينظر إلى الميناء) تك ! (يرميها أرضاً) من الآن فصاعداً ، ستكون الرابعة والنصف في كل ساعة . كذكرى منك ، يا سيدتي . الوداع . (يمضي نحو الباب ، ويرفع المزلاج ، ويزيح المرتاج . صمت طويل . ينحني ويريها الباب . تمشي حتى المدخل بطيئة ، وتسحب المزلاج ، وتسقط المرتاج . ثم تعود نحوه ، هادئة غير مبتسمة ، وبسلطة حقيقية) حسن ! (فترة) ماذا ستفعلين؟

جوهانا : ما أفعله منذ يوم الاثنين : المجيء والمغادرة . (تتحرك)

فرانتز : وإذا لم أفتح؟

جوهانا : (مطمئنة) ستفتح .

(ينحني فرانتز ، ويتناول الساعة عن الأرض ويرفعها إلى أذنه . يتبدل وجهه وصوته . إنه يتكلم بنوع من الحرارة . بدءاً من هذا الجواب يقوم بينهما تواطؤ حقيقي لفترة ما) .

فرانتز : لدينا حظ : إنها تسير . (ينظر إلى المينا) الرابعة والنصف ودقيقة . الأبدية زائد دقيقة . دوري ، دوري أيتها العقارب ، يجب أن نعيش . (لجوهانا) كيف؟

جوهانا : لست أدري .

فرانتز : سنكون ثلاثة مجانين ثائرين .

جوهانا : أربعة .

فرانتز : أربعة؟

جوهانا : إذا رفضت استقبال الأب فسوف يخبر ليني .

فرانتز : إنه لقادر على ذلك .

جوهانا : وماذا سيحدث؟

فرانتز : ليني لا تحب التعقيدات .

جوهانا : إذاً؟

فرانتز : ستبسّط الأمور .

جوهانا : (آخذة في يدها المسدس الموجود على طاولة فرانتز) بهذا؟

فرانتز : بهذا أو بغيره .

جوهانا : في مثل هذه الحالة ، النساء تطلق على النساء .

فرانتز : ليني ليست إلاّ نصف امرأة .

جوهانا : أيزعجك أن تموت؟

فرانتز : بصراحة ، نعم . (إشارة إلى السقف) لم أجد الكلمات التي يستطيعون أن يفهموها . وأنت؟

جوهانا : لا أحب أن يبقى ورنر وحيداً .

فرانتز : (ضحكة قصيرة ، مستنتجاً) لا نستطيع أن نموت ، ولا أن نحيا .

جوهانا : (اللهجة نفسها) ولا أن نرى بعضنا ، ولا أن يهجر أحدنا الآخر .

فرانتز : إننا أسرى إلى حد مضحك . (يجلس)

جوهانا : مضحك !

(تجلس على السرير . صمت . يدير فرانتز ظهره لجوهانا ويحك صدفتين إحداهما بالأخرى)

فرانتز : لا بد أن يكون هناك مخرج ما .

جوهانا : لا يوجد .

فرانتز : لا بد أن يكون موجوداً ! (يحك صدفتيه بعنف جنوني ويائس) إيه ، ماذا؟

جوهانا : دع أصدافك . هذا لا يحتمل .

فرانتز : اصمتي ! (يرمي الصدفتين على صورة هتلر) انظري إلى الجهد الذي أبذله . (يستدير نصف دورة نحوها ويريها يديه المرتجفتين) أتعرفين ما يخيفني؟

جوهانا : أهو المخرج؟ (إشارة تأكيد من فرانتز ، وهو لا يزال متشنجاً) ما هو؟

فرانتز : رويداً . (ينهض ويمشي في اضطراب) لا تتعجليني . جميع الطرق مسدودة ، حتى أقلها سوءاً . ليس هناك إلاّ طريق واحد لا يسد أبداً ، باعتبار أنه ممتنع عن الاستعمال : الطريق الأسوأ . سنسير فيه .

جوهانا : (صارخة) لا !

فرانتز : أنت ترين جيداً أنك تعرفين المخرج .

جوهانا : (بحماسة) لقد كنا سعيدين .

فرانتز : سعيدين في جهنم؟

جوهانا : (تتابع ، بحماسة) سعيدين في جهنم ، نعم ، رغماً عنك ، رغماً عني . أرجوك ، أتوسّل إليك ، لنبق على ما نحن . لننتظر دون كلمة ، دون حركة . (تمسكه من ذراعيه) دون تبدّل .

فرانتز : الآخرون يبدلون ، يا جوهانا ، الآخرون سيبدلوننا . (فترة) هل تعتقدين أن ليني ستتركنا نعيش؟

جوهانا : (بعنف) ليني ، أنا أتكفّل بها . إذا كان لا بد من إطلاق النار ، فسأطلق قبلها .

فرانتز : لنترك ليني جانباً . ها نحن وحيدان ووجهاً لوجه : ماذا سيحدث؟

جوهانا : (بالحماسة نفسها) لن يحدث شيء ! لن يتبدّل شيء ! سنكون . . .

فرانتز : سيحدث أنك ستسحقينني .

جوهانا : (اللهجة نفسها) أبداً !

فرانتز : ستهدمينني ببطء ، بيقين ، بمجرد حضورك . لقد تهدم جنوني من الآن . إنه ملجئي يا جوهانا ! ماذا سيحدث لي عندما أرى النهار؟

جوهانا : (اللهجة نفسها) ستُشفى .

فرانتز : (غضب قليل) ها ! (فترة . ضحكة قاسية) سأكون مدلّلاً .

جوهانا : لن أؤذيك أبداً . إنني لا أفكر بأن أشفيك . إن جنونك قفصي . إنني أدور فيه دون جدوى .

فرانتز : (بحنان حزين مرير) تدورين ، يا سنجابي الصغير؟ إن للسناجب أسناناً قوية . ستقرضين القضبان .

جوهانا : غير صحيح ! بل إنني لا أرغب في ذلك . إنني أنحني أمام كل نزواتك .

فرانتز : في هذا ، نعم . لكن هذا يولّي بسرعة . إن أكاذيبك اعترافات .

جوهانا : (متشنجة) إنني لا أكذب عليك أبداً !

فرانتز : أنت لا تفعلين إلاّ ذلك ، بسخاء ، بعفة ، كجندي

شاب شجاع . كل ما هنالك أنك لا تحسنين الكذب مطلقاً . لكي يحسن المرء الكذب ، كما ترين ، لا بد أن يكون هو نفسه أكذوبة : وهذه هي حالتي . أمّا أنت فحقيقية . عندما أنظر إليك ، أعرف أن الحقيقة موجودة وأنها ليست من جانبي . (ضاحكاً) إذا كان هناك أيتام في دوسيلدورف ، فأنا أراهن ، على أنهم بدينون كالسمانى !

جوهانا : (بصوت آلي عنيد) لقد ماتوا ! ماتت ألمانيا !

فرانتز : (بوحشية) اسكتي ! (فترة) ماذا؟ أتعرفينه الآن . . . الطريق الأسوأ؟ أنت تفتحين عينيَّ لأنك تحاولين أن تغلقيهما ، وأنا ، الذي يفسد لعبتك في كل مرة ، أتواطأ معك لأنني . . . لأنني أتشبث بك .

جوهانا : (وقد تمالكت نفسها قليلاً) إذاً كل منّا يفعل عكس ما يريد؟

فرانتز : تماماً .

جوهانا : (بصوت متعجرف وخشن) لا بأس ، ما هو المخرج؟

فرانتز : أن يريد كل منا ما هو مجبر على القيام به .

جوهانا : يجب أن أتمنى هدمك .

فرانتز : يجب أن نساعد بعضنا على إرادة الحقيقة .

جوهانا : (اللهجة نفسها) لن تريدها أبداً . أنت مزوَّر حتى عظامك .

فرانتز : (بجفاء وتردد) أجل ! يا عزيزتي ، كان لا بد لي من الدفاع عن نفسي . (فترة . بحرارة أكثر) إنني سأتخلى

فوراً عن أوهام الوحي، عندما . . .

جوهانا : عندما؟

فرانتز : عندما أحبك أكثر مما أحب أكاذيبي . عندما تحبينني رغم حقيقتي .

جوهانا : (بسخرية) ألك حقيقة؟ أية حقيقة؟ تلك التي تزعمها للسراطين؟

فرانتز : (واثباً إليها) أية سراطين؟ أأنت مجنونة؟ أية سراطين؟ (فترة، يستدير) آه! نعم . حسناً، نعم . . . (دفعة واحدة، فجأة) إن السراطين بشر . (فترة) إيه، ماذا؟ (يجلس) أين بحثت عن هذا؟ (فترة) كنت أعرف ذلك . . . سابقاً . . . نعم، نعم، نعم . ولكن همومي كثيرة . (فترة، بلهجة جادّة) بشر حقيقيون، طيبون ووسماء، على كل شرفات العصور . أما أنا، فكنت أزحف في المحكمة . كنت أظن أنني أسمعهم : «يا أخ، ما هذا؟» . وهذا، كان أنا . . . (ينهض . تحية عسكرية . وقفة استعداد، بصوت جهوري) أنا، السرطان . (يستدير نحو جوهانا التي تنظر إليه ويكلمها بمودّة) حسناً، قد قلت لا : إن البشر لن يحكموا على زمني . ومَن سيكونون، بعد كل شيء؟ أبناء أبنائنا . . أحفادنا . وهل يسمح للأطفال بأن يحكموا على أجدادهم؟ لقد قلبت الموقف . وهتفت : «هوذا الإنسان، بعدي، الطوفان . بعد الطوفان، السراطين، أنتم» . لقد كشفت أقنعتهم، جميعاً! وكانت الشرفات تقرقر

بالمفصليات . (بألفة) أنت لا تجهلين أن الجنس البشري قد انطلق من أساس خاطئ . وقد زدت في نحسه الأسطوري بتسليم جثته لمحكمة القشريات . (فترة . يمشي جانبياً ، ببطء) حسن . إذاً ، سيكونون بشراً . (يضحك بهدوء ، وقد بدا عليه الضياع ، ويتقهقر إلى الوراء نحو صورة هتلر) بشراً ، أترين هذا ! (غاضباً فجأة) جوهانا ، إنني أنكر كفاءتهم ، وأنتزع منهم هذه القضية وأعطيكها . احكمي عليَّ .

جوهانا : (باستسلام أكثر منها متفاجئة) أحكم عليك؟

فرانتز : (صارخاً) أأنت صماء؟ (يحل العنف محل الدهشة القلقة) إيه ، ماذا؟ (يتمالك نفسه . ضحكة جافة ، شبه متغطرسة ، لكن كئيبة) ستحكمين علي ، بإيماني ، ستحكمين علي .

جوهانا : بالأمس ، فقط ، كنت الشاهد . شاهد الإنسان !

فرانتز : الأمس ، أمس . (يمرّر يده على جبينه) شاهد الإنسان (ضاحكاً) ومن تريدين أن يكون؟ كفى ، يا سيدتي ، إنه الإنسان . إن الطفل يستطيع أن يحزر ذلك . المتهم يشهد من أجل نفسه . وأنا أعترف أن هناك حلقة مفرغة . (بخيلاء كئيبة) إنني الإنسان ، يا جوهانا . أنا كل إنسان وكل الإنسان ، إنني القرن . (تواضع ساخر مفاجئ) كأي كان .

جوهانا : في مثل هذه الحال ، فإنني سأحاكم شخصاً آخر .

فرانتز : مَن؟

جوهانا : أيّاً يكن .

فرانتز : المتهم يَعدُ بأن يكون مثالياً . كان عليّ أن أكون شاهد نفي ، لكنني سأكون شاهد إثبات إذا أردتِ . (فترة) بالطبع ، أنت حرة . لكن إذا تركتني دون أن تسمعيني ، وخوفاً من أن تعرفيني ، فستكونين قد أصدرت الحكم ، شئتِ أم أبيتِ . قرّري . (فترة . يشير إلى السقف) إنني أقول لهم ما يدور في رأسي . لكن لا جواب أبداً . إنني أروي لهم نوادر ، وقصصاً مضحكة أيضاً . لكني ما زلت أتساءل ما إذا كانوا يبتلعونها أو يحفظونها ضدي . إن فوق رأسي هرماً من الصمت وألف سنة خرساء : هذا يقتلني . وإذا كانوا يجهلونني؟ إذا كانوا قد نسوني؟ إلام سأصير ، أنا ، بدون محكمة؟ يا للاحتقار ! «تستطيع أن تفعل ما تشاء ، فنحن لا نبالي !» إذاً؟ ألا قيمة لي؟ إن حياة بلا جزاء ، تشربها الأرض . كان هذا العهد القديم . وهوذا الجديد . ستكونين المستقبل والحاضر ، العالم ونفسي . خارجاً عنك ، لا وجود لشيء . ستنسينني العصور ، فأعيش . ستصغين إلي ، وسأفاجئ نظراتك ، وسأسمعك تجيبينني . وذات يوم ، من الممكن ، بعد سنوات ، ستعترفين ببراءتي وسأعرف ذلك . يا له من عيد رائع الأجراس . ستكونين عندي كل شيء وكل شيء سيبرئ ساحتي . (فترة) . جوهانا ! هل هذا جائز؟

(صمت)

جوهانا : نعم .

فرانتز : أما زلت تستطيعين أن تحبيني؟

جوهانا : (ابتسامة حزينة وبإخلاص عميق) لسوء طالعي .

(ينهض فرانتز . يبدو عليه الخلاص ، شبه سعيد ، يتجه نحو جوهانا ويأخذها بين ذراعيه)

فرانتز : لن أكون بعد الآن وحيداً أبداً . . . (يهمّ بتقبيلها ، لكنه ، فجأة ، يبتعد ويعود إلى وجهه المتشنّج القاسي . تنظر إليه جوهانا ، وتفهم أنه عاد إلى وحدته وتتشنّج بدورها . بسخرية خبيثة لكنها لا تنال إلاّ منه) أسألك الصفح ، يا جوهانا ، فقد فات الأوان قليلاً لأرشو القاضي الذي اخترته لنفسي .

جوهانا : لست قاضيك . إن من نحبهم لا نحكم عليهم .

فرانتز : وإذا توقّفت عن حبي؟ ألن يكون هذا هو الحكم؟ والحكم الأخير؟

جوهانا : كيف أستطيع ذلك؟

فرانتز : بأن تعرفي من أنا .

جوهانا : إنني عارفة من أنت .

فرانتز : (فاركاً يديه وقد بدت عليه المسرّة) أواه ! كلاّ . أبداً ! مطلقاً ! (فترة . يبدو وكأنه جُنَّ تماماً) سيأتي يوم ، يشبه سائر الأيام ، فأتحدث فيه عن نفسي ، وستصغين إلي ، وفجأة ، سينهار الحب ! ستنظرين إليَّ بخوف ، وسأشعر كأنني أعود . . . (ينبطح على أطرافه الأربعة ويمشي جانبياً) . . . . سرطاناً !

جوهانا : (ناظرة إليه بخوف) قف !

فرانتز : (على أطرافه الأربعة) تنظرين إليَّ بهاتين العينين ! هاتين العينين بالتحديد ! (ينهض بخفة) قد حكمتِ ، أليس كذلك؟ حكمتِ دون شفقة ! (بصوت متبدل ، احتفالي ومتفائل) بالطبع ، من الممكن أيضاً أن أشفى .

جوهانا : (باحتقار وتوتر) لست واثقة أنك تتمنى ذلك .

فرانتز : سيدتي ، إنني أتمنى أن أنتهي من الأمر ، بهذا الشكل أو ذاك . (فترة) .

جوهانا : لقد ربحت ، مرحى ! إذا رحلت ، أكون قد حكمت عليك ، وإذا بقيت ، أقحمتَ الشك بيننا . إنه يلمع من الآن في عينيك . حسناً ، لنتبع البرنامج : لنسهر على أن نحط من أنفسنا معاً ، ولنذل أنفسنا بعناية ، وليذل كل منا الآخر . سنجعل من حبنا أداة تعذيب . وسنشرب ، أليس كذلك؟ ستعود إلى الشمپانيا ، أما أنا ، فكان الوسكي ، وسآتي بشيء منه . لكل زجاجته ، أمام الآخر وبمفرده . (بابتسامة خبيثة) هل تعرف ما سنكون ، يا شاهد الإنسان؟ زوجين كسائر الأزواج ! (تصب لنفسها الشمپانيا وترفع الكأس) اشرب نخبنا ! (تشرب دفعة واحدة وتقذف بالكأس صورة هتلر . تتحطم الكأس عند اصطدامها بالصورة . تذهب جوهانا لتسحب مقعداً من فوق كتلة الأثاث المحطم ، وتنصبه ، وتجلس) إذاً؟

فرانتز : (مرتبكاً) جوهانا . . . هل . . . .

جوهانا : أنا التي تسأل . إذاً؟ ماذا تريد أن تقول؟

فرانتز : لم تفهميني . لو لم يكن هناك غيرنا لأقسمت لك . .

جوهانا : ومَن هناك غيرنا؟

فرانتز : (بصعوبة) ليني ، أختي . إذا كنت قد قررت أن أتكلم ، فهذا كي ننقذ أنفسنا منها . سأقول . . . ما سأقوله ، دون أن أوفر نفسي ، لكن شيئاً فشيئاً . وقد يستمر هذا أشهراً ، بل سنين ، لا يهم ! إنني لا أطلب إلاّ ثقتك ، وستكون لك ثقتي ، إذا وعدتني بألاّ تصدقي أحداً غيري .

جوهانا : (تنظر إليه ملياً . ثم بعذوبة) حسن . لن أصدق أحداً غيرك .

فرانتز : (بشيء من الوقار ، ولكن بصدق) ما دمت محافظة على هذا الوعد ، فلن تكون لليني أية سلطة عليك . (يذهب ليجلس) لقد خفت . كنت بين ذراعي ، كنت أشتهيك ، وكدت أعيش . . . وفجأة ، رأيت أختي وقلت في نفسي : ستحطمنا . (يخرج منديلاً من جيبه ويجفف جبينه) أف ! (بصوت عذب) إنه الصيف ! أليس كذلك؟ لا بد أن الطقس حار . (فترة . نظرته إلى الفراغ) هل تعرفين أنه جعل مني آلة مهولة جداً؟

جوهانا : مَن؟ الأب؟

فرانتز : (اللهجة نفسها) نعم . آلة تأمر . (ضحكة صغيرة) صيف آخر ! ولا تزال تدور على لا شيء ، كما هي الحال على الدوام . (ينهض) سأقصّ عليك قصة حياتي . ولكن لا تتوقعي نذالات كبيرة . أواه ، كلاّ : بل ليس هذا . هل تعرفين ما ألوم عليه نفسي : إنني لم أفعل شيئاً من ذلك . (يخفت الضوء ببطء) لا شيء ! لا شيء أبداً !

المشهد الثالث

فرانتز - جوهانا - امرأة

صوت امرأة : (بلطف) أيها الجندي !

جوهانا : (دون أن تسمع المرأة) لقد خضت الحرب .

فرانتز : أتشكين في ذلك . . .

(يأخذ المسرح بالتعتيم)

صوت امرأة : (أقوى) يا جندي !

فرانتز : (منتصباً في مقدمة المسرح . لا يُشاهد غيره . جوهانا ، الجالسة على المقعد ، تختفي في الظل) . إن الحرب لا تخاض بل هي التي تخوضنا . كنت ، طيلة وقت القتال ، ألهو كثيراً ، فقد كنت مدنيّاً في زيّ عسكري . وذات ليلة ، أصبحت جنديّاً للأبد . (يتناول من خلفه ، على الطاولة ، قبعة ضابط ، ويضعها على رأسه في حركة مفاجئة) إنسان مغلوب مسكين ، عاجز . كنت عائداً من روسيا ، مجتازاً ألمانيا متخفّياً ، ودخلت إلى قرية مهدمة .

المرأة : (دون أن تظهر ، وبصوت أعلى) يا جندي !

فرانتز : ما الأمر؟ (يستدير فجأة . يحمل بيده اليسرى مصباحاً كهربائياً . بيده اليمنى ، يخرج مسدسه من قرابه . المصباح الكهربائي غير مضاء) مَن يناديني؟

المرأة : فتش جيداً .

فرانتز : كم أنتم؟

المرأة : في ارتفاع قامتك ، لا أحد . وعلى الأرض ، أنا .

(يضيء فرانتز مصباحه موجهاً ضوءه إلى الأرض . امرأة سوداء مستندة إلى الحائط ، نصف ممددة على الأرض) أطفئ النور ، إنه يبهر عينيَّ . (يطفئ فرانتز المصباح . يظل هناك ضوء منتشر يغلفهما ويجعلهما منظورين) ها ! ها ! أطلق ! أطلق إذاً ! أنهِ حربك باغتيالك ألمانية !

(يتبيّن فرانتز أنه قد صوّب مسدسه ، دون انتباه ، إلى المرأة . يعيده إلى جيبه باشمئزاز) .

فرانتز : ماذا تصنعين هنا؟

المرأة : كما ترى . إنني عند أسفل الجدار . إنه جداري . أمتن جدار في القرية ، الوحيد الذي ثبت في الحرب .

فرانتز : تعالي معي .

المرأة : أشعل مصباحك . (يشعله ، فتضيء الحزمة الضوئية الأرض . ويتكشف الظلام عن غطاء يلف المرأة من رأسها إلى أخمص قدميها) انظر . (ترفع الغطاء قليلاً . يوجّه المصباح نحو ما أظهرته له والذي لا يراه الجمهور . ثم ، في زمجرة مفاجئة ، يطفئه) نعم ، كانتا ساقيّ .

فرانتز : ماذا أستطيع أن أفعل لك؟

المرأة : أن تجلس دقيقة . (يجلس قربها) لقد وضعت عند أسفل الجدار جندياً من جنودنا ! (فترة) لم أكن أطلب أكثر من ذلك . (فترة) كنت آمل أن يكون أخي ، لكنه قُتل في نورماندیا . لا بأس ، ستحل محله . كنت

سأقول له : «انظر ! (مشيرة إلى أنقاض القرية) إنه عملك» .

فرانتز : عمله !

المرأة : (مستديرة نحو فرانتز) وعملك يا صغيري !

فرانتز : لماذا؟

المرأة : (ببداهة) لقد رضيت بأن تحارب .

فرانتز : لا تتفوهي بالحماقات . (ينهض فجأة ، مواجهاً المرأة . تصطدم نظرته بإعلان ، لم يكن ظاهراً حتى الآن ، يضيئه نور كاشف . إنه ملصق على الجدار ، على ارتفاع متر وخمسة وسبعين سنتمتراً من الأرض ، إلى يمين المرأة : «المجرمون ، أنتم!») هذا الإعلان أيضاً ! إنهم يلصقونه إذاً في كل مكان ! (يذهب ليمزقه) .

المرأة : (رأسها مقلوب إلى الوراء ، ناظرة إليه) دعه ! دعه ، أقول لك ، إنه جداري ! (يبتعد فرانتز) «المجرمون ، أنتم» ! (تقرأ ، وتشير إليه) . أنت . . أخي . . أنتم جميعاً !

فرانتز : أأنت متّفقة معهم؟

المرأة : كاتفاق الليل مع النهار . إنهم يقولون للرب إنكم أكلة لحوم بشر ، والرب يصدقهم لأنهم ربحوا . ولكنهم لن يغيّروا فكرتي في أن آكل لحوم البشر الحقيقي هو الغالب . أعترف بذلك ، يا جندي : أنت لم تكن تريد أن تأكل لحم الإنسان .

فرانتز : (بتعب) لقد دمرنا الكثير ! الكثير ! مدناً وقرىً ! وعواصم !

المرأة : إذا كانوا قد تغلبوا عليكم ، فلأنهم دمّروا أكثر منكم .
(يهز فرانتز كتفيه) هل أكلت لحم إنسان؟

فرانتز : وأخوك ، هل أكل منه؟

المرأة : بالتأكيد لا ، فقد كان محتفظاً بالعادات الطيبة . مثلك .

فرانتز : (بعد صمت قصير) هل حدثوك عن المعسكرات؟

المرأة : أية معسكرات؟

فرانتز : تعلمين جيداً : معسكرات التعذيب والإبادة .

المرأة : حدثوني عنها .

فرانتز : إذا أخبروك أن أخاك ، ساعة موته ، كان حارساً في أحد تلك المعسكرات ، فهل تكونين فخورة به؟

المرأة : (بوحشية) نعم . أصغ إلي جيداً ، يا صغيري ، إذا كان آلاف الموتى قد أثقلوا على ضمير أخي ، وإذا كان بينهم نساء مثلي ، وأطفال مثل هؤلاء الذين يتفسخون تحت هذه الحجارة ، فإنني سأكون فخورة به ؛ وسأعلم أنه في الفردوس وأن له الحق في أن يفكر : «لقد فعلت ، أنا ، ما استطعته !» . ولكني أعرفه : كان حبه لنا أقل من حبه لشرفه ، ومن حبه لفضائله . واسمع ! (حركة دائرية ، بعنف) كان لا بد من الإرهاب . . أن تُهلكوا كل شيء !

فرانتز : لقد فعلنا ذلك .

المرأة : أبداً ، ليس بما فيه الكفاية ! لا معسكرات بقدر ما كان يجب ! ولا جلادين بقدر ما كان يجب ! لقد خنتنا

بمنحك ما لا يخصك . في كل مرة كنت توفر فيها حياة عدو ، حتى لو كان في المهد ، كنت تقتل حياة أحد أبنائنا . لقد أردت أن تحارب دون حقد ، وأعديتني بالحقد الذي يلتهم قلبي . أين فضيلتك ، أيها الجندي السيئ؟ أين هو ، يا جندي الهزيمة ، شرفك؟ المجرم ، إنما هو أنت ! لن يدينك الله على أعمالك ، بل على ما لم تجرؤ على فعله ، على الجرائم التي كان يجب أن ترتكبها ولم ترتكبها !

(يخيم الظلام شيئاً فشيئاً . يبقى الإعلان وحده مرئياً . يردد الصوت وهو يبتعد) المجرم ، أنت ! أنت ! أنت !

(يختفي الإعلان)

المشهد الرابع

فرانتز - جوهانا

صوت فرانتز : (في الظلام) جوهانا !

(ضوء . فرانتز واقف ، عاري الرأس ، قرب الطاولة . جوهانا جالسة على المقعد . المرأة اختفت) .

جوهانا : (منتفضة) ماذا؟

(يتجه فرانتز نحوها ، ينظر إليها ملياً) .

فرانتز : جوهانا !

(ينظر إليها ، محاولاً طرد ذكرياته)

جوهانا : (متراجعة إلى الوراء بشيء من الجفاء) ماذا حدث لها؟

فرانتز : المرأة؟ هذا يتعلق . . .

جوهانا : (متفاجئة) بماذا يتعلق؟

فرانتز : بأحلامي .

جوهانا : ألم تكن ذكرى؟

فرانتز : كانت حلماً أيضاً . تارة آتي بها ، وطوراً أتخلى عنها ، وحيناً آخر . . . على كل حال ، إنها تمضي ، فهي كابوس . (نظرته ثابتة ، مخاطباً نفسه) أتساءل إن لم أكن قد قتلتها .

جوهانا : (بدون مفاجأة ، لكن بخوف واشمئزاز) ها !

(يأخذ بالضحك)

فرانتز : (حركة مَن يضغط على زناد متخيل) هكذا ! (تحدٍّ باسم) هل كنت تتركينها تتألم؟ على كل الطرق توجد

جرائم . جرائم معدة سلفاً لا تنتظر إلاّ مقترفها . والجندي الحقيقي يمر ويتكفّل بها . (فجأة) ألا تعجبك القصة؟ إنني لا أحب عينيك ! آه ! أنهي حياتها بالطريقة التي تعجبك . (يبتعد عنها بخطوات واسعة ، وعندما يصل إلى مقربة من الطاولة ، يستدير) «المجرم ، أنت !» ما رأيك بهذا؟ هل كانت على حق؟

جوهانا : (هازة كتفيها) كانت مجنونة .

فرانتز : نعم ، ماذا يثبت هذا؟

جوهانا : (بقوة ووضوح) لقد خسرنا لأننا كنا نفتقر إلى رجال وطائرات !

فرانتز : (يقاطعها) أعلم ! أعلم ! هذا يتعلق بهتلر . (فترة) إنني أحدثك عني . لقد كانت الحرب قسمتي . فإلى أي حد كان يجب أن أحبها؟ (تريد أن تتكلم) فكري ! فكري جيداً . سيكون جوابك حاسماً .

جوهانا : (متضايقة ، مغتاظة ، متصلبة) لقد فكرت .

فرانتز : (فترة) لو كنت قد ارتكبت فعلاً كل الجرائم التي حوكمت في نورمبورغ . . .

جوهانا : أية جرائم؟

فرانتز : وهل أعلم؟ إبادة جماعية وسائر الجرائم !

جوهانا : (هازة كتفيها) ولماذا كنت سترتكبها؟

فرانتز : لأن الحرب كانت قسمتي . عندما أحبل آباؤنا أمهاتنا ، استولدوهنَّ جنوداً . لست أدري لماذا .

جوهانا : الجندي إنسان .

فرانتز : بل هو جندي أولاً . إذاً؟ هـل كنت ستحبينني على الرغم من ذلك؟ (تريد أن تتكلم) ولكن خذي كفايتك من الوقت ، بحق الإلـّـه ! (تنظر إليه في صمت) حسن؟

جوهانا : كلاّ .

فرانتز : كنتِ ستكفين عن حبي؟ (إشارة من جوهانا) أكنت سأثير اشمئزازك؟

جوهانا : نعم .

فرانتز : (منفجراً بالضحك) طيب ، طيب ، طيب ! اطمئني ، يا جوهانا : أنت إنما تواجهين طفلاً . براءة أكيدة . (تبقى مرتابة وقاسية) يمكنك كل الإمكان أن تبتسمي لي . لقد قتلت ألمانيا بادعاء رقة القلب .

(ينفتح باب غرفة الحمام . يدخل كلاجس ، ويغلق الباب ويمضي بخطىً بطيئة ، ليجلس على كرسي فرانتز . لا يعيره فرانتز أو جوهانا انتباهاً) .

المشهد الخامس

فرانتز - جوهانا - كلاجس

فرانتز : كنا خمسمائة قرب سمولنسك ، محاصرين في قرية . المقدم قتل ، الرؤساء قتلوا ، ولم يبق غيرنا ، نحن الملازمين ، ورقيب . ويا لها من قيادة ثلاثية غريبة ، فالملازم كلاجس كان ابن راعٍ قسيس ، مثالياً ، في الغيوم . . . وكان هنريخ ، الرقيب ، ثابت القدمين على الأرض ، لكنه كان نازياً مائة بالمائة . وكان الأنصار يقطعون علينا المؤخرة ، ويسيطرون على الطريق بنيرانهم . مؤونة لثلاثة أيام . ووجدنا فلاّحيْن روسييْن ، ووضعناهما في أهراء ، كأسيرين .

كلاجس : (منهكاً) يا له من وحش !

فرانتز : (دون أن يستدير) ماذا؟

كلاجس : هنريخ ! أقول : يا له من وحش !

فرانتز : (بذهول ، اللهجة نفسها) آه نعم . . .

كلاجس : (مقطباً وكئيباً) فرانتز ، إنني في مأزق قذر !

(يستدير فرانتز نحوه فجأة) لقد وضع في رأسه أنه سيجعل الفلاحيْن يتكلّمان .

فرانتز : آه ! آه ! (فترة) وأنت ، لا تريد أن يزعجهما؟

كلاجس : أمخطئ أنا؟

فرانتز : ليست المسألة هنا .

كلاجس : أين هي؟

فرانتز : أمنعته من دخول الأهراء؟ (إشارة من كلاجس) إذاً ، يجب ألاّ يدخل إليها .

كلاجس : أنت تعلم جيداً أنه لن يصغي إلي .

فرانتز : (متظاهراً بالدهشة المستنكرة) ماذا؟

كلاجس : إنني لا أجد الكلمات .

فرانتز : كيف؟

كلاجس : الكلمات لإقناعه .

فرانتز : (مذهولاً) وبالإضافة إلى ذلك تريده أن يقنع ! (بفظاظة) عامله ككلب ، اجعله يزحف !

كلاجس : لا أستطيع . إذا احتقرت إنساناً ، إنساناً واحداً ، حتى ولو كان جلاّداً ، فلن أحترم غيره بعد ذلك مطلقاً .

فرانتز : إذا رفض مرؤوس ، مرؤوس واحد ، أن يطيعك ، فلن يطيعك بعد ذلك أحد . احترام الإنسان ، هذا شيء لا أكترث له ، ولكن إذا أهملت النظام والطاعة ، فإنها الهزيمة ، المجزرة ، أو الاثنتان معاً .

كلاجس : (ينهض ، ويتجه نحو الباب ، ويفتحه قليلاً ويلقي نظرة إلى الخارج) إنه أمام الأهراء : يترصد . (يغلق الباب ويستدير نحو فرانتز) لننقذهما !

فرانتز : ستنقذهما إذا أنقذت سلطتك .

كلاجس : لقد فكرت . . .

فرانتز : ماذا؟

كلاجس : إن هنريخ يصغي إليك وكأنك الوحي .

فرانتز : لأنني أعامله ككومة من البراز . هذا منطقي .

كلاجس : (محرجاً) إذا جاء الأمر منك . . . (ضارعاً) فرانتز !

فرانتز : لا . الأسرى من اختصاصك . إذا أصدرتُ أمراً بدلاً منك ، أكن قد قللت من اعتبارك . وإذا قتلت بعد ساعة ، بعد أن أكون قد أغرقتك ، فسيأمر هنريخ بمفرده . وستكون الكارثة : على جنودي لأنه أحمق ، وعلى أسيريك لأنه سيّئ . (يعبر الغرفة ويقترب من جوهانا) وعلى الأخص على كلاجس . فعلى الرغم من كونه ملازماً لكن هنريخ كان سيسجنه .

جوهانا : لماذا؟

فرانتز : كان كلاجس يتمنى هزيمتنا .

كلاجس : إنني لا أتمناها ، بل أريدها !

فرانتز : ليس لك الحق !

كلاجس : ستكون نهاية هتلر .

فرانتز : ونهاية ألمانيا . (ضاحكاً) كابوت(*) ! كابوت ! (عائداً نحو جوهانا) كان بطل التقييد العقلي . كان يدين النازيين في روحه ليخفي عن نفسه أنه يخدمهم بجسده .

جوهانا : لم يكن يخدمهم !

فرانتز : (لجوهانا) : هيا ! أنتما من النوع عينه . كانت يداه تخدمانهم ، وكان صوته يخدمهم . كان يقول للرب : «لا أريد ما أفعل !» لكنه كان يفعله . (عائداً إلى كلاجس) إن الحرب تجري من خلالك . وبرفضك لها ، تحكم على نفسك بالعجز . لقد بعت روحك من أجل لا شيء ،

(*) وتعني بالألمانية : مهدم .

أيها الأخلاقي . أمّا روحي ، فسأجعلهم يدفعون لها ثمناً . (فترة) لنربح أولاً ! ثم ، سنهتم بهتلر .

كلاجس : لن يعود هناك وقت .

فرانتز : سنرى ! (عائداً إلى جوهانا مهدداً) قد خُدعت ، يا سيدتي ، وقررت ألاّ أُخدع ثانية مطلقاً .

جوهانا : مَن خدعك؟

فرانتز : أتسألين مَن؟ لوتر . (ضاحكاً) رأيت ! وفهمت ! ورميت بلوتر إلى الشيطان ومضيت . كانت الحرب قدري ولقد أردتها من كل روحي . لقد بدأت أعمل ، أخيراً ! ورحت أختلق الأوامر من جديد . كنت على اتفاق مع نفسي .

جوهانا : العمل ، أيعني القتل؟

فرانتز : (لجوهانا) بل العمل أن يكتب الإنسان اسمه .

كلاجس : على ماذا؟

فرانتز : (لكلاجس) على ما هو هنا . إنني أكتب اسمي على هذا السهل . سأجيب عن الحرب وكأنني خضتها من أجلي فقط ، وعندما أربح ، سأتطوع من جديد .

جوهانا : (بجفاء شديد) والأسيران ، يا فرانتز؟

فرانتز : (مستديراً نحوها) ماذا؟

جوهانا : أنت المسؤول عن كل شيء . هل قررت مصيرهما؟

فرانتز : (فترة) لقد أنقذتهما من الورطة . (لكلاجس) كيف أصدر إليه هذا الأمر دون نيل من سلطتك؟ انتظر قليلاً . (يفكر) حسناً ! (يمضي إلى الباب ويفتحه . منادياً) هنريخ !

(يعود نحو الطاولة ، يدخل هنريخ عدواً) .

المشهد السادس

فرانتز - جوهانا - كلاجس - هنريخ

هنريخ : (تحية عسكرية . وقفة استعداد) تحت أوامرك ، يا ملازمي . (ابتسامة مبهمة تدل على ثقة بهيجة ، فيها شبه حنان ، تضيء وجهه عندما يخاطب فرانتز)

فرانتز : (يتقدم نحو الرقيب ببطء ويتفرسه من رأسه إلى أخمص قدميه) أيها الرقيب ، أنت تهمل نفسك . (مشيراً إلى زر يتدلّى من عروة) ما هذا؟

هنريخ : إنه . . . إن . . . هذا زر ، يا ملازمي .

فرانتز : (بسذاجة) كنت ستفقده ، يا صديقي . (ينزعه له بضربة مفاجئة ويحتفظ به في يده اليسرى) ستخيطه ثانية .

هنريخ : (آسفاً) يا ملازمي ، لم يعد مع أحد خيطان .

فرانتز : هل تردّ ، يا كيس البراز؟ (يصفعه بيده اليمنى ، بلمح البصر ، مرتين) التقطه ! يترك الزر يسقط . (ينحني الرقيب ليلتقطه) استعد ! (الرقيب يكون قد التقط الزر . يقف مستعداً) من الآن فصاعداً ، قررنا ، أنا والملازم كلاجس ، أن نتبادل وظائفنا أسبوعيّاً . ستقوده حالاً إلى المراكز الأمامية ، أمّا أنا فسأتولى مهامه حتى يوم الاثنين . انصرف . (يقدّم هنريخ التحية العسكرية) انتظر ! (لكلاجس) هناك أسرى . على ما أعتقد .

كلاجس : اثنان .

فرانتز : لا بأس ، سأتكفل بهما .

هنريخ : (تلمع عيناه ، ويظن أن فرانتز سيقبل اقتراحاته) ملازمي !

فرانتز : (بفظاظة ، تبدو عليه الدهشة) ما الأمر؟

هنريخ : إنهما من الأنصار .

فرانتز : محتمل ! ثم؟

هنريخ : إذا سمحت . . .

كلاجس : لقد سبق ومنعته من الاهتمام بهما .

فرانتز : أتسمع ، يا هنريخ؟ لقد سوي الأمر . اخرج !

كلاجس : انتظر . أتعرف ما الذي سألني؟

هنريخ : (لفرانتز) : كنت . . . كنت أمزح ، يا ملازمي .

فرانتز : (مقطباً حاجبيه) مع من هو أعلى منك رتبة؟ (لكلاجس) ماذا سأل؟

كلاجس : «ماذا تفعل إذا لم أُطع؟» .

فرانتز : (بصوت حيادي) آه ! (يستدير نحو هنريخ) اليوم ، أيها الرقيب ، إنما أنا الذي سيجيبك . إذا لم تطع . . . (يضرب فرانتز على قراب مسدسه) . . فسأقتلك . (فترة) .

كلاجس : (لهنريخ) قدني إلى المراكز الأمامية .
(يغمز فرانتز ويخرج خلف هنريخ) .

المشهد السابع

فرانتز - جوهانا

فرانتز : هل كان من الخير أن أقتل جنودي؟

جوهانا : أنت لم تقتلهم .

فرانتز : لم أفعل كل شيء لمنع الموت عنهم .

جوهانا : ما كان الأسيران ليتكلّما .

فرانتز : ما أدراك؟

جوهانا : مزارعان ! لم يكن لديهما ما يقال .

فرانتز : ما الذي يثبت أنهما لم يكونا من الأنصار؟

جوهانا : بشكل عام ، الأنصار لا يتكلمون .

فرانتز : بشكل عام ، نعم ! (ملحّاً ، وقد بدا عليه الجنون) إن ألمانيا تستأهل جريمة ، أليس كذلك؟ (وقد عاد إلى الأرض ، ببشاشة حيرى ، شبه هازل) لست أدري إذا كنتِ تفهمينني . فأنت من جيل آخر . (فترة . عنيفاً ، قاسياً ، صادقاً ، دون أن ينظر إليها ، جامد النظرة ، وكأنه يقف مستعداً) الحياة القصيرة . ولا اختيار إلاّ الموت . السير ! السير ! الذهاب حتى منتهى الفظاعة ، وتجاوز الجحيم ! لو كان مخزن بارود ، لألقيت به في الظلمات ، ولنُسف كل شيء ما عدا بلادي . وكنت استحلت ، للحظَة ، إلى باقة محومة من الأسهم النارية التذكارية ، ثم بعد ذلك لا شيء : الليل ، واسمي ، وحده ، على النحاس . (فترة) لنعترف بأنني تقزّزت . المبادئ ، يا عزيزتي ، دوماً المبادئ . ذانك

الأسيران المجهولان ، أنت تعتقدين حقاً أنني كنت أفضلهما على رجالي ، ومع ذلك كان لا بد أن أقول لا ! فهلاّ أكون بعد ذلك آكل لحوم بشر؟ اسمعي : بل بالأحرى نباتي . (فترة . بكبرياء ، وكأنه يشرّع) «من لا يفعل كل شيء لا يفعل شيئاً» وأنا لم أفعل شيئاً . ومن لم يفعل شيئاً ، ليس أحداً . ما من أحد؟ (يشير إلى نفسه وكأن أحداً يناديه) حاضر ! (فترة . لجوهانا) هوذا المتهم الرئيسي الأول .

جوهانا : إنني أبرئك .

فرانتز : أقول لك إنه يجب البحث في الأمر .

جوهانا : إنني أحبك .

فرانتز : جوهانا ! (يقرع باب الدخول خمس دقات وأربعاً ، وثلاثاً مرتين . ينظران الواحد إلى الآخر) حسن ، لقد فات الأوان بعض الشيء .

جوهانا : فرانتز . . .

فرانتز : فات الأوان قليلاً لتبرئتي . (فترة) لقد تكلم الأب . (فترة) جوهانا ، ستشاهدين تنفيذ إعدام .

جوهانا : (ناظرة إليه) إعدامك؟ (يقرع الباب من جديد) وستتركهم يذبحونك؟ (فترة) ألا تحبني إذاً؟

فرانتز : (ضاحكاً بصمت) حبنا ، سأكلمك عنه حالاً . . . (مشيراً إلى الباب) . . . بحضورها . لن يكون الأمر سهلاً . وتذكري هذا : سأسألك معونتك ، فلا تقدميها لي . (فترة) إذا بقيت هناك فرصة . . . ادخلي .

(يسحبها إلى غرفة الحمام . تدخل ، يغلق الباب ويذهب ليفتح لليني)

المشهد الثامن

فرانتز - ليني

فرانتز : (ينتزع بعجلة ساعة يده ويضعها في جيبه . تدخل ليني حاملة على طبق كعكة صغيرة مغطاة بالسكر الأبيض . وعلى الكعكة أربع شمعات . وتحمل أيضاً صحيفة تحت ذراعها اليسرى)
لمَ تزعجينني في مثل هذه الساعة؟

ليني : أَتعرف كم الساعة؟

فرانتز : أعرف أنك غادرتني للتوّ .

ليني : لقد بدا لك الوقت قصيراً .

فرانتز : نعم . (مشيراً إلى الكعكة) ما هذا؟

ليني : كعكة صغيرة . كنت سأقدمها لك غداً بعد الطعام .

فرانتز : ثم؟

ليني : كما ترى ، إنني آتيك بها هذا المساء ، مع شمعات .

فرانتز : شمعات ، لماذا؟

ليني : عدَّها .

فرانتز : واحدة ، اثنتان ، ثلاث ، أربع . ماذا إذاً؟

ليني : لقد بلغت الرابعة والثلاثين .

فرانتز : نعم ، منذ ١٥ شباط .

ليني : ١٥ شباط ، كان عيد ميلاد .

فرانتز : واليوم؟

ليني : مجرد تاريخ .

فرانتز : حسن . (يأخذ الطبق ويضعه على الطاولة) «فرانتز» ! أأنت

التي كتبت اسمي؟

ليني : مَن تريد أن يكون؟

فرانتز : الشهرة ! (يتأمل اسمه) «فرانتز» بالسكر الوردي . إنه أكثر جمالاً ولكن أقل تألُّقاً من النحاس . (يشعل الشمعات) احترقي بهدوء ، أيتها الشمعات . إن ذواءك سيكون ذوائي . (في برود) أرأيتِ الأب !

ليني : لقد زارني .

فرانتز : في غرفتك؟

ليني : نعم !

فرانتز : وبقي طويلاً؟

ليني : بما فيه الكفاية .

فرانتز : في غرفتك ! إنها مِنّة استثنائية .

ليني : سأدفعها !

فرانتز : وأنا أيضاً .

ليني : أنت أيضاً !

فرانتز : (يقطع شطيرتين من الكعكة) هذا هو جسدي . (يصب شمپانيا في كأسين) هذا هو دمي . (يناول الكعكة للّيني) اخدمي نفسك . (تهز رأسها باسمة) مسمومة؟

ليني : لأي هدف؟

فرانتز : معك حق ، لأي هدف؟ (يناولها كأساً) ستقبلين بأن تشربي نخباً؟ (تأخذها وتتأملها بارتياب) سرطان؟

ليني : أحمر شفاه .

(ينزع منها الكأس ويحطمها على الطاولة)

فرانتز : إنه أحمر شفتيك! أنت لا تتقنين الغسل . (يناولها الكأس الأخرى الملأى . تأخذها . يصب شمپانيا في كأس ثالثة يحتفظ بها لنفسه) اشربي نخبي!

ليني : نخبك! (ترفع الكأس)

فرانتز : نخبي! (يقرع كأسه بكأسها) ماذا تتمنين لي؟

ليني : ألاّ يكون هناك شيء .

فرانتز : شيء؟ أواه! وبعد؟ فكرة ممتازة! (رافعاً كأسه) أشرب نخب لا شيء . (يشرب ، ويضع الكأس . تترنح ليني ، فيتلقاها بين ذراعيه ويقودها إلى المقعد) اجلسي ، أيتها الأخت الصغيرة .

ليني : (جالسة) اعذرني ، إنني متعبة ، (فترة) وعليَّ بعدُ أن أفعل الأمر الأشق .

فرانتز : صحيح تماماً . (يمسح جبينه) .

ليني : (وكأنها تخاطب نفسها) إننا نجمد . صيف آخر رطب .

فرانتز : (مذهولاً) بل نختنق .

ليني : (بنية حسنة) آه! ممكن . (تنظر إليه) .

فرانتز : أتنظرين إلي؟

ليني : نعم . (فترة) أنت إنسان آخر . هذا مخيب . (فترة) ليست الخطيئة خطيئة أحد ، يا عزيزي . كان يجب أن تحبني ، لكن أعتقد أنك لم تكن تستطيع ذلك .

فرانتز : كنت أحبك كثيراً .

ليني : (صرخة عنف وغضب) صه! (تسيطر على أعصابها ، لكن صوتها يحتفظ حتى النهاية بقسوة كبيرة) قال لي الأب إنك

تعرف كنّتنا .

فرانتز : إنها تأتي لتراني من حين إلى حين . فتاة شجاعة حقاً . إنني مسرور من أجل ورنر . ما الذي رويتِه لي؟ إنها ليست حدباء مطلقاً .

ليني : بلى .

فرانتز : كلاّ ! (حركة عمودية من يده) إنها . .

ليني : نعم ، ظهرها مستقيم ، هذا لا يمنع أنها حدباء . (فترة) أتجدها جميلة؟

فرانتز : وأنت؟

ليني : جميلة كالموت .

فرانتز : إن ما تقولينه لائق للغاية . لقد أخبرتها بالفكرة ذاتها أنا نفسي .

ليني : أشرب نخبها ! (تفرغ كأسها وترميها) .

فرانتز : (لهجة طبيعية) أتغارين؟

ليني : لا أشعر بشيء .

فرانتز : نعم ، هذا سابق لأوانه .

ليني : سابق للأوان كثيراً .

(فترة . يتناول فرانتز شطيرة من الكعكة ويأكلها)

فرانتز : (ضاحكاً مشيراً إلى الكعكة) إنها «اختنق أيها الخبيث !» (يمسك بشطيرة الكعكة في يده اليسرى ، وباليمنى ، يفتح الجارور ، ويأخذ منه المسدس ، ويناوله لليني ، وهو يأكل) خذي .

ليني : ماذا تريد أن أفعل به؟

فرانتز : (مقدماً نفسه) أطلقي ودعيها آمنة .

ليني : (ضاحكة) أعد هذا إلى جارورك . إنني لا أعرف حتى كيفية استعماله .

فرانتز : (يحتفظ بذراعه ممدودة . المسدس مسطح على يده) ألن تؤذيها؟

ليني : هل اعتنيت بها ثلاثة عشر عاماً؟ هل تسوّلت مداعباتها؟ هل ابتعلت بصاقها؟ هل أطعمتها ، وغسلتها ، وألبستها ، وحميتها من الجميع؟ إنها لا تدين لي بشيء ولن أمسها . إنني أتمنى أن تتألم قليلاً ، ولكن حباً بك .

فرانتز : (تأكيد أكثر منه سؤالاً) أأدين لك بكلّ شيء؟

ليني : (بشراسة) بكل شيء !

فرانتز : (مشيراً إلى المسدس) خذيه إذاً .

ليني : أنت تموت رغبة في الموت . أية ذكرى ستتركها لها ! وكم سيلائمها الحداد . إنها منذورة له . (فترة) إنني لا أفكر بقتلك ، يا حبي العزيز ، ولا أخشى شيئاً في العالم أكثر من موتك . كل ما هنالك أنني مرغمة على الإساءة إليك كثيراً . إنني أنوي أن أقول كل شيء لجوهانا .

فرانتز : كل شيء؟

ليني : كل شيء . سأحطمك في قلبها . (تتشنج يد فرانتز على المسدس) أطلق النار إذاً على أختك الصغيرة المسكينة . لقد كتبت رسالة . وإذا حدث لي شيء ، فستتسلّمها جوهانا هذا المساء . (فترة) أتعتقد أنني أثأر؟

فرانتز : ألا تثأرين؟

ليني : إنني أفعل ما هو عدل . من العدل أن تخصني ، حياً

أو ميتاً ، ما دمت الوحيدة التي تحبك كما أنت .

فرانتز : الوحيدة؟ (فترة) بالأمس ، كنت سأقوم بمجزرة ، واليوم ، إنني ألمح فرصة مؤاتية . فرصة من مائة كي تقبل بي . (معيداً المسدس إلى الجارور) إذا كنت لا تزالين حية ، يا ليني ، فهذا لأنني قررت أن ألاحق هذه الفرصة حتى النهاية .

ليني : إذاً لتعرف ما أعرفه ، ولتربح من هي أفضل الاثنتين . (تنهض ، وتتجه نحو غرفة الحمام . ترمي الصحيفة ، وهي تعبر خلفه ، على الطاولة . ينتفض فرانتز)

فرانتز : ما هذه؟

ليني : إنها «الفرانكفورتر تسايتونغ»(*) : وهي تتحدث عنا .

فرانتز : عنك وعني؟

ليني : عن الأسرة . إنهم ينشرون سلسلة من المقالات : «المردة الذين أعادوا بناء ألمانيا» . لكل سيد ، كامل الشرف . وقد بدأوا بآل غيرلاتش .

فرانتز : (لم يقرر بعد رفع الصحيفة) هل الأب مارد؟

ليني : (مشيرة إلى المقال) هذا ما يقولونه . ليس عليك إلاّ أن تقرأ . إنهم يقولون إنه أعظم المردة جميعاً . (يتناول فرانتز الصحيفة بنوع من الدمدمة المبحوحة ، ويفتحها . إنه جالس بمواجهة الجمهور ، مديراً ظهره لغرفة الحمام ، تخفي رأسه الصفحات المنشورة . تقرع ليني باب غرفة الحمام) افتحي ! أنا أعرف أنك في الداخل .

(*) أي صحيفة فرانكفورت .

المشهد التاسع

فرانتز - ليني - جوهانا

جوهانا : (تفتح الباب) هذا أفضل . أنا لا أحب أن أختبئ . (بود) صباح الخير .

ليني : (بود) صباح الخير .

(جوهانا قلقة ، تزيح ليني ، وتتجه مباشرة نحو فرانتز ، وتنظر إليه وهو يقرأ)

جوهانا : صحف؟ (فرانتز لا يستدير . تستدير نحو ليني) أنت تخرجين بسرعة .

ليني : إنني على عجل .

جوهانا : أمستعجلة لقتله؟

ليني : (هازة كتفيها) كلاّ .

جوهانا : اركضي ، فقد انطلقنا قبلك ! من اليوم أنا مقتنعة بأنه سيتحمّل الحقيقة .

ليني : ما أسخف هذا ، إنه مقتنع ، هو الآخر ، أنك ستتحملينها .

جوهانا : (باسمة) سأتحمل كل شيء . (فترة) هل قدم لك الأب تقريره؟

ليني : نعم .

جوهانا : لقد هددني بذلك . إنه هو الذي أعطاني إشارة الدخول إلى هنا .

ليني : آه !

جوهانا : ألم يقل لك ذلك؟

ليني : كلاّ .

جوهانا : إنه يتلاعب بنا .

ليني : هذا بديهي .

جوهانا : أوترضين بذلك؟

ليني : نعم .

جوهانا : ماذا تريدين؟

ليني : (مشيرة إلى فرانتز) أن تخرجي من حياته .

جوهانا : لن أخرج منها مطلقاً .

ليني : سأخرجك منها .

جوهانا : حاولي ! (صمت)

فرانتز : (يضع الصحيفة ، وينهض ، ويتجه نحو جوهانا . عن قرب) لقد وعدتني بألا تصدقي غيري ، يا جوهانا ، وهذا هو وقت تذكيرك بوعدك . إن حبنا اليوم لا يتعلق إلاّ بهذا .

جوهانا : لن أصدق غيرك . (ينظران الواحد إلى الآخر . تبتسم له بثقة وحنان ، لكن وجه فرانتز شاحب متشنج . يرغم نفسه على الابتسام لها ، ويستدير ، ويعود إلى مكانه ويأخذ صحيفته) حسناً ، يا ليني؟

ليني : نحن اثنتان . إحدانا زائدة . وعلى الزائدة أن تساعد نفسها .

جوهانا : كيف نفعل ذلك؟

لیني : لا بد من امتحان جدي . إذا ما تغلبت عليّ حللت مكاني .

جوهانا : ستغشين .

ليني : لا داعي لأغش .

جوهانا : لماذا؟

ليني : لأنك ستخسرين .

جوهانا : لنرَ الامتحان .

ليني : حسن . (فترة) لقد حدثك عن الرقيب هنريخ والأسيرين الروسيين ، واتهم نفسه بأنه حكم بالموت على رفاقه بإنقاذه حياة اثنين من الأنصار .

جوهانا : نعم .

ليني : وقلت له إنه كان على حق .

جوهانا : (ساخرة) ها أنت تعلمين كل شيء !

ليني : لا تدهشي لذلك . لقد لعب عليّ اللعبة نفسها .

جوهانا : إذاً؟ أتزعمين أنه كذب؟

ليني : كل ما قاله لك صحيح .

جوهانا : لكن . . . .

ليني : لكن القصة لم تنته . جوهانا ، إليك الامتحان .

فرانتز : رائع ! (يلقي الصحيفة وينهض شاحباً بعينين جنونيّتين) مائة وخمس وعشرون ورشة ! إننا سنذهب من الأرض إلى القمر إذا وصلنا المسافات التي تقطعها مراكبنا تباعاً . إن ألمانيا منتصبة : لتعش ألمانيا ! (يتجه نحو ليني بخطى واسعة آلية) شكراً ، يا أختي ، والآن ، اتركينا .

لينـي : كلاّ .

فرانتز : (آمراً ، صارخاً) قلت اتركينا .

(يريد أن يشدها من يدها)

جوهانا : فرانتز !

فرانتز : ماذا؟

جوهانا : أريد أن أسمع نهاية القصة .

فرانتز : ليس للقصة نهاية . لقد مات الجميع ، باستثنائي .

ليني : انظري إليه . ذات يوم ، في عام ١٩٤٩ ، اعترف لي بكل شيء .

جوهانا : اعترف ، بماذا؟

فرانتز : ترهات . هل يمكن أن تُكلّم جدياً؟ كنت أمزح ! (فترة) جوهانا ، لقد وعدتني بألا تصدقي غيري .

جوهانا : نعم .

فرانتز : صدقيني ، بحق الإلـه ! صدقيني إذاً !

جوهانا : إنني . . . إنك لست نفسك بحضورها . (تضحك ليني) أعطني الرغبة في تصديقك ! قل لي إنها تكذب ، تكلم ! أنت لم تفعل شيئاً ، أليس كذلك؟

فرانتز : (في شبه دمدمة) مطلقاً .

جوهانا : (بعنف) ولكن قلها ، يجب أن أسمعك ! قل : لم أفعل شيئاً !

فرانتز : (بصوت ضائع) لم أفعل شيئاً .

جوهانا : (تنظر إليه بنوع من الرعب وتأخذ بالصراخ) ها ! (تخنق صرختها) إنني لم أعد أتعرّفك !

فرانتز : (بعناد) لم أفعل شيئاً .

ليني : تركته يفعل .

جوهانا : مَن؟

ليني : هنريخ .

جوهانا : الأسيران؟

ليني : نعم ، كبداية .

جوهانا : أكان هناك آخرون؟

ليني : الخطوة الأولى هي الصعبة دائماً .

فرانتز : سأشرح ما فعلت . عندما أراكما معاً ، أفقد رأسي . أنتما تقتلانني . . . جوهانا ، عندما سنبقى بمفردنا . . . كل شيء يسير في سرعة شديدة . . . لكن سأجد التعليل ، وسأقول الحقيقة كاملة . جوهانا ، إنني أحبك أكثر من حياتي . . .

(يأخذها من ذراعها ، فتتملّص منه صارخة)

جوهانا : دعني !

(تقف إلى جانب ليني . يظل فرانتز مذهولاً أمامهما)

ليني : (لجوهانا) لقد دخلت الامتحان بطريقة خاطئة .

جوهانا : لقد خسرت . احتفظي به .

فرانتز : (ضائعاً) أصغيا إليَّ ، أنتما الاثنتين . . .

جوهانا : (بنوع من الكراهية) لقد عَذَّبت ! أنت !

فرانتز : جوهانا ! (تنظر إليه) ليس بهاتين العينين ! لا ، ليس بهاتين العينين ! (فترة) كنت أعلم ذلك ! (ينفجر ضاحكاً وينكفئ على أطرافه الأربعة) القهقرى ! القهقرى ! (تصرخ

ليني . ينهض) ألم تريني أبداً أمشي كالسرطان ، أيتها الأخت الصغيرة؟ (فترة) اخرجا من هنا ، أنتما الاثنتين ! (تتجه ليني نحو الطاولة وتريد أن تفتح الجارور) الخامسة وعشر دقائق . قولي لأبي إنني أعطيه موعداً في الساعة السادسة في غرفة الاجتماعات . اخرجا ! (صمت طويل . يشحب الضوء . تخرج جوهانا أولاً دون أن تستدير . تتردد ليني قليلاً وتتبعها . يجلس فرانتز ويتناول صحيفته) مائة وخمس وعشرون ورشة : أمبراطورية عظمى .

الفصل الخامس

ديكور الفصل الأول نفسه

(الساعة السابعة .

النهار يشحب . لا يتضح ذلك في البداية لأن مصاريع البابين ـ النافذتين مغلقة والغرفة غارقة في الظل .

ساعة الحائط تدق سبع دقات .

عند الدقة الثالثة ، ينفتح مصراع الباب ـ النافذة اليسار من الخارج . ويدخل الضوء . يدفع الأب الباب ـ النافذة ، ويدخل بدوره .

في اللحظة نفسها ينفتح باب فرانتز ، في الطابق الأول ، ويظهر فرانتز عند أعلى السلّم .

ينظر الرجلان الواحد إلى الآخر لحظة .

يحمل فرانتز بيده حقيبة صغيرة سوداء مربعة «مسجلته») .

المشهد الأول

الأب - فرانتز

فرانتز : (دون أن يتحرك) صباح الخير، يا أبي .

الأب : (صوت طبيعي وأليف) صباح الخير، يا صغيري . (يترنح ويتمسك بظهر كرسي) انتظر . سأدخل النور .

(يفتح الباب ـ النافذة الآخر . ويدفع المصراع الثاني . يدخل النور المخضر كما في نهاية الفصل الأول إلى الغرفة)

فرانتز : (وقد نزل درجة) إنني مصغ إليك .

الأب : ليس لدي ما أقوله لك .

فرانتز : كيف؟ أنت تزعج ليني بالالتماسات . .

الأب : يا ولدي، أنا في هذا الجناح لأنك دعوتني إليه .

فرانتز : (ينظر إليه بذهول ثم ينفجر ضاحكاً) هذا، وإيماني، صحيح .

(ينزل درجة ثانية ويتوقف) لعبة جيدة! لقد لعبت بجوهانا ضد ليني، ثم بليني ضد جوهانا . مات الرخ بثلاث نقلات .

الأب : مَن الرخ؟

فرانتز : أنا ملك السود . ألم تتعب من الربح؟

الأب : لقد تعبت من كل شيء، يا بني، إلاّ من هذا . إن المرء لا يربح أبداً . إنني أحاول أن أنقذ الرهان .

فرانتز : (هازاً كتفيه) أنت تنتهي دوماً إلى فعل ما تريد .

الأب : هذه أضمن وسيلة للخسارة .

فرانتز : (بمرارة) بالنسبة إلى هذا نعم . (فجأة) بالضبط، ماذا تريد؟

الأب : في هذه اللحظة؟ أن أراك فقط .

فرانتز : ها أنا ذا ! اشبع من رؤيتي قدر ما تستطيع . إنني أحتفظ لك بمعلومات مختارة . (يسعل الأب) لا تسعل .

الأب : (بنوع من الإذلال) سأحاول . (يسعل أيضاً) هذا ليس سهلاً جداً . . . (يسيطر على نفسه) ها أنا .

فرانتز : (ناظراً إلى أبيه بصبر) يا للحزن ! (فترة) ابتسم إذاً ! إنه عيد : الأب والابن يلتقيان ، ويذبح العجل السمين . (فجأة) لن تكون حاكمي .

الأب : مَن يتكلم عن الحكم؟

فرانتز : نظرتك . (فترة) مجرمان ، أحدهما يدين الآخر باسم المبادئ التي انتهكاها كلاهما . كيف تدعو هذه المهزلة؟

الأب : (هادئاً وحيادياً) العدالة . (صمت قصير) هل أنت مجرم؟

فرانتز : نعم . وأنت أيضاً . (فترة) إنني أُعلن عدم أهليّتك للحكم .

الأب : لماذا أردت إذاً أن تكلمني؟

فرانتز : لأعلمك . لقد خسرتُ كل شيء . ستخسر أنت كل شيء . (فترة) احلف على الكتاب المقدس أنك لن تحكم علي ! احلف أو أرجع حالاً إلى غرفتي .

الأب : (يتقدّم نحو الكتاب المقدس ، ويفتحه ، ويمد يده) : أقسم على ذلك !

فرانتز : مرحى ! (ينزل ، ويذهب حتى الطاولة ويضع المسجلة عليها . يستدير الأب والابن . يتواجهان على قدم المساواة) أين هي السنون؟ أنت لم تتغير .

الأب : بلى .

فرانتز : (يقترب وكأنه مسحور . بوقاحة ظاهرة لكن دفاعية) إنني أراك

دون أدنى انفعال . (فترة ، يرفع يده ، وبحركة شبه لاإرادية ، يضعها على ذراع أبيه) الشيخ هندنبرغ . إيه ، ماذا؟ (يتراجع ، بجفاء واستياء) لقد عذبت . (صمت ، بعنف) أتسمع؟

الأب : (دون أن يغير ملامح وجهه) نعم ، استمر .

فرانتز : هذا كل شيء . كان الأنصار يطاردوننا ، وكانت القرية متواطئة معهم ، فحاولت أن أجعل القرويين يتكلمون . (صمت وجفاء وعصبية) دائماً القصة نفسها .

الأب : (بثقل وبطء ولكن دون تعبير) دائماً .

(فترة ، ينظر إليه فرانتز بكبرياء)

فرانتز : أنت تحكم عليَّ على ما أعتقد؟

الأب : كلاّ .

فرانتز : هذا أفضل ، يا أبي العزيز ، من الخير أن أحذرك : إنني معذّب لأنك واشٍ .

الأب : لم أشِ بأحد !

فرانتز : والحاخَام البولوني؟

الأب : ولا هو أيضاً . لقد جازفت بأخطار . . رهيبة .

فرانتز : لا أقول غير ذلك . (يرى الماضي من جديد) أخطار رهيبة؟ أنا أيضاً جازفت بمثلها . (ضاحكاً) أواه ! مزعجة جداً ! (يضحك . يستفيد الأب من ذلك ليسعل) ماذا هناك؟

الأب : إنني أضحك معك .

فرانتز : أنت تسعل ! توقف ، بحق الإلـه ، أنت تمزق حلقي .

الأب : اعذرني .

فرانتز : هل ستموت؟

الأب : أنت تعلم ذلك .

فرانتز : (يهم بالاقتراب . يتراجع فجأة) تخلُّص حسن ! (ترتعد يداه) لا شك أنه يسبب لك ألماً ممضاً .

الأب : ماذا؟

فرانتز : هذا السعال اللعين .

الأب : (مغيظاً) كلاّ . (يعاوده السعال ثم يهدأ)

فرانتز : آلامك ، إنني أشعر بها . (جامة النظرة) لقد افتقرتُ إلى المخيِّلة .

الأب : متى؟

فرانتز : هناك . (صمت طويل . يشيح بنظره عن الأب وينظر إلى باب الصدر . عندما يتكلم ، يعيش ماضيه ، في الحاضر ، إلاّ عندما يخاطب أباه مباشرة) رؤسائي استحالوا إلى جثث . الرقيب وكلاجس تحت يدي . الجنود عند ركبتي . الأمر الوحيد : الثبات . وأنا أثبت . إنني أختار الأحياء والأموات : أنت ، اذهب لتقتل ! أنت ابق هنا ! (فترة . في مقدمة المسرح ، بشهامة وكآبة) معي السلطة العليا . (فترة) إيه ، ماذا؟ (يبدو وكأنه يصغي إلى مخاطب غير منظور ، ثم يستدير نحو أبيه) كانوا يسألونني : «ماذا ستفعل؟» .

الأب : مَن؟

فرانتز : كان ذلك في رطوبة الليل . في كل الليالي . (مقلداً همس مخاطبين غير منظورين) ماذا ستفعل؟ ماذا ستفعل؟ (صارخاً) أيها الحمقى ! سأذهب حتى النهاية . نهاية السلطة ! (للأب ، فجأة) أتعرف لماذا؟

الأب : نعم .

فرانتز : (خائباً قليلاً) آه !

الأب : مرة واحدة في حياتك ، عرفت العجز .

فرانتز : (صارخاً وضاحكاً) الشيخ هندنبرغ محتفظ بكامل عقله : ليحيَ هو ! نعم ، لقد عرفته . (يكفّ عن الضحك) هنا ، بسببك ! لقد سلمتهم الحاخام ، وانبطحوا فوقي ليمسكوني وذبحه الآخرون . ماذا كان بإمكاني أن أفعل؟ (رافعاً أصبع يده اليسرى الصغير وناظراً إليه) لم أرفع حتى الخنصر . (فترة) تجربة مثيرة ، لكن لا أنصح بها زعماء المستقبل . فالمرء لا ينهض منها . لقد جعلت مني أميراً ، يا أبي . أوتعلم من جعل مني ملكاً؟

الأب : هتلر .

فرانتز : نعم . بالعار . بعد ذلك . . . الحادث ، أصبحت السلطة دعوتي . أتعلم أيضاً أنني أُعجبت به؟

الأب : مَن ، هتلر؟

فرانتز : ألم تكن تعلم ذلك؟ أواه ! لقد كرهته . قبل ، وبعد . لكن في ذلك اليوم ، سيطر عليّ . عندما يكون هناك زعيمان لا بد أن يتصارعا أو يصبح أحدهما امرأة الآخر . ولقد كنت امرأة هتلر . كان دم الحاخام يسيل منه ، واكتشفت ، في صميم عجزي ، لست أدري أي رضا . (يعيش الماضي من جديد) إن معي السلطة العليا . لقد جعل مني هتلر إنساناً آخر ، حاقداً ومقدساً : هو نفسه . إنني هتلر وسأتجاوز نفسي . (فترة . للأب) لم تعد هناك مؤونة ، وراح جنودي يحومون حول الأهراء . (عائشاً الماضي) أربعة ألمان أقوياء سيسحقونني أرضاً وسيذبح رجالي أنا الأسيرين من الوريد إلى الوريد . كلاّ ! لن أسقط أبداً ثانية في العجز الحقير . إنني أقسم

على ذلك . الظلام مخيم . الرعب لا يزال مسيطراً . . . سآخذهم على حين غرة . وإذا ما أطلقه أحد من قيوده ، فسيكون أنا . سأطالب بالشر ، سأظهر سلطتي بتفرد عمل لا ينسى : بتحويل الإنسان إلى قملة وهو حي . سأهتم بمفردي بالأسيرين ، سأدفع بهما إلى النذالة . وسيتكلّمان . إن السلطة هوة أرى قاعها ، إذ لا يكفي أن أختار أموات المستقبل بسكين وولاعة ، سأقرر مصير الملكوت البشري . (ضائعاً) مدهش ! الملوك يذهبون إلى الجحيم ، هو مجدهم . إنني ذاهب .

(يظل مأخوذاً على مقدمة المسرح)

الأب : (بهدوء) هل تكلما؟

فرانتز : (منتزعاً من ذكرياته) إيه ، ماذا؟ (فترة) كلاّ . (فترة) ماتا قبل ذلك .

الأب : مَن يخسر يربح .

فرانتز : إيه ! كل شيء يُتعلّم . لم تكن لي القدرة . ليس بعد .

الأب : (ابتسامة حزينة) هذا لا يمنع أن الملكوت البشري هما قررا مصيره .

فرانتز : (عاوياً) كنت سأفعل مثلهما ! كنت سأموت تحت التعذيب دون أن أقول كلمة ! (يهدأ) ثم ، إنني لا أبالي بذلك ! لقد احتفظت بسلطتي .

الأب : طويلاً؟

فرانتز : عشرة أيام . عند نهاية تلك الأيام العشرة هاجمتنا دبابات العدو وقُتلنا جميعاً ، حتى الأسيران . (ضاحكاً) عفواً ! إلاّ أنا ! أنا لم أمت ! لم أمت أبداً ! (فترة) لا شيء مؤكد مما قلته ، إلاّ أنني عُذِّبت .

الأب : وبعد ذلك؟ (يهز فرانتز كتفيه) مشيت في الطرق ، اختبأت ، ثم عدت إلينا .

فرانتز : نعم . (فترة) كانت الأنقاض تسوّغ عودتي . كنت أحب منازلنا المنهوبة ، وأطفالنا المشوهين . لقد زعمت أنني أسجن نفسي كي لا أشهد احتضار ألمانيا . هذا غير صحيح . لقد تمنيت موت بلادي وكنت أسجن نفسي كي لا أكون الشاهد على بعثها . (فترة) احكم علي !

الأب : لقد جعلتني أقسم على الكتاب المقدس . . .

فرانتز : بدّلت رأيي لننتهِ من الأمر .

الأب : كلاّ .

فرانتز : أقول لك إنني أحلك من يمينك !

الأب : أيقبل المعذِّب بحكم الواشي؟

فرانتز : سواء أكنت واشياً أم غير واشٍ ، فأنت حاكمي الطبيعي . (فترة . يرسم الأب لا برأسه) لن تحكم علي؟ مطلقاً؟ إذاً ، في رأسك شيء آخر ! وهذا أسوأ ! (فجأة) أنت تنتظر ! ماذا تنتظر؟

الأب : لا شيء . أنت هنا .

فرانتز : أنت تنتظر ! إنني أعرفها ، انتظاراتك ، انتظاراتك الطويلة . لقد رأيت أمامك ، قساة ، وأراذل . كانوا يشتمونك ، ولم تكن تقول شيئاً ، بل تنتظر . وفي النهاية كان السذج يتخاذلون . (فترة) تكلم ! تكلم ! قل ما شئت ؛ هذا لا يحتمل . (فترة)

الأب : ماذا ستفعل؟

فرانتز : سأصعد إلى غرفتي من جديد .

الأب : ومتى ستنزل ثانية؟

فرانتز : أبداً .

الأب : ألن تستقبل أحداً؟

فرانتز : سأستقبل ليني ، للخدمة .

الأب : وجوهانا؟

فرانتز : (بجفاء) انتهى الأمر ! (فترة) لقد افتقرت هذه الفتاة إلى الجرأة . . .

الأب : أكنت تحبها؟

فرانتز : كانت الوحدة تثقل عليّ . (فترة) لو قبلت بي كما أنا . . .

الأب : أتقبل أنت بنفسك؟

فرانتز : وأنت؟ أتقبل بي؟

الأب : كلاّ .

فرانتز : (وقد جُرح بعمق) حتى ولا الأب؟

الأب : حتى ولا هو .

فرانتز : (بصوت غاضب) ماذا إذاً؟ ماذا نفعل معاً؟ (لا يجيب الأب . بقلق عميق) آه ! ما كان يجب أن أراك ثانية ! كنت أشك في الأمر ! كنت أشك في هذا الأمر .

الأب : بماذا؟

فرانتز : بما كان سيحدث لي .

الأب : لم يحدث لك شيء .

فرانتز : ليس بعد . ولكنك هناك وأنا هنا . . كما في أحلامي . وكما في أحلامي أنت تنتظر . (فترة) حسن . أنا أيضاً ، أستطيع الانتظار . (مشيراً إلى باب غرفته) بينك وبيني ، سأضع هذا الباب . ستة أشهر من الصبر . (رافعاً أصبعه نحو رأس الأب) بعد ستة أشهر ، ستكون هذه الجمجمة

فارغة ، وهاتان العينان لن تنظرا . والدود سيلتهم هاتين الشفتين والاحتقار الذي ينفخهما .

الأب : إنني لا أحتقرك .

فرانتز : (ساخراً) حقاً ! بعد كل ما أخبرتك به؟

الأب : لم تخبرني بشيء مطلقاً .

فرانتز : (مذهولاً) عفواً؟

الأب : قصصك ، عن سمولنسك ، عرفتها منذ ثلاث سنين .

فرانتز : (عنيفاً) مستحيل ! أيها الموتى ! لا شاهد . ماتوا أو دفنوا . جميعاً .

الأب : إلاّ اثنين حررهما الروس . وقد جاءا لرؤيتي . كان ذلك في آذار ١٩٥٦ . فوريست وشايدمان . أتذكرهما؟

فرانتز : (متحيراً) كلاّ . (فترة) ماذا كانا يريدان؟

الأب : أرادا مالاً مقابل الصمت .

فرانتز : ثم؟

الأب : لا أتقن التهديد .

فرانتز : إنهما . . .

الأب : أبكمان ، لقد نسيتَهما . تابع .

فرانتز : (ينظر إلى الفراغ) ثلاث سنين؟

الأب : ثلاث سنين . وسرعان ما أعلنت وفاتك ، وفي السنة التالية ، استدعيت ورنر . كان هذا أضمن .

فرانتز : (كأنه لم يستمع) ثلاث سنين ! وكنت أوجه الخطابات إلى السراطين ، وأكذب عليها ! وخلال ثلاث سنين ، هنا ، كنت مكشوفاً . (فجأة) منذ ذلك الحين ، أليس كذلك ، وأنت تسعى إلى رؤيتي؟

الأب : نعم .

فرانتز : لماذا؟

الأب : (هازاً كتفيه) هكذا !

فرانتز : كانا جالسين في مكتبك ، وكنت تصغي إليهما لأنهما عرفاني ـ ثم في لحظة محدّدة ـ قال أحدهما لك : «فرانتز فون غيرلاتش جلاد» مفاجأةمسرحية ! (محاولاً المزاح) لقد فاجأك ذلك ، على ما آمل .

الأب : كلاّ ، ليس كثيراً .

فرانتز : (صارخاً) كنتُ نظيفاً ، عندما تركتك ! كنتُ نقياً ، وأردت أن أنقذ البولوني . . ألم تفاجأ؟ (فترة) بمَ فكرت؟ كنت لا تعلم شيئاً ، وفجأة ، علمت كل شيء ! (صارخاً بصوت أعلى) بم فكرت ، بحق الله !

الأب : (بحنان عميق وحزين) صغيري المسكين !

فرانتز : ماذا؟

الأب : تسألني بمَ فكرت ! وأنا أقول لك ! (فترة ، ينتصب فرانتز بكل قامته ثم ينهار منتحباً على كتف أبيه) صغيري المسكين ! (يداعب رقبته مداعبة خرقاء) صغيري المسكين ! (فترة) .

فرانتز : (منتصباً فجأة) توقّف ! (فترة) تأثير المفاجأة . منذ ستة عشر عاماً لم أبك ، ولن أعاود ذلك قبل ستة عشر عاماً . لا ترث لي فهذا يغريني بالعض . (فترة) إنني لا أحب نفسي كثَيراً .

الأب : ولمَ تحب نفسك؟

فرانتز : بالفعل .

الأب : إنما هذا يعنيني أنا .

فرانتز : أتحبني ، أنت؟ أتحب جزار سمولنسك؟

الأب : جزار سمولنسك ، أنت !

فرانتز : طيب ، طيب ، لا تزعج نفسك . (ضحكة مبتذلة عن إرادة) الطبيعة فيها كل الأذواق . (فجأة) أنت تلهو بي ! عندما تظهر عواطفك ، فهذا لأنها تستطيع أن تخدم مشاريعك . أقول لك إنك تشتغل بي . أنت تبدأ بكلام لاذع مفاجئ ثم تلين . عندما ستحكم عليّ في حينه . . . هيا ! لقد كان لديك متسع من الوقت لتبحث هذه القضية وأنت أكثر تكبُّراً من أن لا ترغب في تسويتها على طريقتك .

الأب : (بسخرية قاتمة) متكبِّر ! كان ذلك في الماضي حقاً . (فترة . يضحك وحده ، بمرح ولكن بكآبة . ثم يستدير نحو فرانتز . بطيبة كبيرة ، ولكن بحقد) لكن بخصوص هذه القضية ، نعم ، سأسويها .

فرانتز : (قافزاً إلى الوراء) سأمنعك ! هل هذا يعنيك؟

الأب : أريد ألاّ تتألم بعد الآن .

فرانتز : (بقسوة ووحشية وكأنه يتهم شخصاً آخر) إنني لا أتألم ، بل سببت الألم . لعلك تدرك الفرق .

الأب : إنني أدركه .

فرانتز : لقد نسيت كل شيء . حتى صراخهم . إنني فارغ .

الأب : أرتاب في ذلك . هذا أقسى ، أليس كذلك؟

فرانتز : لماذا تتصوّر هذا الأمر؟

الأب : أنت تخضع منذ أربعة عشر عاماً لألم سبّبته ولا تشعر به .

فرانتز : لكن من يطلب إليك أن تتحدث عني؟ نعم . هذا أقسى . إنني حصان هذا الألم ، وهو يركبني . لا أتمنى لك هذا الفارس . (فجأة) إذاً؟ ما الحل؟ (ينظر إلى أبيه ،

جاحظ العينين) اذهب إلى الشيطان !

(يدير له ظهره ويصعد السلّم بمشقة)

الأب : (لم يقم بحركة ليوقفه . ولكن عندما يصل فرانتز إلى نهاية سلّم الطابق الأول ، يتكلم بصوت قوي) إن ألمانيا في غرفتك ! (يستدير فرانتز ببطء) إنها حية ، يا فرانتز ! لن تنسى ذلك بعد الآن .

فرانتز : لا يزال فيها رمق من حياة ، أعرف ذلك ، على الرغم من هزيمتها . وسأتدبر أمري تجاه ذلك .

الأب : بسبب هزيمتها ، هي ، أكبر دولة في أوروبا ! كيف ستتدبر أمرك مع هذه الحقيقة؟ (فترة) إننا سبب الشقاق وموضع الرهان . إنهم يدلّلوننا . كل الأسواق مفتوحة لنا ، وآلاتنا تدور : مصنع حديد . هزيمة من العناية الإلـهية ، يا فرانتز : لدينا زبدة ، ومدافع ، وجنود ، يا بني ! وغداً القنبلة ! وآنذاك سنهز عفرتنا وستراهم ينسحقون كقمل ، أولئك الأوصياء علينا .

فرانتز : (في دفاع أخير) إننا نسيطر على أوروبا ونحن المنهزمون ! ماذا كنا سنفعل لو كنا المنتصرين؟

الأب : لم يكن بإمكاننا أن نكون المنتصرين .

فرانتز : تلك الحرب ، كان لا بد إذاً من خسارتها؟

الأب : كان لا بد من المقامرة بها على أساس من يخسر يربح . كما هو الحال دوماً .

فرانتز : أهذا ما فعلتموه؟

الأب : نعم . منذ بداية المعارك .

فرانتز : وأولئك الذين كانوا يحبون البلاد كثيراً إلى حد التضحية بشرفهم العسكري من أجل النصر . . .

الأب : (هادئاً وقاسياً) كانوا يجازفون بإطالة أمد المجزرة والإساءة إلى إعادة البناء . (فترة) الحقيقة هي أنهم لم يفعلوا شيئاً مطلقاً ، إلاّ ارتكاب جرائم فردية .

فرانتز : موضوع جميل للتأمل . هذا ما سيشغلني في غرفتي .

الأب : لن تبقى فيها بعد الآن لحظة واحدة .

فرانتز : هذا ما تخطئ فيه . سأنكر هذه البلاد التي تنكرني .

الأب : لقد حاولت ذلك ثلاثة عشر عاماً دون نجاح كبير . والآن ، أنت تعرف كل شيء . كيف سيمكنك أن تستأنف مهازلك؟

فرانتز : وكيف سيمكنني أن أمتنع عنها؟ لا بد إمّا أن تنهار ألمانيا أو أكون مجرماً في نظر الحق العام .

الأب : تماماً .

فرانتز : إذاً؟ (ينظر إلى الأب ، فجأة) لا أريد أن أموت .

الأب : (بهدوء) لمَ لا؟

فرانتز : إنما أنت الَذي يجب أن تسأل ذلك . لقد كتبتَ اسمك .

الأب : لو تدري مقدار عدم اكتراثي لذلك !

فرانتز : أنت تكذب ، يا أب . كنت تريد أن تصنع مراكب وقد صنعتها .

الأب : كنت أصنعها من أجلك .

فرانتز : هكذا ! كنت أظن أنك صنعتني من أجلها . على كل حال ، إنها هنا . عندما ستموت ، ستكون أسطولاً . وأنا؟ ماذا سأترك؟

الأب : لا شيء .

فرانتز : (تائهاً) لهذا سأعيش مائة عام . ليس لي إلاّ حياتي ، أنا . (بجنون) ليس لي إلاّها . لن يأخذوها مني . ثق أنني

أكرهها ، لكني أفضلها على لا شيء .

الأب : إن حياتك ، موتك ، على كل حال ، لا شيء آخر . أنت لا شيء ، ولا تفعل شيئاً ، ولا تستطيع أن تفعل شيئاً . (فترة طويلة . يقترب الأب ببطء من السلّم . يستند إلى الدرابزون تحت فرانتز ويكلمه رافعاً رأسه) أسألك الصفح .

فرانتز : (وقد تشنّج خوفاً) مني ، أنت؟ هذه مؤامرة ! (ينتظر الأب . فجأة) الصفح عن ماذا؟

الأب : عنك (فترة . مبتسماً) إن الأهل حمقى . إنهم يوقفون الشمس . كنت أظن أن العالم لن يتبدّل . لكنه تبدّل . أتذكر ذلك المستقبل الذي منحتك إياه؟

فرانتز : نعم .

الأب : كنت أحدثك عنه دون انقطاع ، وكنت ، أنت ، تراه . (يشير فرانتز موافقاً) حسناً ، إنه لم يكن إلاّ ماضيّ أنا .

فرانتز : نعم .

الأب : أكنت تعلم ذلك؟

فرانتز : لقد علمته على الدوام . في البداية ، كان ذلك يعجبني .

الأب : صغيري المسكين ؛ كنت أريد أن تدير المصنع بعدي . لكنه هو الذي يقود . إنه يختار رجاله . أما أنا ، فقد أبعدني . إنني أملك ولكني لا آمر . وأنت ، أيها الأمير الصغير ، قد رفضك من اللحظة الأولى . فما حاجته إلى أمير؟ إنه يختار ويجند بنفسه مديريه . (ينزل فرانتز الدرجات بينما يتكلم الأب) لقد أعطيتك كل الاستحقاقات ، وحبي الشديد للسلطة ، فلم يفد ذلك شيئاً . يا لها من خسارة ! لقد غامرت بكل الأخطار ،

كي تؤثر ، ولكنه ، كما ترى ، كان يحول أعمالك إلى مآثر . ولقد قادك قلقك إلى الجريمة ، ولكنه حتى في الجريمة ، يلغيك . إنه يتغذى من هزيمتك . إنني لا أحب تأنيب الضمير ، يا فرانتز ، فهو لا يجدي نفعاً . لو كنت أستطيع الاعتقاد بأنك ستكون نافعاً في مكان آخر وبشكل آخر . . . ولكني جعلت منك ملكاً ، وهذا يعني اليوم «غير صالح لشيء» .

فرانتز : (مبتسماً) أكنتُ منذوراً؟

الأب : نعم .

فرانتز : للعجز؟

الأب : نعم .

فرانتز : وللجريمة؟

الأب : نعم .

فرانتز : من قبلك؟

الأب : من قبل أهوائي التي زرعتها فيك . قل لمحكمة سراطينك إنني المذنب الوحيد ، وعن كل شيء .

فرانتز : (الابتسامة نفسها) هذا ما كنت أريد أن أسمعك تقوله . (ينزل آخر الدرجات ويقف أمام والده وجهاً لوجه) إذاً فإنني أقبل .

الأب : بماذا؟

فرانتز : بما تنتظره مني . (فترة) بشرط واحد : كلانا معاً ، فوراً .

الأب : (وقد تملكه القلق الحائر فجأة) تقول فوراً؟

فرانتز : نعم .

الأب : (بصوت صدئ) أتعني اليوم؟

فرانتز : أعني حالاً . (صمت) أهذا ما كنت تريده؟

الأب : (يسعل) ليس . . . بهذه السرعة !

فرانتز : لمَ لا؟

الأب : لَقد رأيتك أخيراً ثانية .

فرانتز : لم ترَ أحداً . حتى ولا أنت . (إنه هادئ ويسيط ، للمرة الأولى ، ولكنه يائس تماماً) لم أكن إلاّ صورة من صورك . وقد بقيت الأخريات في رأسك . وشاء سوء الطالع أن تتجسد هذه الأخيرة . وذات ليلة ، في سمولنسك ، أُتيحت لها . . . ماذا؟ دقيقة استقلال . وإليك : أنت مذنب عن كل شيء إلاّ عن ذلك . (فترة) لقد عشت ثلاثة عشر عاماً مع مسدس محشوّ في جاروري . أتعرف لماذا لم أقتل نفسي؟ كنت أقول في نفسي : ما فُعل سيظل مفعولاً . (فترة . بصدق عميق) إن الموت لا يسوي شيئاً . إنه لا يسوي أمري . كنت أود . . . ستضحك . كنت أود لو لم أخلق أبداً . لم أكن أكذب دوماً ، هناك في الأعلى . عند المساء ، كنت أتمشى في الغرفة وأفكر بك .

الأب : كنت هنا ، في هذا المقعد . كنت تمشي فأصغي إلى وقع قدميك .

فرانتز : (لامبالياً) آه ! (متابعاً) كنت أفكر . لو كانت لديه وسيلة ليمسك بها ، تلك الصورة المتمردة ، ويستعيدها مني ، ويتشربها ثانية ، لما وجد غيره هو .

الأب : فرانتز ، لمن يكن هناك أحد غيري أنا طوال الوقت .

فرانتز : لقد تسرعت في قول ذلك : أثبته . (فترة) ما دمنا حيَّين ، سنكون اثنين . (فترة) كانت «المرسيدس» تتسع لستة أشخاص . لكن ما كنت تصطحب غيري . كنت

تقول : «فرانتز ، يجب أن تتعود على اقتحام الأخطار ، سوف نسرع» كنت في الثامنة . وكنا نسير في ذلك الطريق عند ضفة «الألب» . . . ألا يزال موجوداً ، التوفيلسبروك؟

الأب : لا يزال موجوداً .

فرانتز : ممر خطر . كان يقع عدد من القتلى كل سنة .

الأب : وعددهم الآن يزداد سنة بعد سنة .

فرانتز : كنت تقول : «ها نحن» وأنت تدوس على جهاز السرعة . كنت أُجن خوفاً وفرحاً .

الأب : (ابتسامة خفيفة) ذات مرة ، كدنا نموت .

فرانتز : بل مرتين . هل السيارات تنطلق بسرعة أكبر ، اليوم؟

الأب : إن «پورش» أختك تقطع ١٨٠ كلم في الساعة .

فرانتز : لنأخذها .

الأب : من الآن ! . .

فرانتز : ماذا تأمل؟

الأب : مهلة .

فرانتز : إنها معك . (فترة) أنت تعلم جيداً أنها لن تدوم .(فترة) إنني لا أمضي ساعة دون أن أكرهك .

الأب : أفي هذه اللحظة؟

فرانتز : في هذه اللحظة ، لا . (فترة) إن صورتك ستمحى مع جميع الصور التي لم تخرج من رأسك . كنت ستكون قضيتي وقدري حتى النهاية . (فترة)

الأب : لا بأس . (فترة) لقد صنعتك ، وسأعدمك . إن موتي سيغلف موتك ، وفي النهاية سأكون الوحيد الذي سيموت . (فترة) انتظر . أنا أيضاً لم أكن أظن أن كل

شيء سيمضي بمثل هذه السرعة . (بابتسامة لم تستطع أن تخفي قلقه) هذا غريب : حياة تنفجر تحت سماء فارغة ! هذا . . . هذا لا يعني شيئاً . (فترة) لن يكون لي حاكم . (فترة) أتعلم ، أنا أيضاً ، لم أكن أحب نفسي .

فرانتز : (واضعاً يده على ذراع أبيه) كان هذا يعنيني .

الأب : (اللهجة نفسها) أخيراً ، اسمع . إنني ظل سحابة . ما إن يهطل مطر حتى تضيء الشمس المكان الذي عشت فيه . إنني لا أبالي بذلك : فمن يربح يخسر . أنا الذي أنشأ المصنع الذي يسحقنا . ليس ثمة ما يؤسف عليه . (فترة) فرانتز ، هل تريد أن تسرع قليلاً؟ هذا سيعوّدك على اقتحام الأخطار .

فرانتز : أنأخذ البورش؟

الأب : بالتأكيد . سأخرجها من المرأب . انتظرني .

فرانتز : هل ستستخدم الإشارة؟

الأب : المصباحان؟ نعم . (فترة) ليني وجوهانا على الشرفة . قل لهما وداعاً .

فرانتز : إنني . . . ليكن ذلك . نادهما .

الأب : إلى اللقاء ، يا بني . (يخرج)

المشهد الثاني

فرانتز (بمفرده) - ليني - جوهانا

(يُسمع الأب يصيح من وراء الكواليس)

الأب : (من وراء الكواليس) جوهانا ! ليني !

(يقترب فرانتز من المدفأة وينظر إلى صورته . فجأة ينزع عنها الشريط الحريري ويرميه أرضاً)

ليني : (تظهر عند العتبة) ماذا تفعل؟

فرانتز : (ضاحكاً) إنني حيّ ، أليس كذلك؟

(تدخل جوهانا بدورها . يعود فرانتز إلى مقدمة المسرح)

ليني : أنت في ثيابك المدنية ، يا ملازمي؟

فرانتز : سيقود الأب السيارة إلى هامبورغ وسأبحر غداً . لن تروني بعد الآن . لقد ربحت ، يا جوهانا . إن ورنر حرّ . حرّ كالهواء . حظ طيب . (إنه عند حافة الطاولة . يلمس المسجلة بسبابته) إنني أهديك المسجلة . مع أفضل تسجيلاتي : ١٧ كانون الأول ١٩٥٣ . كنت ملهماً يومذاك . ستسمعينه فيما بعد . في يوم تريدين فيه أن تعرفي حجة الدفاع ، أو ، بكل بساطة ، أن تتذكري صوتي . هل تقبلينها؟

جوهانا : إنني أقبلها .

فرانتز : الوداع .

جوهانا : الوداع .

فرانتز : الوداع ، يا ليني . (يداعب شعرها كما يفعل الأب) شعرك ناعم .

ليني : أية سيارة ستأخذان؟

فرانتز : سيارتك .

ليني : من أين ستعبران؟

فرانتز : من الألب الأعلى .

(يضيء مصباحا سيارة في الخارج . وينير ضوؤهما الغرفة من خلال الباب ـ النافذة)

ليني : إنني أرى الأب . الأب يشير لك . الوداع .

(يخرج فرانتز ، صوت محرك سيارة . يرتفع الصوت ويتضخم . تنير الأضواء الباب ـ النافذة الآخر . وتختفي . السيارة تمضي)

المشهد الثالث

جوهانا - ليني

ليني : كم الساعة الآن؟

جوهانا : (مقتربة من ساعة الحائط) السادسة والثانية والثلاثون .

ليني : في السادسة والتاسعة والثلاثين ستكون سيارتي في الماء . الوداع !

جوهانا : (مذعورة) لماذا؟

ليني : لأن مفازة التوفيلسبروك على بعد سبع دقائق من هنا .

جوهانا : إنهما . . .

ليني : نعم .

جوهانا : (قاسية ومتشنجة) لقد قتلته !

ليني : (قاسية أيضاً) وأنت؟ (فترة) ما أهمية ذلك . لم يكن يريد أن يعيش .

جوهانا : (لا تزال تتمالك نفسها لكنها على وشك الانهيار) سبع دقائق .

ليني : (تقترب من ساعة الحائط) ست الآن . لا ! خمس ونصف .

جوهانا : ألا نستطيع . . .

ليني : (لا تزال قاسية) اللحاق بهما؟ حاولي . (صمت) ماذا ستفعلين الآن؟

جوهانا : (محاولة الثبات) ورنر سيقرّر ذلك . وأنت؟

ليني : (مشيرة إلى غرفة فرانتز) لا بد من مأسور ، هناك في

الأعلى . سـوف يكون أنا . لن أراك بعـد الآن ، يا جوهانا . (فترة) أرجوك أن تقولي لـ«هيلدا» أن تقرع هذا الباب غداً صباحاً ، سأصدر إليها أوامري . (فترة) دقيقتان أيضاً . (فترة) لم أكن أكرهك . (تقترب من المسجلة) حجة الدفاع . (تفتحها)

جوهانا : لا أريد . . .

ليني : سبع دقائق ! دعكِ من هذا . لقد ماتا .

(تضغط على زر المسجلة فوراً بعد كلماتها الأخيرة . وسرعان ما يدوي صوت فرانتز . تجتاز ليني الغرفة بينما يتكلم فرانتز . تصعد السلم وتدخل إلى الغرفة)

صوت فرانتز : (من المسجلة)

أيتها القرون ، هو ذا قرني ، الوحيد ، والمشوّه ، المتّهم . إن موكلي يبقر بطنه بيديه هو نفسه . وإن ما تظنونه نسغاً أبيض ، هو دم ليس فيه كريات حمر ، فالمتهم يموت جوعاً . ولكن سأخبركم بسر هذه الثقوب الكثيرة . كان القرن سيكون طيباً لو لم يترصد الإنسانَ عدوه القاسي القديم ، لو لم تترصده الطيور الكاسرة التي أقسمت على هلاكه ، لو لم يترصده الوحش الماكر الذي ليس له شعر ، لو لم يترصده الإنسان . واحد وواحد يساويان واحداً ، هذا هو لغزنا . كان الوحش يختبئ ، وكنا نفاجئ نظرته ، فجأة ، في عيون أقربائنا الصميمية ، وعندئذ كنا نضرب : إنه دفاع مشروع وقائي . لقد فاجأت

الوحش ، وضربت ، وسقط إنسان ، وفي عينيه المحتضرتين رأيت الوحش ، الذي لا يزال حياً ، أنا . واحد وواحد يساويان واحداً : يا له من سوء فهم ! ممّن ، ممَّ ، هذا الطعم الزنخ التافه الذي في حلقي؟ من الإنسان؟ من الوحش؟ مني أنا؟ إنه طعم القرن . أيتها القرون السعيدة ، أنت تجهلين أحقادنا ، فكيف ستفهمين السلطة الفظيعة لحبنا المميت؟ الحب ، الحقد ، واحد وواحد . . . برِّئينا ! إن موكلي كان أول من عرف الخجل ، فهو يعرف أنه عار . أيها الأطفال الوسيمون ، أنتم تخرجون منا ، وبذلك تكون آلامنا قد صنعتكم . . إن هذا القرن امرأة ، إنه ينجب ، فهل ستدينون أمكم؟ إيه؟ أجيبوا إذاً ! (فترة) إن الثلاثين لا يجيب . لعله لن توجد قرون بعد قرننا . لعل قنبلة ستطفئ الأضواء . سيكون كل شيء ميتاً : العيون ، القضاة ، الزمن ، الليل . أيا محكمة الليل ، أنت التي كانت ، التي ستكون ، التي هي كائنة ، لقد كنتُ ! كنت أنا ، فرانتز فون غيرلاتش ، هنا ، في هذه الغرفة ، وحملت القرن على كتفي وقلت : سأجيب عنه . في هذا اليوم وإلى الأبد . إيه ! ماذا؟

(تكون ليني قد دخلت إلى غرفة فرانتز . يظهر ورنر عند باب البيت . تراه جوهانا وتتجه نحوه . وجهان لا تعبير فيهما . يخرجان دون أن يتكلما . بدءاً من «أجيبوا إذاً» يظل المسرح فارغاً) .

يُسدل الستار



أسرى ألتونا

أسرى ألتونا هي آخر ما أنتجه سارتر، عميد الأدب الوجودي، ولعلّ المدهش في سارتر قدرته العجيبة على التفوّق على نفسه في كل إنتاج جديد يصدره، وهذا يبدو جليّاً لدى قرّاء هذه المسرحية الفذّة التي يعيش أبطالها أسرى أنفسهم وطبقتهم... أسرى حب سفاح بين أخ مجنون وأخت متهتّكة وأب طاغٍ عربيد... وزوجة تحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

ISBN 978-9953-542-20-1

دار الحرف العربي
للطباعة والنشر والتوزيع